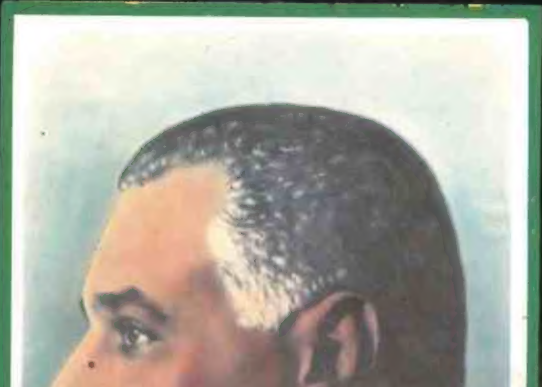
حوار شامل مع الدكتور

جمال الأتاسي



عن الناصرية والناصريين

مجـــدى رياض

جمعها يوسف الكويتي

حوار شامل مع الدكتور

جمال الأتاسي

رقم الايداع : ١٧٦٣ / ١٩٩٢
الترقيم الدولي : I . S . B . N
٩٧٧ - ٥١٢١ - ٢٢ - ١

الغلاف والاخراج الفني: مجدي رياض
التنفيذ الداخلي : عبد الحميد حسن

الاهداء

إلي روح شهـــيد الأمة

كمــــال رفعـت

وروح شهــــيد العـروبة

عبد الهادي ناصف

المقدمة

● عندما بدأت المضيفة الجوية في الاعلان عن اقترابنا من مطار دمشق الدولي .. بدأنا في ربط الأحزمة والتوقف عن التدخين ، نظرت في النافذة متلهفاً علي رؤية المدينة ونحن نقترب منها رويدا ... ، وانتابني شعور جارف لا يدركه إلا من زار الشام أو دمشق ..

فمن لم يزر الشام كما يعرفها شعبنا العربي في مصر والمغرب - أي بلاد المشرق العربي - ومن لم يزر الشام كما يعرفها شعبنا العربي في سوريا ولبنان والاردن - أي دمشق - لا يستطيع ان يدرك او يعبر بالكلمات وعلي وجه الدقة :

■ماذا يعني الشعور القومي والوحدوي ؟!

■ ولايستطيع ان يشعر بحرارة القومية الملتهبة .. وببرودة الاقليمية المتجمدة ..

لقد صدق المرحوم عبد الكريم زهور عندما تحدث في حفل استقباله كعضو بمجمع اللغة العربية (وهذا البلد – الشام – كم في باطن أرضه وعلي وجهها بعد من شهيد في سبيل هذه الأمة واسلامها ولغتها) ومن خلال رصد تاريخي يؤكد بأن ((علي أرض هذا البلد دارت معركة الوحدة العربية مرتين ، مرة في عهد محمد علي (١٨٣١– ١٨٤٠) واخري عشناها في (٢٢ فبراير – ٢٨ سبتمبر ١٩٦١)) ويصل الي ان المعارك الفاصلة في تاريخ الإسلام والعروبة عندما تحيق بها الاخطار كانت تتم علي مقربة من دمشق ويخلص الي ان (في التاريخ احداثاً وظواهر هي اشارات ورموز تكشف عن اقدار المدن ، و للأمصار كما للأشخاص أقدار) ..

تذكرت هذا كله وتذكرت زياراتي الأولي لدمشق في تلك الدقائق التي تسبق هبوط الطائرة الي ارض المطار ، والتي ينتاب فيه الجميع ترقب وقلق ما يلبث ان يزول مع إنطلاق الطائرة علي الممر الأرضي ..

● في الطريق نحو الخروج من المطار الدولي ذي الطراز المعماري العربي الاسلامي وبعد انهاء الاجراءات الروتينية تصافحت مع الفوج السياحي اليوناني وتواعدنا علي اللقاء ويوم الرحيل ، فلقد قررت ان انفصل عن برنامجهم بسبب هذه المهمة الصحفية التي أتيت اليها خصيصاً ، ولكنني استفدت من انضمامي لهذا الفوج القادم من أثينا بتذكرة مخفضة وببعض النشرات والكتيبات عن معالم سوريا السياحية

قرأتها في الطائرة ومازلت احتفظ بها ، لقد اطلعت علي جانب هام اهملته بغير قصد مني في رحلاتي العديدة .

المسافة من المطار إلي العاصمة طويلة نسبياً ، بدأت اقـرأ داخـل " الباص " بعض المعلومات التاريخية عن الشام ووقفت عند بعض التعريفات لأصل التسمية وتحديد المنطقة :

- ☐ قيل ان الشام كان يقصد بها قديماً سوريا الطبيعية غير المقسـمة - لبـنان وسوريـا والاردن وفلـسـطين - ((وعرف العرب قديماً اسم سوريا لبلاد الشام فقال البكري سورية اسم الشام ، وقال المسعودي : سورية هي الشام والجزيرة ، كما ورد ذلك في كتب اخري ، وأطلق اسم الشام علي دمشق وحدها وهو من باب اطلاق العام علي الخاص)) [١] .
- ☐ وقيل ان العرب اطلقوا عليها دمشق الشام ((والشام كما يقول البعض هي مدينة شام الابن الثاني لنوح حسب رواية التوارة والذي منه تحدر الكنعانيون)) [٢]
- ☐ ولكن الموسوعة السياسية تؤكد علي ان أصل التسمية سببـها أنها (تقع علي مشأمة القبلة أي ميسرتها وتشكل مع العراق الهلال الخصيب لشبه الجزيرة العربية أو حزام الواحات الشمالي مقابل اليمن السعيد في الجنوب [٣]

يحدها من الغرب بحر الشام - المتوسط - ومن الشرق البادية ومن الشمال الاناضول ومن الجنوب حد مصر "

((وبتعبير آخر هو القطر الممتد من سقي النيل الي سقي الفرات ومن سفوح طوروس الي أقصي البادية [٤] اما دمشق فقد كانت (علي لوحات ماري : آبوم وفي العصر الحثي : آوبي ، وفي العهد الآرامي : آرام ثم دمشق)) [٥]

● هذه هي الشام - سوريا الطبيعية - حدودها واصل تسميتها وهذه هي دمشق عاصمتها أو قلبها الذي حمل اسمها قديما .. وحمله بعد التجزئة حديثا ليذكرنا دوما بالتاريخ ... وبالاستمرارية .

□□

● استمر " الباص " في سيره .. واقتربنا من المدينة ، كان الليل يلامس اطرافها علي إستحياء . فبدأ يتلألأ جبل قاسيون من بعيد ، إخترقنا شوارع العاصمة وهبطنا في المحطة الاخيرة ، إنتقلت بالتاكسي الي منطقة البحصة وقريبا من فندق الشام اخترت فندقي ، وضعت الحقائب بالغرفة ثم قمت بالاتصال تليفونيا بالدكتور جمال وتواعدت معه في اليوم التالي ..

قررت الخروج للعشاء علي ضفاف بردي .. هناك علي الطريق الي بيروت ومع تعرجات النهر تقوم سلسلة من المطاعم والمقاهي في أحضان التلال ومع ينابيع المياه ، في الطريق تحدثت مع السائق فاذا به ينطلق

بعاطفة جياشة في حديثه عن مصر .والعروبة والوحدة ، وفي المطعم رحب بي صاحبه وزاد ترحيبه عندما أدرك أنني من مصر ... وجلس معي وراح يتحدث عن ذكريات الوحدة – ١٩٥٨ – وامنياته بعودتها وعودة الأمة العربية الي وحدتها الطبيعية .

هكذا تجد الحديث الوحدوي في سوريا .. هو الهم اليومي .. والعاطفة الجياشة في وجوه وكلمات المتحدثين رغم ثقافاتهم المختلفة ورغم تفاوت اعمارهم ، فتلمس حقيقة رضوخ عبد الناصر لمطالب " الشوام " بضرورة الوحدة الفورية بالرغم من قناعته بضرورة التحضير لها ، وتدرك بوعي تلك العبارة الموجزة والتي تحولت الي شعار سياسي يلخص التاريخ عندما قال أن " دمشق قلب العروبة النابض " .

■■هل يكمن السبب وراء هذا التأجج القومي في موقعها الجغرافي كواحدة من مدن الشام بصفة عامة – حزام الواحات الشمالي للجزيرة العربية – أو بصفة خاصة كمدينة اولي في مدن الشام منذ القدم (فهي حاضرة تلك البلاد وقاعدتها ومدينتها العظمي .. فهي منذ نشأتها مركز تجاري هام ومحطة كبري من محطات التجارة بين الشرق والغرب ، لذلك ظلت ذات مركز سياسي متميز عبر تاريخ طويل)[٦] .

□ فيما بعد ومن خلال هذا الموقع كانت عاصمة اول امبراطورية عربية – أموية – وعندما انتقلت الخلافة الي

بغداد أو مصر وحتي استنبول ، ظل موقعها ودورها التجاري جزءاً هاماً من حـركة وسياسـات عاصمة الخلافة .

□وهل كانت حقيقة الموقع الجغرافي وارتباطه بأمن مصر هي التي اكتشفها الغرب مبكراً حين ادركوا (ان مفتاح بيت المقدس موجود في مصر وانه اذا اراد الصليبيون ان ينعموا بحياة آمنه في بلاد الشام عليهم ان يسيطروا علي مصر أولا)[٧] .

□هذا الارتباط الجغرافي الأمني هو الذي وقف وراء المعارك الفاصلة والمصيرية في تاريخ مصر وجعلها تدور فوق ارض الشام حيث خط دفاعها الأول وجعل الشام لوماً في غمار المعارك المنقذة للعروبة علي حد قول عبدالكريم زهور ، وجعل الوحدة الاستراتيجية بين الشام ومصر ضرورة جغرافية وحياتية كما يري د . جمال حمدان[٨] ، مما جعل باتريك سيل يري أن الاستيلاء علي سوريا يعني في النهاية الاستيلاء علي المشرق ككل ... بل والمنطقة بأسرها[٩].

■■ومن زاوية أخري .. قد يكون هذا الهاجس القومي رد فعل طبيعي ومشروع لظاهره التفتت والتعدد الطائفي

والديني بل واللغوي في بعض الاقليات - أكراد وأرمن وتركمان - داخل الكيان الشامي - سوريا الطبيعية - او الكيان السوري - قلب الشام - ، فالأقليات وتعددها في الوطن العربي ظاهرة منتشرة .. ولكن تتفاوت نسبتها وانتشارها وتجانسها من اقليم لاقليم ، فبينما لا تمثل ١٥٪ في مصر وتونس وليبيا والاردن .. الخ ولا تشكل بؤرة لعدم الاستقرار في تلك الدول ، نجد المسألة اكثر تعقيداً - تعدد - وبنسبة اكبر - ٣٥٪ - في دول كسوريا والعراق والمغرب ... الخ ...، ويتهدد الاستقرار السياسي حيث (يعزي الي تعدد وتعقد وتداخل محاور الاختلاف الثقافي كما هو الحال مع سوريا) [١٠].

إن الانكفاء الاقليمي يعني تفجر الخلافات الطائفية واللغوية والدينية ، بينما الارتباط القومي ... المشروع الأكبر والأرحب يعني جذب الكيان الاقليمي كوحدة مترابطة الي حد كبير ، فالمنطقة (فسيفساء من الفئات تزيد من خاصيتها الخلافات الدينية) [١١] وبدون الوحدة العربية سوف تتشرذم الي قطع زجاج متناثر ومتناحر .. ، والذاكرة التاريخية تعي حوادث الفتن والصراعات ... وتعي الدور العثماني وفيما بعد الدور الاجنبي قبل وطيلة الانتداب في منح الامتيازات للاقليات أو تأليبها أو تفجير الصراع الداخلي ... ، بل ان ذلك الصراع غالباً ما يكون ذريعة

للتدخل الاجنبي كما حدث في بيروت اثر مذابح الدروز والمسيحيين في مايو / أيار ١٨٦٠ وفيما بعد - الخمسينيات - فالحرب الأهلية - السبعينيات ... الخ .

ويبدو من ناحية اخري ان الظروف التاريخية - السياسية لمنطقة الشام عامة وسوريا خاصة قد وقفت وراء هذا التمايز في العاطفة الوحدوية الجياشة ، فبينما كانت مصر منذ اوائل القرن التاسع عشر مستقلة عن السلطة ذاتياً أو من خلال الاحتلال البريطاني وكذلك الامر بالنسبة للسودان وتونس والجزائر وليبيا والمغرب ... الخ ، كانت الشام تحت السيطرة العثمانية المباشرة بكل مساوئها الاستبدادية والطبقية والادارية وبينما كانت معركة الهوية في مصر والمغرب العربي - خاصة الجزائر - تعني منازلة التغريب بالاسلام ومن ثم التمسك بالخلافة الاسلامية العثمانية في مواجهة الاحتلال - البريطاني والفرنسي والايطالي والاسباني - كانت الشام وسوريا بصفة خاصة لا تجد في معركة الهوية سوي التأكيد علي العروبة التي يراد لها ان تذوب في عملية التتريك والقهر .

ومنذ النصف الثاني للقرن التاسع عشر وبعد الاستقلال الذاتي والانفصال الذي فرضه الفرنسيون

علي لبنان (ظلت سوريا المقسمة الي ولايتي دمشق وحلب خاضعة لادارة كانت من المركزية بحيث يكاد تاريخها من عام ١٨٦٤ الي الحرب العالمية الاولي يختلط بتاريخ السلطنة العثمانية نفسها [١٢] .

☐ ان ظهور الجمعيات والمنتديات القومية في مرحلة ما قبل الحرب العالمية الاولي كانت المقدمة للثورة العربية واذا كانت المذابح العثمانية قد اقامت حواجز من الثأر والكراهية للسلطنة ، فإن تآمر الحلفاء وتوقيع اتفاقية سايكس بيكو قد فجرت من جديد عوامل الشعور بالذات القومية وبالرغبة في الاستقلال وفي التوحد، وقد برزت منظمات قومية عديدة ... وبدأت الكتابات القومية ما بين الحربين - الاولي والثانية - تلعب دورها وخاصة دور المفكر ساطع الحصري ، ومع الانتفاضات والثورات .. ومع الحركات والمنظمات ومع الاستقلال المبكر في الاربعينيات .. كانت سوريا صاحبة النصيب الاكبر في المناداة بالوحدة العربية .. وبالسعي شبعاً واحزابا نحو أمتها ومحيطها العربي ومبكراً ..

● كانت هذه الملاحظات تدور في ذهني وانا اتساءل عن سر هذا التأجج القومي لدي المواطن العربي في سوريا ، وأكدتها القراءات المختلفة التي عكفت علي بعضها طيلة الليلة السابقة لزيارتي للدكتور

جمال الاتاسي كجزء من محاولتي الوقوف علي ارضية الجدل في البحث عن الاسئلة التي جئت بها اليه وبرغم ارهاق السفر فإن السهر مع القراءات في هذه الليلة قد امتد حتي الفجر ، وكانت الفرصة متاحة امامي لأن موعدنا قد تم الاتفاق عليه ليل اليوم التالي ..

❐ ❐

● في مساء اليوم التالي .. جاءني الأستاذ حسن اسماعيل المحامي لصاحبتي الي منزل الدكتور ، لم تكن هذه اول مرة التقي به بل كنت علي معرفة حميمة معه منذ اوائل السبعينيات .. ، بل ان هذا اللقاء وانجاز هذا الكتاب يرجع الي تشجيعه وحماسه المعتاد .. بل وسعة صدره وكرمه المعهود به .

ففي اوائل السبعينيات وعندما كان الاتحاد الاشتراكي السوري في الجبهة الوطنية الحاكمة وكان هناك اتحاد الجمهوريات - مصر وسوريا وليبيا - كان الاستاذ حسن اسماعيل كواحد من ابرز عناصر الاتحاد وكعضو بمجلس الشعب السوري يتردد دوما علي القاهرة ، في هذه الفترة التقيت به عدة مرات وتحاورنا كثيراً حول الناصرية كما يراها جيل انتمي اليه - بدأ عمره مع ثورة يوليو - وطبقة تضمني شرائحها - الطبقة الوسطي - يختلفان في تحليلهما عن تحليل الاجهزة والمنظمات الرسمية المصرية آنذاك والتي لم تكن قد خلعت رداء الناصرية علناً ..

وتتسارع الاحداث .. ويخرج الاتحاد الاشتراكي من الجبهة ، وتتم

معركة اكتوبر وتتدهور العلاقات المصرية السورية لتتجمد بعد زيارة القدس واتفاقيات السلام ، وينتهي عقد السبعينيات وبداية الثمانينيات . لم ار فيها الرجل .. ولم يأت هو للقاهرة إلا نادراً ..

وفي نهاية عام ١٩٨٦ وبعد ثلاث سنوات واكثر بقليل قضيتها في اوربا كمراسل صحفي مقيم في اثينا ،، واثناء اعدادي لحقائبي وامتعتي وكتبي للعودة النهائية للقاهرة .. ، وقبل رحيلي بيومين فوجئت به في قلب العاصمة اليونانية ... حيث جاء للدفاع القانوني عن بعض الفلسطينيين امام محكمة بأثينا .

ويدور حديث الترحيب والتعليق علي المصادفات .. ويمتد لهموم الأمة وواقعنا العربي ، ثم أقف عند فكرة كانت تراودني آنذاك ..وهي حوار بين جيلين (١٣) وأساله عن إمكانية موافقة الدكتور جمال وترتيب هذا الأمر ... ، وكان في ذهني حتي هذه اللحظة ان ذلك سيتم بعد عودتي اي بعد عام علي الأقل ، ولكن حماسه ووعد منه بالرد السريع بعد عودته في اليوم التالي ، وبتشجيع قوي للفكرة قررت تأجيل سفري للقاهرة .. ، وبعد ان جاءني صوته بالايجاب عبر الهاتف ..وجدتني اقوم بترتيب الاجراءات ووليت وجهي نحو دمشق ..

● عندما استقبلنا الدكتور جمال الاتاسي في قاعة الضيافة بمنزله والتي تحتوي علي مكتبته الضخمة والمنتقاة كان عائداً لتوه من "عيادته" وترتسم علي وجهه بعض علامات الارهاق إلا أنها لم تمح بشاشته

وحفاوة الترحيب ولم تفرض نفسها علي الحوار أو صفاء ذهنه ..

كانت هذه هي المرة الاولي التي اراه فيها .. من قبل تعرفت عليه عن بعد من خلال الطلبة العرب السوريين بالقاهرة - وكذلك الاستاذ حسن اسماعيل - في النصف الاول من السبعينيات ، واستمعت الي تفاصيل مواقفه الصلبة ، وفي النصف الثاني من السبعينيات عرفته من خلال احاديث المرحوم عبد الكريم أحمد وكان صديقاً حميماً له ودائم التردد معه علي مصيف البلودان ، او الزبادني علي مقربة من دمشق .

وقرأت له من قبل بعض ترجماته لكتب سياسية وفكرية هامة وبعض مؤلفاته ودراساته ، ثم اخيراً قرأت له كتابه القيم " إطلالة علي الفكر الاستراتيجي لجمال عبد الناصر " وكان ذلك في النصف الأول من الثمانينيات .

من الروايات ومن الكتب تشكلت لدي ملامح ذلك الرجل ، وكانت في تصوري اقرب ما تكون لقائد عسكري متجهم عنيد تبدو علامات القسوة علي ملامح وجهه ، ومن ثم فإن الحوار معه إن لم يكن مستحيلاً فهو صعب .

وعندما التقيت به وجهاً لوجه فوجئت بعكس ما تصورت - وقد صارحته بذلك - وفوجئت اكثر بالاقتراب منه في الحوار أنه انسان يحمل شفافية وبشاشة أقرب ما تكون لصورة شاعر أو فنان ، فبالرغم من فارق السن وفارق المعرفة فإنني قد هيأت نفسي لجدل قد يكون عنيفاً وصاخباً اكثر منه حواراً ، لكن الانطباع الجديد ثم الاقتراب دفعني

للحوار الناقد والمحلل لكنه الهادئ والباحث عن الحقيقية .. والاستفادة من تجارب الزمن ...

وخلال اسبوعين تعددت اللقاءات معه ، كان الهدف هو اقامة حوار في بعده الزماني بين جيلين : تفصلهما سنوات من الحرث والصراع وتبدل الموازين والعلاقات والشخوص ويجمعهما فكر واحد ومنظور واحد في مواجهة الواقع ومشكلاته وكان هدف الحوار ثانياً - في بعده المكاني - هو الالتقاء مع رمز من الرموز البارزة والاصيلة في التيار الوحدوي والناصري بالمشرق العربي ، ومن ثم الإطلالة علي تجربة فكرية وسياسية وتنظيمية نمت من خارج السلطة .. وخارج حدود الاقليم الجنوبي - مصر - .

● وقد يكون الهدف الأول - حوار الجيلين - امر غير ذي بال في الواقع السوري أو في أي اقليم آخر بينما كان هذا الأمر اكثر الحاحاً بين التيار الناصري في مصر آنذاك :

□ وحيث ان سبل الحوار في القاهرة كانت متقطعة إن لم تكن مسدودة

□ فإن هذا الحوار في دمشق قد يكون سداً لعجز قائم او تجاوزاً لسد او جدار عائق ..

ومن ناحية اخري فإن الرجل يمثل الجيل المشرقي المماثل لجيل ما بين الحربين العالميتين في مصر أي الجيل الذي صنع ثورة ٢٣ يوليو ، وفي الوقت ذاته يجسد الشريحة الوحدودية المناضلة والواعية داخل هذا

الجيل ، ومن ثم فإن الحوار معه يتوافق مع الهدف الثاني وينضجه ..

● عندما عدت الي القاهرة في أواخر عام ١٩٨٦ انغمست في البحث عن موضع قدم في الارض التي رحلت عنها فترة ليست بالقصيرة ، شغلتني هموم الحياة .وشغلتني السياسة أو بمعني أدق العمل السياسي الذي هجرته غير آسف فيما بعد ، واكتشفت حينما بدأت في تفريغ الاشرطة ان الحوار مع الدكتور جمال به ثغرات عديدة ، لابد وان تستكمل .. وانتهزت فرصة السفر الي بيروت للتعاقد علي عدة كتب لي طبعت هناك ... وأكملت رحلتي الي دمشق عن طريق البر .. ، كان هذا في أواخر عام ١٩٨٨ وفي النصف الاول من العام التالي بحثت دون جدوي عن أعداد جريدة " الجماهير " في كل المراكز المختصة (دار الكتب - الاهرام - الاخبار ،... الخ) ، وحاولت البحث عن مصادر توثيقية اخري تتيح للكتاب وللتحليل فيه مساحة اوسع من المعلومات والسير الذاتية لأبرز الشخوص الواردة في الكتاب ولكن محاولاتي باءت بالفشل ..

● في اواخر عام ١٩٩٠ وفي خضم احداث الخليج سافرت لدمشق وبيروت لأمور تخص عملي في المركز ، وكان هناك فصل غائب شعرت ان الكتاب بدونه سوف يفقد جزءاً هاماً من سياقه وترتيبه وان القسم الاول وهو التاريخي لا يستكمل بدونه ، هذا الفصل هو الخاص باللقاء السري مع عبد الناصر .. ظروفه وملابساته ، وبالفعل اثقلت - كما

تأخرت - علي الدكتور جمال في استكمال هذا الفصل .

● ثم طحنتني ازمة الخليج وتداعياتها .. فاضرب القلم عن الكتابة بعد ان تجمد العقل عن الفهم .. ، وهكذا دخلت الي النصف الثاني من عام ١٩٩١ قبل ان أبدأ في إعداد هذا الكتاب للطبع .. ، ولكن اثار الازمة - الخليج - تركت في داخلي تساؤلاً ممتداً في كل الاتجاهات حول جدوي الكلمة ؟! وعندما ترددت قليلاً .. قفز الوعي بالمستقبل - كأحد عناصر الزمن والتاريخ - ومن ثم بالحلم ليؤكد من جديد ويحسم ترددي علي ضرورة واهمية صدور الكتاب ، هذه الضرورة وتلك الاهمية ينبعان من تاريخ ونور الرجل .. ومن الدروس او النتائج المستفادة ، من هذا الحوار :

....

....

□□□ فالدكتور جمال الاتاسي واحد من هذا الجيل الذي ولد وتفتحت مداركه علي الانتفاضات والثورات التي شهدتها الشام ككل قبل استقلال سوريا ، ينتمي الي عائلة الاتاسي الكبيرة والتي تحتوي كل الطبقات (من الحارس الليلي - الناطور - الي رئيس الجمهورية) علي حد تعبير صديق طرابلسي له .

كان والده مزارعاً يملك بعض الاراضي .وكان بيته مأوي لبعض المضطهدين من كوادر الثورة السورية ، وبعد حصوله علي الابتدائية من حمص مسقط راسه رحل الي دمشق وحصل علي البكالوريا .. ، دخل

كلية الطب بجامعة دمشق وتخرج في عام ١٩٤٧ ثم ذهب الي فرنسا للتخصص في الطب النفسي وحصل علي الدكتوراة في عام ١٩٥٠ .

في حمص كان قريبا من " عصبة العمل القومي " ومن " الكتلة الوطنية " لكنه لم يشترك معهما في النشاط ، وفي دمشق مارس دوراً بارزاً في الحركة الطلابية ، وهناك التقي مع " ميشيل عفلق " و " صلاح البيطار " وشارك في الحوار الدائر حول صيغ جديدة للعمل السياسي القومي .. في بدايات عام ١٩٤٣ شارك في تأسيس رابطة عربية للطلاب العرب بجامعة دمشق ، قبلها بعامين شارك في مجموعة طلابية ثقافية ألتفت حول " زكي الارسوزي " ، وفي نهايات عام ١٩٤٣ وحتي عام ١٩٤٧ كان رئيساً للمنظمة الطلابية بحزب البعث .

في عام ١٩٤٧ كان علي رأس اللجنة التحضيرية للمؤتمر التأسيسي لحزب البعث وشارك في وضع مشروع الدستور الأول للحزب لكنه رفض الترشيح لمواقع قيادية بسبب قراره السفر الي باريس لاستكمال دراساته العليا ... عند عودته - ١٩٥٠ - كانت الانقلابات العسكرية من جهة تهدد الوطن .. وكانت الانقسامات الحزبية تهدد البعث ، فآثر الابتعاد عن القيادة .. ونشط في حماه - موقع عمله الجديد داخل مستشفي خاص - وسرعان ما شارك في توحيد الحزب مع حزب اكرم حوراني الذي كانت قاعدته الاساسية في حماه .

منذ عام ١٩٥٥م اصبح عضواً قيادياً في المكتب السياسي بحزب البعث وفي جريدته ، وفي عام ١٩٥٦م عندما عقد المؤتمر الاستثنائي

للحزب في سوريا كان رئيساً للجنة التحضيرية لهذا المؤتمر ثم انتخب عضواً في القيادة القطرية المؤقتة وكذلك في المكتب السياسي حتي عام حل الحزب مع اعلان الوحدة في شباط - فبراير ١٩٥٨م .. اثناء الوحدة وبعد الانفصال ١٩٦١ عندما أعيد تشكيل الحزب ظل بعيداً عن الاندماج في آليات الحزب ، وشكل هو ومجموعة من الرفاق جناحاً وحدوياً اشتراكياً مميزاً سوف نشير اليه بعد سطور قليلة .

وعندما قامت ثورة ٨ اذار - مارس ١٩٦٣ لتقضي علي الانفصال عين وزيراً للاعلام وعضوا في مجلس قيادة الثورة ، ولكن سرعان ما استقال من الوزارة ومن المجلس عندما اصطدم هو وصحبه مع الاتجاه المتعطش للسلطة ، ولم ينته العام وقد استقال من كل مواقعه القيادية بالحزب(١٤) .

شارك في العام التالي - ١٩٦٤ - في المؤتمر التأسيسي للاتحاد الاشتراكي وسمي عضو مكتب سياسي بالداخل ، وفي بداية عام ١٩٦٥م اصبح رئيس مكتب الامانة العامة بالداخل ، وعندما الغيت قيادة الخارج - الامانة العامة - في ١٩٦٨م رشح كأمين عام للاتحاد الاشتراكي ، وفي ١٩٧١ وحتي ١٩٧٣ كان عضواً بالقيادة المركزية للجبهة الوطنية التقدمية الحاكمة بسوريا .

ومنذ ترشيحه في ١٩٦٨ وحتي الآن مازال الدكتور جمال الاتاسي اميناً عاماً للاتحاد الاشتراكي السوري ، ومازال رمزاً مميزاً داخل التيار الناصري بالمشرق .. وقيادة واعية داخل الحركة الوطنية

والتقدمية ..

....

....

□□□ كان هذا هو التاريخ .. أما الدور فقد تمثل - الي جانب النضال السياسي - في الجهد الفكري المميز الذي لعبه الدكتور جمال في جريدة البعث في الفترة من انهيار حكم الشيشكلي عام ١٩٥٤وحتي بداية الوحـدة ١٩٥٨ وذلك ضمـن نـواة تيار فـكري جـاد (كانت تحاول النمو والتطور داخل ذلك العماء الفكري والفقر المذهبي) وبرز هذا التيار عبر المقالات والترجمات (وكان يقود هذا التيار نحو الفكر الثوري العلمي زمرة من كبار مثقفي الحزب امثال الاستاذ عبد الكريم زهور والدكتور جمال الاتاسي) (١٥) .

وعندما قامت الوحدة تولي الدكتور رئاسة تحرير جريدة الجماهير والجريدة لم تعمر اكثر من تسعة اشهر ولم تأخذ حقها من الاهتمام أو الدراسة ، وقد كانت الجريدة لسان حال دولة الوحدة في سوريا وقد ضمت في صفوفها كتاباً مصريين كرجاء النقاش واحمد عبد المعطي حجازي ومحمد عودة وآخرين وفي هذه المرحلة خاض معركة طويلة - كتب غالبية مقالاتها وتحليلها السياسي - ضد الشيوعيين وضد حركة عبد الكريم قاسم في العراق ، وعندما كان يتابع عن كثب تناقضات الاجهزة داخل دولة الوحدة ، وفي الوقت ذاته يلاحظ ردود الفعل السلبية لقيادات البعث ، وفي غمرة الصراع النفسي بين الرغبة في النقد

الموضوعي وبين خشية استخدام هذا الامر بشكل سيئ من قبل الذين يريدون ضرب الوحدة ، وفي هذا المناخ وضح موقفه المتميز والذي سيظهر فيما بعد في افتتاحية احد اعداد الجماهير تحت عنوان " الصمت موقف " وسوف يقف عبد الناصر عند أصحاب الصمت موقف اثناء مباحثات الوحدة الثلاثية - ١٩٦٣ - مشيراً بذلك الي عبد الكريم زهور وجمال الاتاسي .

وحينما حدث الانفصال وخلال هذه الفترة السوداء لعب دوراً كبيراً مع بعض القيادات التي شكلت اتجاهاً اطلق عليه مجموعة جريدة البعث والتي بدأت في الصدور ٢١ تموز - يوليو ١٩٦٢ وعلي صفحاتها وبالتدريج بلورت الموقف المضاد والحاد في مواجهة الانفصال وواجهت مواقف المترددين وكان لهذا الموقف المتصاعد للجريدة آثره المميز مما دفع الاستاذ حسنين هيكل بالقول بأن (جريدة البعث كانت كبصيص النور في الظلمات التي خيمت علي سوريا الانفصالية) [١٦] .

وخلال الانفصال ايضا برز دور المجموعة - الاتاسي ، زهور ، سامي الدروبي من خلال مجلة الفكر السياسي والتي صدرت في شكل كتاب منذ السنة الأولي للانفصال وتوقفت منذ حلول ثورة ٨ آذار - مارس ١٩٦٣ .

كانت مقالات هذا التجمع تخلق ازمات مع التيار العفلقي ، وعندما قامت ثورة شباط فبراير بالعراق ((فدعي كل من الاتاسي وزهور الي زيارة بغداد وكان موقفهما مزيجاً من الاعجاب بتنظيم الحزب الحديدي

هناك ، وخوفاً شاملاً من الفراغ الفكري الذي تميز به قادة الحزب الجدد في العراق ومن انعدام التجربة السياسية لديهم ومن هذا الغرور الصبياني الذي اخذ يدير رؤوس بعضهم)) [١٧] .

وبعد ثورة آذار – مارس ١٩٦٣ بسوريا ومشاركتهم في الوزارة ، واكتشافهم المماطلة في محادثات الوحدة الثلاثية من أجل تفريغ شحنات الغضب الجماهيري .. وضرب القوي الناصرية والتفرد بالسلطة (انسحب زهور والاتاسي من الحكم ثم حدث أن افترقا عن الحزب نهائياً واصبحا موضع اضطهاد غير مباشر من قبل السلطات ، وأنضم سامي الدروبي اليهما بعد استقالته ... ثم استقال الفريق لؤي الاتاسي من قيادة مجلس قيادة الثورة عقب احداث ١٨ تموز – يوليو وتألف بذلك جناح وحدوي مناهض للبعث العفلقي) [١٨] .

وعلي غير عادة الكثيرين ..عندما خرج الفرسان الثلاثة – جمال الاتاسي وزهور والدروبي – عن حزب البعث لم يعودوا اليه ابدا ، وعلي حين انعزل الثاني عن العمل السياسي قرب السبعينيات وانكفأ الثالث علي الادب ، ظل الدكتور جمال في قلب المعارك السياسية يقود النضال من أجل توحيد التيار الناصري المشتت غير المنظم ، ومن بعد قاد العمل التنظيمي والفكري في حزب الاتحاد الاشتراكي ثم تولي قيادة جبهة المعارضة لكل انواع التسلط والاستبداد فتعرض للاعتقال [١٩] وظل يؤرق القيادة السياسية السورية فتشتكي منه كثيراً لعبد الناصر فترة ما بعد النكسة والذي يلتقي به في اواخر الستينيات ، وعندما قامت الحركة

التصحيحية بقيادة حافظ الاسد اتصلت به واعتمدت علي الاتحاد الاشتراكي في حمايتها وتأييدها جماهيرياً خاصة وان صلاح جديد كان مسيطراً علي الحزب وتشكيلاته المدنية والمؤسسات الشعبية (٢٠) وشارك في الجبهة الحاكمة (٢١) وفيما بعد خرج منها يقاتل تحت راية الناصرية فكراً ويقود الاتحاد الاشتراكي حركة .

....

....

□□□ كان ذلك هو الحديث عن الدور ...اما هنا وبتركيز لا يخطف بريق الحوار بين دفتي الكتاب ، فاننا نستعرض أهم النتائج والدروس التي نريد القاء الضوء عليها كمدخل للقراءة المتأنية في الفصول القادمة .

■ ربما تكون اول هذه الدروس هي " قضية الديموقراطية " تلك القضية التي دفعت شعوبنا ضريبة غيابها .. ومازالت تدفع حتي هذه اللحظة ، وغياب الديمقراطية داخل الانظمة يماثل ندرته داخل الاحزاب والقوي المعارضة ، ومن هنا تبقي أهميه التركيز علي هذا المطلب أو كما يقول الدكتور جمال " نحن نقدم مطلب الديمقراطية كمطلب اولي وفي مقدمة كافة المطالب ونجعلها البديل الذي نناضل من أجله " .

والدكتور مبكراً ومنذ ان كان في حزب البعث صاحب رؤية مميزة

حتي في قضية الاشتراكية وربطها بالديمقراطية فهي " إتجاه جديد للانسانية لا تقف عند تحديد الملكية وتوزيع الثروات ولكنها هي " المجتمع العربي الحديث القائم علي أسس ثابتة من الوحدة والعدالة والحرية ضمن مفهوم انساني علمي " واثناء الانفصال يقدم ترجمته مع رفيقه سامي الدروبي لكتاب موريس دوفرجية ويؤكدان علي أن أهمية الكاتب تكمن في تبنيه للاشتراكية الديمقراطية [٢٢] .

ومبكرا يرصد او يتنبأ بأزمة الاتحاد السوفيتي حينما راح يتحدث عن النظام صاحب التجرية والحزب والنظرية الذي (لم يضع حرية للانسان موضع التكوين والبناء منذ البداية بل جعلها مشروعاً مؤجلاً وبرر لنفسه اتباع مختلف الوسائل) [٢٣] وعندما تنهار الكتلة الاشتراكية والاتحاد السوفيتي لا يعزي هذا الي فشل الاشتراكية ... فمازال التطلع للعدل الاجتماعي هو المحرك والامل ولكن "نمطاً معيناً من البناء والعمل الاشتراكي " الذي سارت عليه الكتلة الاشتراكية ويحدد قائلاً " جوهر الاشكالية هي عملية قسر التاريخ " لم تتشكل نظم ديمقراطية بل تحولت الي (نظم سلطوية واستبدادية وتحولت الي هذه الهيمنة الشمولية وفي النهاية عطلت مبادرات الأفراد واثرت علي امكانية لتطور الحر في المجتمع) [٢٤] وهكذا يقف غياب الديمقراطية وراء فشل الاحزاب أو الدول أو النظام العالمي ... وهكذا كان ومازال موقفه الصلب دفاعاً عن .. ومطالبة بالديمقراطية .

■ اما ثانـي هذه الدروس فيتـمثل فـي رؤيتـه النقـدية المتيقظة ورفضه للمذهـبة السياسـية أو الدوجمـاطيقية المغـلقة واصـــراره علـــي ان " الناصـــريـة " ينبغي ان تنـدفع " بالابداع " لا " بالاتباع " ومن ثم ضرورة الاجتهاد والانفتاح علي العصر وحاجات الأمه وفق الضابط المنهجي للناصرية .

ولقد كانت الناصرية في الخميسينيات هي التعبير الذي اطلقه
لاستعمار والرجعية علي كل الحركات والقوي التي ترفض الاحتلال أو
رجعية أو التجزئة أو كل القوي التي تؤيد عبد الناصر .. أو حتي
نقلابات العسكرية أو نزعات التهديم والتخريب (٢٥) .

وكانت الناصرية في الستينيات هي المنظمات والقوي التي التزمت
ر واستراتيجية عبد الناصر في الوطن العربي ، بينما كانت هي
رة والانجازات في مصر والتي تقوم علي اكتاف الدولة و في الوقت
تهدد بها .

وقد كانت الناصرية في السبعينيات تعني الفكر المقاوم والدور
ض لتحطيم انجازات الثورة بمصر ، والفكر المقاوم والدور المعارض
ت الردة المصرية والعربية عن نهج عبد الناصر .. وفي مواجهة
لاب القومي والاجتماعي .

لكن الناصرية ومنذ الثمانينيات تعاني مأزق وأزمة وجود ولن تبقي
و تؤثر كحركة إلا اذا قامت بعملية نقدية جريئة وبعملية ابداعية –
ية – شاملة المتغيرات والثوابت والضرورات ، ومن هنا تأتي
ت الدكتور جمال – والتيار الناصري في سوريا – مبكراً كدليل

علي فهم هذه الحقيقة .. وتأكيداً لضرورتها وامكانية تحقيقها ..

■ وثالث هذه الدروس هي تجربة بناء الحزب في سوريا منذ الستينيات بصفة خاصة ، مروراً بالسبعينيات والثمانينيات بصفة عامة ، وهذه التجربة اثبتت ان " زعماء العشائر " يؤخرون عملية البناء التنظيمي ولا يضيفون ويضيقون بالديمقراطية ولا يتنفسون إلا في الحلقية والامتيازات الضيقة ، وتثبت التجربة ان العمل التنظيمي يحتاج الي عقول مبدعة ولا يتحقق " بالعقلية النخبوية " أو " التآمرية " أن بناء حزب يعني بالضرورة وجود برنامج واضح .. وكوادر منفتحة علي الوعي والواقع ومندفعة نحو الجماهير ومتجاوزة " القبلية والشللية " .

ان التجربة في سوريا كانت ومازالت نموذجاً ينبغي ان يبدأ التيا[ر] الناصري في اي اقليم من حيث انتهت لا أن يعيد ما قطعته من خطوا[ت] فوق المحن والاشواك ونمو الخبرات ، وفي غياب هذا الفهم يصبح التيـ[ـار] في باقي الاقاليم بلا ذاكرة .. ومن ثم يكرر الاخطاء ويؤجل الانجاز ويجرب ولكن في زمن غير الزمان .... ومرحلة غير التي يفصلنا عـ[ـنها] حقب ثلاثة .

إن النقد الواعي للتجربة ولبعض النقائص في ا[لـ]... الناصري الذي مارسه الدكتور جمال في كتابه القيـ[ـم] " إطلالة علي الفكر الاستراتيجي " ويكمله في ... الكتاب ، يوازيه ويرافقه هنا نقد للمسألة التنـ[ـظيمية] وتكمن أهمية هذا النقد في صراحته وفي انه من داخـ[ـل]

دائرة الانتماء للناصرية ، كما تبرز أهميته في
ثارته لضرورة النقد لجيل جديد ... داخل كافة التيارات
مدخل للحوار المفتوح تحت ضوء الشمس ومن أجل
مراقة مستقبلية ... ديمقراطية ..

مجدي رياض

الجيزة يناير 1992

المراجع

١- حسن الأمين : الموسوعة الاسلامية ، بيروت ١٩٨٠ ، الجز
الخامس ص ٢٥٨ .
٢- جان هيرو : سوريا اليوم ، ترجمة الياس مليكي ، باريس
١٩٨٤ ص ٦٥ .
٣- فوزي الكيالي وآخرون :الموسوعة السياسية ، بيروت الج
الثالث ص ٢٨٦ .
٤- حسن الأمين : المرجع نفسه ص ٢٥٨ .
٥- جان هيرو : المرجع نفسه ١٢٩ .
٦- حسين سليمان : مدينة دمشق من سقوط الخلافة الاموية
زوال السيادة . الفاطمية ، رسالة دكتوراة ، القاهرة ١٩٧٦ ، المقدمة

٧- محمد العزب موسي : وحدة تاريخ مصر ، بيروت ١٩٧٢ ص ٢٠٦ .

٨- جمال حمدان : شخصية مصر ، القاهرة ١٩٨١ ، المجلد الثاني .

٩ - محمد عبد المولي : الانهيار الكبير ، بيروت ١٩٧٧ ص ٢٣ وانظر ايضا حسن الأمين في المرجع نفسه ص ٢٥٩ " كانت الشام بين عاملين : الاول دولة الاشوريين والبابليين اذا قويت احداهما يمتد سلطانها علي الشام او تكتفي من أهله والجزية وتجنيد بعضهم ، والثاني اذا كانت القوة (لفراعنة)مصر حكموا الشام أو اقتنعوا من سكانها بالجزية وبعض الجند ، وقد ظلت الشام تابعة لمصر واحياناً كانت تتبعها اسمية نحو اربعة قرون " .

١٠ - نيفين عبد المنعم : الاقليات والاستقرار السياسي في الوطن العربي ، القاهرة ١٩٨٨ ص ١١٧ .

١١- جان هيرو : المرجع نفسه ص ٦٦ .

١٢- فوزي الكيالي آخرون : المرجع نفسه ص ٢٦٥ .

١٣ - تبلورت هذه الفكرة في كتابين تم نشرهما ببيروت ١٩٨٩ الأول رحلة في عالم هؤلاء (الفريد فرج وفاروق خورشيد وصلاح ابوسيف) والثاني رحلة في عالم د . محمد عمارة المفكر الاسلامي القومي .

١٤- انظر الاهرام ١٤/٥/٦٣ " ٤ من وزراء البعث لم يدخلوا

وزارة البيطار " وانظر الاخبار " " فصل زهور والاتاسي من حزب البعث ".

١٥ – مطاع صفدي : حزب البعث مأساه المولد والنهاية ، بيروت ١٩٦٤ ص ٨٢ .

١٦- الأهرام ١٥/٣/١٩٦٣ .

١٧- مطاع صفدي : المرجع نفسه ص ٢٩٦ .

١٨ – المرجع السابق صفحة ٢٩٧ .

١٩- ذكرت وكالات الانباء – ٦ مايو ١٩٦٨ – خبر القبض علي د . جمال الاتاسي وايداعه سجن المزة ، وذكرت مجلة جويش اوبزرفر البريطانية في ٢٦/٧/١٩٦٨ قيام جبهة وطنية تقدمية فيها الاتحاد الاشتراكي .

٢٠- الاهرام ١٨/١١/١٩٧٠ " المرجح استنادا لمعلومات المصادر الموثوق بها في دمشق ان يتولي الفريق حافظ الاسد وزير الدفاع رئاسة الوزارة الجديدة التي سيتم تشكيلها علي أساس قومي خلال ٤٨ ساعة وكانت بعض الانباء قد ذكرت ان اتصالات قد جرت مع الدكتور جمال الاتاسي الوزير السابق ومع الدكتور سامي الدروبي لتشكيل وزارة تضم الفئات الوحدوية والقومية .

و الاهرام ٣٠/١١/١٩٧٠ وقد صرح الدكتور جمال الاتاسي الامين العام للاتحاد الاشتراكي العربي في سوريا بان الدول الاربع التي تضم اكثر من نصف العالم العربي اصبحت كلها دفعة واحدة علي خط

المواجهة ..

وقد دعا الدكتور الاتاسي - والذي يتمتع باحترام كل العناصر القومية - الي الاسراع بالخطوات الوحدوية بين الدول الاربعة لتعويض ما فات "

٢١ - الاهرام ٧٢/٣/٩ وقع الرئيس حافظ الاسد مساء أمس ميثاق الجبهة الوطنية ونظامها الاساسي . كما وقعه ايضا الدكتور جمال الاتاسي باعتباره امينا لحزب الاتحاد الاشتراكي العربي " .

٢٢ - موريس دوفرجية : مدخل الي علم السياسة ، ترجمة جمال الاتاسي وسامي الدروبي دمشق .

٢٣- جمال الاتاسي وآخرون : في الفكر السياسي دمشق ١٩٦٣ ج ٢ ص ١٢٧ .

٢٤- جمال الاتاسي : النظام العالمي الجديد . سلسلة اوراق عربية ، بيروت ١٩٩١ .

٢٥ - مطاع صفدي : التجربة الناصرية والنظرية الثالثة ، بيروت ٩٧٣/ ص ١٣٦ .



القسم التاريخي

وقائع واحداث

١
الجـــيل

[قد تمنحونهم حبكم ولكن دون افكاركم فلهم أفكارهم ..لقد تؤوون أجسادهم لا أرواحهم فأرواحهم تسكن فى دار الغد ..وفى وسعكم أن تجتهدوا لتكونوا مثلهم ولكن لاتحاولوا أن تجعلوهم مثلكم ....فالحياة لا تعود القهقرى ولا هى تتمهل عند الأمس]،

جبران خليل جبران

(كتاب النبى)

● فى بداية الحديث نود الوقوف على قضية هامة فى رصد تاريخ الحركة الناصرية ، انها قضية "الجيل" .. ووفق تعبير الزعيم الرّاحل فإن "جيل تحدى اليأس" الذى قام بالتغيير يوم ٢٣ يوليو هو جيل الثورة .. ، هذا الجيل فى مصر عانى - ما قبل الثورة - تداعيات الأزمة الوطنية من ملكية وإحتلال وظلم اجتماعى ...الخ ، وكانت مهمته الأولى هى إلغاء النظام الملكى وإنهاء الاحتلال ثم أتت القضية الاجتماعية والقضية القومية كدرجات تالية فى سلم الأولويات ..

ماذا عن "الجيل" المقابل له فى المشرق العربى وخاصة فى سوريا ؟! وهل كانت المسألة القومية أو أية مسألة أخرى لها الأولوية ؟!

وهل يرجع ذلك الاختلاف عن "جيل مصر" إلى طبيعة الظروف والمشكلات هنا بسوريا ؟

□عند الإجابة على هذا السؤال لابد وأن نحدد تعريف كلمة الجيل .. ، هل يقصد بها الجيل الاجتماعى - كل الشريحة السنية - أم يقصد بها الجيل السياسى أى الطليعة المناضلة حتى وإن كان معظمها ينتمى إلى مرحلة سنية واحدة .. هى مرحلة الشباب ؟!

نحن بالطبع نميل إلى التعريف الثانى ، ومن ثم فإن الجيل الذى سنتحدث عنه هو تلك الشريحة القيادية - الطليعة - التى تتقدم القوى الاجتماعية والثقافية والسياسية وتسعى بالتوعية وبالتنظيم لتطالب بالتغيير وتدفع إليه ، فالجيل السياسى حركة وعى .. ودور قيادى مرتبط بواقع المجتمع وواقع الجماهير وآمالها ..

هذا الجيل - الطليعة كما تبلور فى مصر .. تبلور أيضاً فى الوطن العربى ، فلقد عاش نفس الظروف والمصاعب والمعاناة .. وعاصر دخول أمته فى خضم الصراعات الدولية إبان الحرب العالمية الثانية وما أعقبها من متغيرات وتوزيع مواقع النفوذ وصراع الاستعمار القديم مع الجديد .. ورغبة الأخير فى إعادة ترتيب وتنظيم المنطقة بل والعالم .. ، ومن جهة أخرى عاصر هذا الجيل

طموحات التحرر ويقظة العالم الثالث والمنحى الجديد فى صنع كتلة غير منحازة ...الخ ..

هذا الجيل أيضاً فى سوريا واجه تحديات آثار الاستعمار الكولونيالى ورواسب العهود الماضية ، ومثل نظيره فى مصر كان يهدف إلى الخلاص من الطبقة التى كانت سائدة ومسيطرة والتى ترعرعت فى ظل الإنتداب والحكم الاستعمارى ثم اتخذت فيما بعد صيغة تحالف بين الإقطاع والرأسمالية التابعة للسياسات الإمبريالية وبرزت كطبقة واحدة لتحل محل الاستعمار القديم .

أما الاختلاف أو لنقل درجة الاهتمام والأولوية بين الطليعة فى مصر والطليعة فى سوريا فإنه قد برز فى المسألة القومية ، فالقومية العربية كانت فكرة ضاغطة وطاغية على برنامج الطليعة فى سوريا .. والدعوة للوحدة العربية كانت لها الأولوية فى مطالب هذا الجيل ، وربما يكمن السبب فى طبيعة ظروفنا وخصوصية واقعنا بالمشرق :

١) فمن ناحية تاريخية واجتماعية كانت سوريا ضحية إنقسامات اجتماعية وسياسية وطائفية قام بترسيخها الحكم العثمانى والتخلف والاستعمار الاجنبى ، هذه الانقسامات فرضت على الطليعة هنا أن تدرك بوضوح أهمية الدعوة القومية وضرورة

الوحدة كتطلع مشروع - إلى جانب كونه حقيقة تاريخية - لتجاوز هذه الانقسامات المعوقة لوحدة هذا القطر .. ونزوع شعبه للحرية والتنمية .. ، "فالموزاييك" السورى مهدد بالانفجار إذا ما انحصر مشروعه فى إطار إقليمى .. بينما المشروع القومى الكبير هو الضمان الحقيقى للتماسك الاجتماعى والتطور ..

٢) ومن ناحية تاريخية وجغرافية أيضاً لم يكن هناك قبل عهد الانتداب الفرنسى ما يسمى بحدود سوريا الحالية .. بينما مصر بحدودها المعروفة لنا كانت موجودة من آلاف السنين فى ذات المساحة والحدود ، وشعبها الكبير يحمل قدراً من المقومات والبنية الاجتماعية المتماسكة والتى لا تعانى من التمزق الوطنى ، ومن هنا كانت المسألة القومية ضرورة ملحة ومطلباً وطنياً عاجلاً بينما فى مصر كانت أقل درجة .. وبتوتر أخف ..

٣) ومن ناحية تاريخية وفكرية فإن الوعى القومى برز فى المشرق مبكراً عنه فى مصر أو المغرب العربى ، وقد تكون ظروف الحقبة العثمانية وقبضتها الأعنف فى المشرق وكذلك المجازر أو "الشوفونية" الطورانية كلها أسباب وراء هذا البروز المبكر لذلك الوعى ، ولكن بصفة عامة وفى كل معارك الحركة الوطنية ، هنا ضد الانتداب الفرنسى أو الطبقة التى ورثته أو حتى فى البحث عن

هوية وشخصية وطنية كانت القومية والعروبة جزءاً أساسياً ورئيسياً فى صلب مطالب الحركة الوطنية .. ، بل وظهرت قوى ومنظمات تتبنى الفكر القومى والدعوة للوحدة العربية ..

مرة أخرى أعود لأؤكد على أن الفارق كان فى الدرجة وفى الأولوية ،وكانت الثورة وزعيمها ذات توجه قومى .. ويكفى أن تكون حرب فلسطين هى الهاجس الضاغط على جيلنا هنا بضرورة الوحدة لتجاوز الهزيمة - ١٩٤٨ - وفى الوقت نفسه تكون المحرض المباشر للجيل فى مصر - الضباط الاحرار - لضرورة التغيير وأن المعركة تبدأ من القاهرة .. ، إن مأساة فلسطين قد كشفت خطر النضال الإقليمى وحصره فى الأطر الضيقة التى وضعها الاستعمار .. ومن ثم ارتفاع صوت النضال القومى والوحدوى بين هذا الجيل ..

● ولكن كان فى المشرق أيضاً دعوات إقليمية وارتفع صوتها وقدمت مشاريعها !!

□ هذه المشاريع - كمشروع سوريا الكبرى أو الهلال الخصيب - طرحت للقضاء على التيار الوحدوى ، فلم تأت هذه المشاريع كلعبة فقط من النظم المسيطرة والمتعاونة مع الاستعمار القديم أو الجديد الذى بدأ يفرض سيطرته وهيمنته على المنطقة اقتصادياً وسياسياً ،

بل أتت أيضاً لترضى التطلع الوحدوى القومى المتأجج .. ولكن بصور وصيغ تحكم هذا التطلع وتأطره ضمن حدود السيطرة والهيمنة الاستعمارية ..

وفى هذا المناخ جاءت الانقلابات العسكرية لتجهض حركات التحرر الوطنى .. فتحت شعارات التعبير عن مطالب الجماهير ونقمتها من "الطبقة البورجوازية الحاكمة" أتت هذه الانقلابات بينما كان هدفها إزاحة هذه الطبقة الضعيفة غير القادرة على بناء نظام رأسمالى واضح وقوى .. وغير قادرة على تأسيس نظام سياسى قوى يواجه مطامح الشعب الوطنية والاجتماعية ، ومن هنا كانت الانقلابات تأتى بشعارات جماهيرية لضرب أهداف الجماهير ولتحقيق مطالب الاستعمار فى التبعية والسيطرة .. ضمن مشاريع عديدة ومضللة مطروحة من قبل هذا الاستعمار .

● **هل كان هذا الوضع هو السبب وراء التحفظ والحذر من جيلكم في سوريا تجاه ثورة يوليو ؟**

☐ نعم .. فقد نظر إليها من منظور الانقلابات العسكرية بسوريا .. ومن ثم تصور أنها أداة أو "لعبة" فى يد الاستعمار تقوم بتحقيق رغباته فى السيطرة .. وفى التعامل مع الطبقات داخل المجتمع ..

● **هل هذا الحذر إتخذ شكل الندوات والتحليلات الحزبية أم ظل**

ضمن إطار الأحاديث السياسية العامة ؟!

□ عندما قامت ثورة يوليو كانت سوريا فى ذلك الوقت تحت حكم ديكتاتورى .. وهو نظام «أديب الشيشكلى» ومن ثم فإن الجو السياسى لم يسمح بوجود حركة سياسية نشطة كالندوات أو التحليلات الحزبية .. ، لكن كانت هناك بعض النشرات الخاصة والتى تصدر عن المجموعات الشيوعية واليسارية وبعض الأطراف القومية ، هذه النشرات كانت احياناً تتهم وأحياناً تثير الشك وتقارن بين الثورة وبين الانقلابات التى نعانى منها فى ظروف قطرنا ...

● **متى بدأ التحول فى النظرة إلى ثورة يوليو لدى الطلائع الثورية فى سوريا ؟ وهل هناك حدث بعينه وقف وراء ذلك أم وقع التحول بالتدريج ؟**

□ بالطبع بدأت تدريجيا هذه النظرة السلبية تتراجع أمام صعود النظرة الايجابية للثورة ، كانت البدايات مع خطوات الإصلاح الاجتماعى لصالح الطبقات الشعبية - الغاء الالقاب، محاكمة الفساد ، الاصلاح الزراعى ، .. الخ ..- وفى نهاية عام ١٩٥٣ وبداية عام ١٩٥٤ بدأت الانظار تتجه للصراع القائم فى القاهرة بين اللواء محمد نجيب وبين البكباشى عبدالناصر ، ودخول

القوى السياسية التقليدية إلى جانب نجيب .. بينما التفت القوى الجديدة حول عبدالناصر ، وسرعان ما أمسك عبدالناصر بالقيادة ..

ثم اتضحت مواقف عبدالناصر من اللعبة الاستعمارية - رغم وجود القوات الانجليزية آنذاك - وسعيه لإنجاز اتفاقية الجلاء وسط تصعيد الكفاح المسلح فى مدن القناة ، ثم سعيه لكسر احتكار السلاح والحديث عن الحياد الايجابى ورؤيته الاستراتيجية فى فلسفة الثورة ، كل هذه الأمور بدأت تكشف أمامنا حقيقة ما يجرى فى مصر .. ، وبدأت نظرتنا تتغير ..

فى الوقت نفسه كانت سوريا تشهد مناخاً من التحرك الوطنى العريض ، شاركت فيه كل القوى للتخلص من الديكتاتورية العسكرية ، ثم استطاعت هذه القوى وبفضل العناصر الوطنية الشابة داخل الجيش أن تقف فى وجه مشاريع الوحدة مع التاج العراقى والهلال الخصيب ... الخ ، وأن تسعى فى اتجاه التغيير ...

فى هذا الإطار أذكر أننى قمت بمهنة حزبية إلى لبنان لكى ألتقى بالقيادة القومية المتواجدة هناك والتى ابتعدت عن بطش الشيشكلى مثل ميشيل عفلق وصلاح البيطار ، فى هذا اللقاء جرى تقييم الوضع فى مصر بعد إبعاد نجيب وبروز القيادة الجديدة ،

وكانت مصر قد شكلت لجنة - أعلن ذلك فى الإذاعات، - لوضع مسودة دستور جديد ، وعلى ضوء ذلك اقترح الأستاذ ميشيل عفلق وكذلك المرحوم كمال جنبلاط - وكان قد انضم للحوار وللاقتراح - بإرسال برقية باسم حزبيهما إلى عبدالناصرآملين فيها أن ينص ذلك الدستور على الإنتماء القومى العربى لمصر وعلى إلتزامها بقضية وحدة الأمة العربية .. ، ولكن عبد الناصر كان سباقاً فى ذلك فقد خرج الدستور وهو ينص على أن مصر جزء لا يتجزأ من الأمة العربية ..

وتوالت بعد ذلك الأحداث لتؤكد زعامة عبد الناصر وتوجهه القومى .. (إذاعة صوت العرب .. تدعيم الثورات وحركات التحرر العربى .. مواجهة المخططات الاستعمارية فى المنطقة .. الخ) ، إلى أن هز العالم .. وفجر طاقات الأمة بمعركة تأميم قناة السويس والتى أصبح بعدها بلا منافس فى قيادة الأمة العربية من مشرقها إلى مغربها ..

● هذا التحول من الواضح أنه كان ضمن هموم القطاع الوحدوى فى "جيل الثورة" بسوريا ، ماذا عن القوى الماركسية ؟ فهناك إنطباع بأن الماركسيين قد اتخذوا موقفاً مضاداً من عبدالناصر خاصة بعد حل الأحزاب فى مصر ، فهل كانوا من ضمن القوى التى

تجاوبت مع ما يحدث فى مصر آنذاك أم لا ؟ .

□ الموقف الشيوعى جاء متأخراً .. لأنه فى البداية كانت رؤيتهم تتركز على الاتهام والإدانة للثورة فى مصر ، وذلك ضمن نظرتهم لكل القيادات والثورات فى العالم الثالث والتى كانوا يرونها "لعبة استعمارية" أو حركة تابعة للاستعمار ، وقد زاد من تصلب موقفهم بالفعل ضرب الشيوعيين بمصر .. وارتفعت أصوات الإدانة للحكم الناصرى ..

ولكن بعد تبلور المواقف في القاهرة ، وبصفة خاصة بعد مؤتمر باندونج ، أخذ الموقف الشيوعى يتحدث عن الحكم في مصر بأنه حكم وطنى .. ، وقد ساعد على قبول هذه النظرة ظهور تكتل وطنى فى مجلس النواب السورى - ١٩٥٥ - حيث تكونت جبهة تضم الحزب الشيوعى وحزب البعث وأطرافاً وطنية أخرى ، هذه الجبهة كانت تدير الصراع مع القوى الرجعية بالداخل .. وتسعى فى إتجاه العمل القومى والقاهرة على وجه الخصوص .. وتصاعد هذا السعى للمطالبة بالوحدة فيما بعد .. وقد كان الشيوعيون أقل إندفاعاً وطرحوا الوحدة ولكن بتحفظات عديدة ..

● **قبل الدخول إلى مرحلة الوحدة ثم الإنفصال .. نريد الوقوف قليلاً أمام الشريحة القومية من هذا الجيل - الطليعة - وبالتحديد**

حزب البعث ونرصد ظاهرة إندفاعها للوحدة مع مصر عبدالناصر ثم اندفاع جزء منها إلى الانفصال ثم إنقسامها على نفسها فيما بين الوحدة والانفصال ؟! كيف بدأت الظاهرة ؟ وما آلت إليه ؟

□ فى البداية يجب أن نشير إلى طبيعة حزب البعث الذى اتسم بطابع الإطار التنظيمى الواسع والجامع للتيارات والاتجاهات المتعددة ذات الانتماء الوحدوى ، هذا الإطار إندفع بحماس تجاه الوحدة واستطاعت قيادته بإقناعه بضرورة حل نفسه تحت حجة أن الإتحاد القومى سوف يكون تنظيماً جماهيرياً أوسع لنشاط كوادر الحزب وسيكون الصلة بين هذه الكوادر وبين عبدالناصر ..

فى داخل تجربة الوحدة اندمج قسم من الحزب مع التجربة ونظام الحكم ، وقسم آخر تمسك بالوحدة وتحفظ تجاه نظام الحكم بسوريا ، وقسم ثالث بدأ يتحرك وفق تحفظاته تجاه نظام الحكم ليحرض وينقد التجربة الوحدوية ، وهم يعلمون أن هذا الموقف سيؤدى للإنفصال بل عملوا وساعدوا قوى الانفصال بوعى وإرادة ..

بعد الإنفصال إنقسمت هذه الشريحة القومية .. فالتيار الأوسع والعريض ذهب إلى الناصرية وأدان القيادات البعثية التى اتخذت موقفاً داعماً لحكم الإنفصال ، وحاول البعض تجسيد الاتجاه الوحدوى بإعادة تشكيل الحزب فى سوريا خاصة وأن الحزب -

البعث - كان محافظاً على وجوده القومى فى لبنان والعراق والأردن ، ولكن هؤلاء رفضوا انضمام الأطراف المدانة بوقوفها مع حكم الانفصال ، وحتى فى هذا التشكيل الجديد للحزب حدثت صراعات داخله بين الإتجاه الذى يريد أن يقدم الحزب على قضية الوحدة بحيث تكون الأخيرة نتيجة لامتداد وقوة الحزب ، وبين الإتجاه الآخر الذى ينظر إلى المرحلة على أساس انها فرصة تاريخية للأمة ولوحدتها بإعادة الوحدة مرة أخرى بين مصر وسوريا ..

وبعد تردد من التشكيل الجديد .. وبدافع من التيار الوحدوى داخله اتخذ الحزب موقفه ضد حكم الانفصال ، وبدأ يتفاعل مع القيادات الناصرية فى المطالبة بعودة الوحدة ، وبينما كان الناصريون يطالبون بالوحدة أولا مع مصر ، كان البعثيون يطرحون صيغاً جديدة كمشروع الوحدة الاتحادية وغيرها ، وبينما كانت المحاولات تجرى لخلق تحالف فعلى وجبهة ذات ميثاق عمل للحكم بين البعثيين والناصريين ، أتى انقلاب ٨ شباط (فبراير) بالعراق وصعد حزب البعث هناك للسلطة . مما أعطي قوة للحزب فى سوريا وهز الأوضاع لحكومة الانفصال ، وتتابعت الأحداث لتندفع القوة العسكرية من حزب البعث وتستولى على السلطة فى سوريا بانقلاب ٨ آذار (مارس) .. ، ثم ما تلي ذلك من أحداث ومناورات وتصفيات للتيار الناصرى والوحدوى داخل الجيش والحكم مما أفشل

مباحثات الوحدة الثلاثية وأدخل سوريا إلى نفق الاقليمية والاستبداد والعداء للقاهرة ..

● **بالنسبة للتيار الوحدوى الأصيل داخل حزب البعث آنذاك أو بالنسبة للناصريين كيف يمكن أن نفهم سيطرة مجموعة عسكرية أو غير وحدوية على الحكم - فى الانفصال - أو إعادة السلطة مع رفض الوحدة - ٨ آذار - بينما الجماهير الشعبية بزخمها الثورى وبتضحياتها ومبادراتها - مظاهرات وإضراب ومواجهات - لا تجد من يقودها ؟! وهؤلاء - الوحدويون - لا يستطيعون حسم المواقف ولا تغيير الأوضاع؟**

□ الحقيقة أن هذه الأحداث تحتاج إلى تحليلات وإعادة قراءة تاريخية ، ولكننا سوف نحاول أن نلتقط الخطأ الجوهرى وراء هذا القصور إنه عدم تأطير الجماهير وقيادتها .. ، إن جيلنا تقدم لمواجهة المصاعب والتحديات واندفعت قوى اجتماعية شعبية معه كالعمال والفلاحين ، لكنه لم يكن ممسكاً بزمام حركة الجماهير إلا فى حدود ضيقة.، فعندما تحرك الشعب فى الوحدة أو فى أيام الانفصال كان الذى يسيطر عليه ويقوده ويقيده زعاماته التقليدية والعشائرية - فى الحى والاسرة والقرية .. الخ - هذه الزعامات كانت مغلوبة على أمرها فلا هى تملك الوعى أو المنظور الثورى ولا

هى قادرة على نقل حركة الجماهير فى إتجاه التغيير .. بل إن بعضها دون وعى أو بالمصلحة دفع الأمور فى الاتجاه المضاد ..

وقد تكون إحدى ثغرات جيلنا والتى كنا نغفلها .. أن العقلية السائدة هى "العقلية النخبوية" ، فهذا القصور يتمثل فى التصور الصورى للمسألة : فما دمنا نمتلك الوعى ونمسك بالحقيقة ونخلص للقضية فإن الشعب سوف يندفع وراءنا .. ، ولم ندرك أن هذا الشعب أسير ومكبل بميراث واقعه الاجتماعى والثقافى .. ، وأنه لن يتجاوز هذا إلا إذا ارتبطت به الطليعة ارتباطاً عضوياً .. وأن نساعده على شعوره بامتلاك إرادته وتحديد هدفه ..

لقد بدأ هذا الجيل - جيل الثورة - حركة وعى واستيعاب وجهد نضالى ، لكنه لم يستطع أن يصل إلى تحريك وقيادة الكتلة الشعبية والقاعدة الجماهيرية ، ومن ثم لم يستطع أن يبنى حركة تاريخية أو ثورة آنذاك ، لقد استطاع عبدالناصر أن يحقق الارتباط العضوى بينه وبين الشعب .. ومن ثم استطاع أن يخلق كتلة شعبية واسعة وعريضة شاركت معه فى صنع الدور التاريخى والتغييرات الكبرى بالمنطقة والعالم ..

ومن عجائب الأمور أننا كنا نظن أنفسنا طلائع متقدماً فكراً ومعاناة ونضالاً عن عبدالناصر فى البداية ، ثم وجدناه أمامنا

ومتقدماً علينا وشعرنا بما صنعه للجماهير وبالجماهير ..

إن الجماهير فى الوحدة والانفصال تحركت عضويا ، والقيادات التقليدية والعشائرية كانت هى الأكثر ارتباطا بها ، بينما القيادات الوحدوية بمعزل عنها وأسيرة عقليتها النخبوية ..

● **هذه الأسباب وقفت وراء عدم سيطرة "جيل الثورة" على زمام الأحداث فى سوريا أثناء الوحدة والانفصال ، ولكن الوعى النقدى بعد سقوط الانفصال لدى قيادات فى هذاالجيل - وخاصة الناصريين - لماذا لم يجن فى المسار العام ثمار الزخم الشعبى الناصرى فى إطار وحدوى يقود ويغير ويحكم ؟ فى سوريا أو مصر ؟**

☐ من واقع عملى السياسى مع القيادات الناصرية فى تلك الفترة استطيع القول بأن هذه القيادات كلها كانت تأخذ صفة القيادات الوحدوية ، بينما معظم هذه القيادات لا أستطيع أن أضعها ضمن جيل الثورة .. لأنها فى حقيقة الأمر ركبت الموجة ..

أما جيل الثورة فهو جيل آخر .. جيل يحيط ويستوعب ويمثل القدوة والنموذج ، هذا الجيل دخل فى صراع مرير مع هذه المجموعة من القيادات فى سوريا ، وقد عانينا طويلاً من هذه المسألة .. ، بالإضافة إلى أن كل القيادات كانت متخلفة جداً عن عبدالناصر ، وبينما كان هو القيادة والدولة فى مصر ، فإننا فى سوريا كنا نعانى

غيابه عن الدولة وحضوره كقائد ..

لقد كانت المشكلة بالنسبة لنا منذ البداية هى كيفية صياغة حركة تستوعب التفاعل بين زعامة تاريخية تستقطب الجماهير وبين عملية تأطيرها وإستيعاب وجدانها . إن هذه الجماهير كانت عيونها معلقة على القاهرة ودولة عبدالناصر وكانت هذه الدولة غير ثورية – (الصراعات بين الاجهزة – العقلية العسكرية التى تريد أن تسيطر– القوى القديمة..الخ) ، وكانت قيادة عبدالناصر الثورية لا يمكنها أن تكشف كل شىء أمام الجماهير إلا فى حينه .. ، ومثلما غاب الوسيط – التنظيم – الثورى بين القائد وشعبه فى مصر .، مثلما كانت المشكلة أفدح هنا فى سوريا.. لغياب هذا الوسيط ، ولتواجد القيادات هنا وهناك التى تركب الموجة وتتدعى الانتماء لفكر وثورة ناصر ..

المسألة باختصار لم تكن سهلة .. ولم تكن الظروف مهيأة .. فالأحداث الجسام متوالية ، والموروثات السياسية والتنظمية معقدة .. ولكننا حاولنا هنا أن نصيغ قدر إستطاعتنا هذه الرؤية وتلك الحركة التنظيمية المميزة ..

أتت النكسة ثم رحل عنا عبدالناصر ، وأصبحت المعاناة واضحة وبصورة أفدح ، وأحس الشعب بالضياع .. وراحت

القيادات الناصرية بدلاً من سد فراغ غياب الزعيم بقيادة طليعية ثورية .، تبحث عن المخلص المنقذ وبدأ كثير من القوى الناصرية بلبنان تأمل خيراً فى السادات وتراهن عليه حتى بعد أن كشف مخططه وتآمره منذ مايو ١٩٧١ م ، وتعددت المراهنات .. وأغفل الحل النضالى .. والارتباط بالجماهير وبناء التنظيم ..

● **بعد هذه المرحلة الطويلة من التجربة والخطأ .. من النضال والمعرفة من الاكتشاف والنقد ماالذى يمكن أن تلخصوه كجيل ؟! وماذا تقولون للجيل الجديد من الناصريين ؟!**

□ نحن نقول أننا ممسكون بخط الثورة الناصرية .. ، نحن الجيل الذى تبلور من خلال حركة التفاعل مع الاحداث والتبدلات التاريخية الكبرى التى كانت فى مرحلة قيادة عبدالناصر .. ، وشهد الإنجازات التى حققها .. والإندفاع الشعبى العارم الذى انفجر فى الأمة كلها ، لقد كان هناك نهوض لأمة .. وكان هناك خط ومسار ناظم لهذا النهوض أعطى مقومات كانت إيجابية ومنسجمة مع مسار التاريخ بحتميته الإرادية لا الجبرية ..

الآن وفى ظل غياب عبدالناصر الذى لعب دور القيادة والحزب الثورى والدولة أيضاً ، لا يمكن سد هذا الفراغ الكبير إلا بقيادة قوى طليعية .. جيل ثورى متماسك له هدف وإطار ناظم ، ولهذا فإن الجيل

الذى نشأ بعد النكسة وبعد حركة الردة ونشعر به يتحرك فى ارجاء الوطن العربى ، منوط به هذا الدور .. ، إنه جيل يتحدى اليأس أيضاً لأننا رجعنا لمواقع ما قبل الثورة وإن كانت بصيغة أخرى : فالإقليمية عادت والمصالح الضيقة برزت .. ويعاد صياغة نمط جديد من الرأسمالية ينهب الداخل ويصب للخارج .. مستعمرين من داخلنا بسيطرة واستبداد النظم ومن الخارج بالتبعية الثقافية والاقتصادية ..

هذا الجيل الجديد مطالب بتحدى اليأس وهو يحمل إرادة التغيير ، ودور جيلنا أن ننقل له الوعى بتجربتنا .. وننير له حقائق المرحلة التى عاصرناها مع عبدالناصر بسلبياتها كما نراها نحن لا كما تراها قوى الردّة .. وإيجابياتها العظيمة دون أن نلوى الحقائق أو ندعى ما لم يكن، علينا أن نعطى تجربتنا ونتواصل مع هذا الجيل الجديد لأن الإنسان الثورى لا تنطبق عليه هذه التسمية إلا إذا كان فى تواصل ذاتى مع نفسه ، وفى تواصل مع الأجيال التالية .. أن ينقل تجربته ومعاناته للجيل الذى يأتى من بعده ..

إن هذا الجيل الجديد مطالب بالثورة .. فالوضع الراهن لا يمكن أن يتغير بمجرد إصلاحات وتعديلات فى هذا الواقع العربى أو ذاك ..، بل بحاجة إلى ثورة جذرية .. وهناك الشعب الذى أعطى من قبل ويمكنه أن يعود ويعطى من جديد ..

***

٢

الرجـــــل ..
من الـوحـدة
إلـي الانفصال

[إنه ليحز فى نفسى أن تكون وقفتى هذه كأجنبى .. وكأننى ما كنت فى يوم من أيام الشموخ مواطناً في جمهورية أنت رئيسها .... ثم انفجر فى البكاء]

سـامـى الـدروبى

فى تقديم أوراق اعتماده كسفير لسوريا بمصر للزعيم الراحل فى ١٩٦٧/٤/١٦ .

● **كانت هناك ظروف وضغوط خارجية - الاستعمار ، حلف بغداد - وضغوط داخلية - صراع الجيش ، الطائفية .. الخ - وراء الاندفاع نحوالوحدة الاندماجية - ١٩٥٨ - مع مصر ..**

وكان هناك أيضاً حزب البعث كقيادة للتيار القومى آنداك - ما قبل الوحدة - والذى لعب دوراً نشطاً وضاغطاً فى هذا الإتجاه .. ، وستتركز الأسئلة فى هذا الفصل على ذلك التيار القومى وأنت أحد قياداته التى تفاعلت مع الأحداث من الوحدة إلى الإنفصال ..

السؤال الأول عن موقعك التنظيمى وموقعك الاعلامى الذى شاهدت من خلاله وقائع الأمور ؟

☐ فى الأيام الأخيرة من عام ١٩٥٧ ومطلع عام ١٩٥٨ كنت

عضواً فى القيادة القطرية لحزب البعث فى سوريا وفى المكتب الدائم لتلك القيادة ، وكذلك فى المكتب السياسى للحزب والذى كان يضم أعضاء من القيادتين القومية والقطرية ، وإلى جانبهم أعضاء من بين ممثلى الحزب فى الوزارة والمجلس النيابى .. ، وأخص هذه الفترة لأنها كانت تشهد نشاطاً مكثفاً من المكتب السياسى وعملاً لا يهدأ من أجل دفع الأمور وتذليل العقبات والبحث عن أفضل الوسائل لتحقيق الوحدة وإقناع عبدالناصر باتخاذ الخطوة اللازمة مع محاولة تنفـيذ كافة مطـالبه ..

أما على المستوى الإعلامى فكنت أشرف على تحريرالصفحات النظرية والفكرية بجريدة البعث ومن محرريها الدائمين ، وقد بدأت منذ عام ١٩٥٧ الكتابة عن "مصرالثورة" ونهوضها بقضية القومية العربية وقيادة التحرر العربى وسياسة عبدالناصر ونهجه الثورى ..، ولكأننى أخذت أحاول منذ ذلك الحين فتح الحوار مع عبدالناصر كقائد للأمة ولحركة التحرر .. ، فكنت لا أنفك عن الكتابة والتعليق على كل موقف يتخذه أو خطاب جماهيرى يلقيه ، وكانت لدى إنطباعات بأن عبدالناصر يولى إهتماماً خاصاً لحركة «البعث» والتيار القومى التقدمى الوحدوى فى المشرق العربى ويتابع كل ما يكتب ويعمل فى هذا الإتجاه ..

● **السؤال الثانى عن رؤية هذا الإتجاه القومى وعلى وجه الخصوص حزب البعث لعبدالناصر ، ففى الفصل السابق أشرت إلى المتابعة الدقية**

من قيادات الحزب للمتغيرات داخل مصر .. ولدور عبدالناصر وانتهت بالخضوع لكل مطالبه ، ما هى أهم المحطات ..المواقف .. الآراء الخاصة لقيادى الحزب عن القائد أو ما كان يجرى فى مصر ؟

☐ كما ذكرت من قبل فإن المتابعة واكتشاف الدور الثورى والقيادى لعبد الناصر قد بدأ منذ عام ١٩٥٤ ، وعندما تصاعدت الأحداث العربية وأخذت الطلائع القومية التقدمية تنهض فى مواجهة القوى الرجعية وسياسة الأحلاف خلال ١٩٥٥ / ١٩٥٦ ، كانت سوريا تشهد تغيرات سياسية وشعبية قادت إلى حكومة ائتلافية تضم قيادات قومية وتقدمية ، فى هذه الفترة أخذت قيادة البعث تدفع بإصرار نحو بناء جسور لوحدة النضال العربى يكون مرتكزها الأساسى مصر عبدالناصر .. ، وقد جاءت معركة تأميم القناة لتؤكد على هذا النهج .. وعلى أن الجماهير العربية والقوى القومية والتقدمية قد وجدت فى مصر وقيادة عبدالناصر ضالتها المنشودة لشق الطريق نحو إنجاز مهام الهدف التاريخى فى الحرية والوحدة العربية ..

هذه الرؤية أو هذه القناعة تولدت لدينا من خلال ما نقله إلينا قادة حزب البعث الأوائل الذين كانت لهم لقاءات مباشرة وإتصالات وحوارات مع الرئيس عبدالناصر بدءاً من عام ١٩٥٥م ، كالمرحوم صلاح الدين البيطار – وزير خارجية حكومة الجبهة الوطنية – والأستاذ اكرم الحورانى – رئيس المجلس النيابى السورى – والمرحوم ميشيل عفلق الأمين العام

للحزب ..

وأذكر فى هذا المجال أول زيارة للمرحوم صلاح البيطار لمصر ، فعندما عاد التففنا حوله وكلنا لهفة فى معرفة التفاصيل والانطباعات التى تولدت لديه من هذه الزيارة ، فكانت أهم النقاط التى ركز عليها بانبهار شديد هى تماسك المجتمع المصرى بين المسلمين والأقباط ، ووحدة المذهب بين المسلمين «سنيون ويتبعون الإمام الشافعى» وحتى الأقباط نفس الوحدة «أرثوذكس» ، وخلص من هذا إلى أن مصر كما كنا نقول هى المهيئة لقيادة المجتمع العربى نحو الوحدة خاصة فى وجود ودور الثورة وعبدالناصر ..

● **هل كان هذا الإنطباع هو الوحيد لدى المرحوم صلاح البيطار والمعروف عنه العقلانية والتحليل ؟**

□ هذا الإنطباع هام جداً بالنسبة لنا فى سوريا .. فهو محور همنا وإهتمامنا ولذلك نجد نفس التركيز فى آراء باقى الإخوة ..

● **هل يمكن إعطاءنا مثلاً آخر ؟!**

□ نعم .. الأستاذ أكرم الحورانى .. فقد كان على رأس وفد برلمانى لتعزيز الروابط والتحالف مع مصر ووقع العدوان الثلاثى فاحتجزته الظروف هناك ، وعند عودته تحدث معنا عن مشاهدات وانطباعاته بكل انفعال وكان منها هذا الموضوع ، فقد أخذ يقيم المقارن

بين ما يعشش فى المجتمع السورى من "موزاييك" للعصبيات الطائفية والعشائرية والعنصرية ومن ايديولوجيات متنافرة وبين التماسك القوى والقومى للمجتمع المصرى بحيث يكاد يشكل طائفة واحدة وثقافة واحدة ، ثم أخذ يؤكد على أن الطريق للوحدة أصبح ممهداً فليس هناك مرتكز مثل مصر تتوجه اليه سوريا وليس مثل قيادة عبدالناصر كقيادة وطنية متميزة يصح الاندفاع وراءها ..

● **ما هو رأي الحوراني عن قيادة عبد الناصر آنذاك خاصة بعد مشاهدته عن كثب لأهم الأحداث بمصر - معركة التأميم - وهل وضح هذا الرأي ؟**

□ كان رأيه شديد الانبهار والإعجاب بشخصية عبدالناصر القيادية، ووصف لنا كيف فتح مخازن الأسلحة للشعب دون تحفظ أو تمييز ليدافع الجميع عن الوطن ، وأسهب فى وصف العلاقة والثقة المتبادلة بين الشعب وقيادته ، وكان يكرر تشبيهه لشخصية عبدالناصر الفذة بشخصية الخليفة عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - فى أصالتها وصلابتها وتحملها للمسئوليات والتحديات الكبرى ..

● **ولكن هذا نقيض رؤيته ومواقفه فيما بعد ؟!**

□ موقف الحورانى وآخرين من القيادات البعثية تغير وتبدل نتيجة لظروف خاصة وشخصية وكذلك ظروف عامة مختلفة لسنا بصددها الآن..

● نعود للأستاذ صلاح البيطار ماذا عن رؤيته الموضوعية والعقلانية ؟!

□ المرحوم صلاح البيطار كان أكثر دقة وموضوعية وبطبيعته لم يقف عند الانطباعات الأولية بل راح يبحث ويحلل ، ولأنه كان فى الدولة والحكم فقد كان أكثر إحتكاكاً بعبدالناصر ومن حوله ، وفى مرحلة لاحقة - ١٩٥٧م - أخذ يؤكد لنا مرة أخرى حقيقة ما رآه فى عبدالناصر كرجل دولة - بل دولة بذاته - من حيث الدراسة والتخطيط والاعداد والتهيئة لكل خطوة يخطوها ، وفى معرض حديثه عن تصميم عبدالناصر على انتهاج الطريق الاشتراكى أشار إلى المجموعة التى كلفها عبدالناصر بترجمة أمهات الكتب والدراسات فى الاقتصاد السياسى وفى التجارب المطبقة فى العالم .. ، وكيف أن عبدالناصر يقرأ ويتابع ويحاور القيادات التاريخية فى هذا المضمار - تيتو ونهرو وشواين لاى .. الخ - من أجل أن يحدد طريقه ومنهجه العربى في الاشتركية ...

● ماذا عن موقف الأمين العام - ميشيل عفلق ؟

□ المرحوم ميشيل عفلق كقائد للحزب توفرت له عدة لقاءات مع الزعيم عبدالناصر ، وفى كل مرة كان يؤكد على الدعم المادى والسياسى الذى قدمه الرئيس لمنظمات الحزب فى سورية والعراق والأردن ولبنان ، وعلى مدى عروبية عبدالناصر ومنظوره الوحدوى وكيف أن الأفكار

متقاربة حتى أن عفلق بعد طرحه لمواقف الحزب وأفكاره علق عبدالناصر مازحاً (ليس أمامكم إلا أن تحسبونى على الحزب) .

● **لننتقل إلى السؤال الثالث حول موقف عبدالناصر من الوحدة ، ففى مباحثات الوحدة الثلاثية وفى مذكرات المعاصرين ومنهم محمود رياض ذكر أن عبدالناصر كان يرى التروى والتخطيط لمراحل حتى تتم الوحدة بينما الآخوة فى سوريا وخاصة البعثيين كانوا على النقيض .. ويدفعون بالأمور نحو الوحدة الفورية ، فما رأيك كشاهد على هذه المرحلة ؟**

☐ نعم كنا ندفع فى إتجاه الوحدة الفورية .. وكان عبدالناصر يطالب بالتروى ، وأذكر فى هذا السياق أن المرحوم صلاح البيطار دخل علينا فى المكتب السياسى فى كانون الثانى - يناير - ١٩٥٨ المنعقد لايجاد الصيغ المناسبة التى تحوز رضا عبدالناصر وتجسد قرارات المجلس النيابى السورى لتحقيق الوحدة بين القطرين ، كان البيطار متجهما ومتشائماً بعد عودته من لقاء مع السفير المصرى محمود رياض ، وتساءلنا : مالذى حدث ؟! فقال لنا أن الأخ محمود رياض عاد من القاهرة وهو ينقل رسالة من عبدالناصر تطالبنا بالتمهل وعدم التعجل فى خطوات الوحدة ، ويرى التقدم نحوها بخطوات تمهيدية تعزز وحدة الموقف السياسى للقطرين ووحدة القيادة العسكرية قبل الوحدة الدستورية .. ، وقد ذكر المرحوم عبدالكريم زهور أيضا نفس الفكرة

عندما كان عضواً فى الوفد البرلمانى الذى ذهب للقاهرة للتدارس مع اخوانه البرلمانيين في مصر حول الوحدة ، وقال أن عبدالناصر ومستشاريه كانوا يرون أن الوحدة تحتاج إلى خمس سنوات على الأقل .. ، واستمعوا أيضاً لعبدالناصر يقول عن موضوع الوحدة (لما الهدف يبقى فكرة .. يستطيع الإنسان أن يقدر على الإمساك به ويحرك الجماهير من أجلها ، ولكن عندما تجسد الفكرة فى إنجاز مادى فإنها تصبح هدفاً لكل سهام الأعداء والحاقدين ، لذلك يجب أن تجسدها فى إنجاز مادى قوى وقادر على الثبات والتحدى .. ، والوحدة لابد وأن تبدأ قوية وقادرة حتى تواجه أعدائها) ..

وقد حدد عبدالناصر فى الرسالة التى نقلت على لسان الأخ محمود رياض القوى المعادية المتربصة والأوضاع الداخلية السورية من تناقضات وصراعات بين الأحزاب الوطنية ، وأخطر هذه الصراعات هى التى كانت فى الجيش وكان يخشى من تفجر هذه التناقضات فيأتى انقلاب عسكرى ليمنع الوحدة أو يأتى فى أعقاب الوحدة فيقطع طريق هذا الأمل لعدة أجيال ، ومن ثم فهو لا يقبل بوضع قضية الوحدة على طريق المغامرة ، ويطلب الوصول إليها عبر خطوات متصاعدة لتوحيد الموقف السياسى فالعسكرى .. الخ ، قبل الوحدة الدستورية ..

● **تدافعت الأحداث بمبادرة البيطار والعسكريين نحو عبدالناصر واجراءات الوحدة الفورية ، ولكن هناك تحليلات تقول بأن البعث كان**

يميل عبر صحيفته نحو صيغة الاتحاد لا الوحدة ؟ فما رأيكم وأنت أحد المحررين البارزين بالجريدة آنذاك ؟

☐ عندما سافر البيطار والضباط السوريون الى القاهرة ، كلفت فى اليوم التالى بكتابة المقال الافتتاحى لجريدة البعث وأعبر فيه عن وجهة نظر القيادة وتصوراتها ، وكان عنوانه «لنبدأ بالاتحاد أولاً» وقد صدر فى ١٧ كانون الثانى - يناير - ١٩٥٨ ..

لم يقصد بهذا العنوان تفضيل صيغة الاتحاد على الوحدة وإنما الإصرار على البدء فوراً فى خطوات الوحدة (بدءاً من الوحدة السياسية والقيادة السياسية الواحدة ودفاع واحد وتوجيه قومي واحد ثم لتأت اللجان والمجالس وتخطط) وقبلنا أن يكون الوضع الدستورى فى مصر الأساس لهذا الاتحاد ، (وإذا كان عدم تماثل الأوضاع يعتبر عثرة وعائقاً فإننا أول من يطالب ويعمل على تطبيق ما يحقق تماثل الأوضاع السياسية فى القطرين) .

كان الهدف هو التأكيد على قناعة البعث فى هذه اللحظة بضرورة الوحدة وبالتسليم لقيادة عبدالناصر السياسية والقومية بل والقبول بالتخلى عن العمل الحزبى فى سوريا من أجل الوحدة .

● **كانت احدي شروط عبد الناصر حل الأحزاب بسوريا ، ووافق حزب البعث ثم فيما بعد ادان هذه الخطوة ، وتعددت الآراء حول هذه الموافقة ، فما هي الحقيقة ؟! وما هو موقفك - خاصة وانك احد الذين كانت لهم**

ملاحظات بعد الحل ؟ .

☐ كان الاتجاه العام هو الشعور بأننا على أبواب مرحلة ثورية وتاريخية فى نضالنا القومى .. ، وأن الأمة كلها تنتظر تنفيذ هذه الوحدة .. والتى وضعنا رهاننا كله عليها وعلى قيادة عبدالناصر ..

ومن خلال هذا الإتجاه جاء قرار الحل ،وأذكر أننا فى الأسبوع الثانى من شهر شباط - فبراير - قبل الاستفتاء على الوحدة ذهبنا للمؤتمر القطرى لحزب البعث وداخلنا عدة تساؤلات عن قرار حل الفرع بسوريا والذي صدر عن القيادة القومية ..

الأمين العام المرحوم ميشيل عفلق إستمر لوقت طويل يرد على الاستفسارات والأسئلة ، وكانت وجهة نظره أننا بذلك نزيل إحدى معوقات إتمام الوحدة ، وأننا بدخولنا للاتحاد القومى التنظيم البديل عن الاحزاب سوف ننتقل بأفكار البعث وكوادره إلى مستوى جماهيرى أرحب وأوسع ونجسد هذا العمل القومى فيه بالإضافة إلى أن هذا التنظيم سيكون صلة الوصل بيننا وبين قيادة عبدالناصر .. ، وبالفعل إنفض المؤتمر .. وحُلّ الحزب دون شعار أو بيان عن المؤتمر ..

وبالنسبة لى .. فقد كنت مع الوحدة بكل كيانى ومع قيادة عبدالناصر التى كانت قد تقدمت علينا كثيراً وأصبحت قيادة للجماهير العربية ولكل القوى الوحدوية ، ولكننى فى الوقت ذاته لم أكن على قناعة بضرورة إلغاء الأحزاب كضمانة للوحدة .. خاصة وأن صورة البناء

الديموقراطى والتنظيم السياسى للدولة الجديدة لم تكن واضحة أمامنا ، بالإضافة إلى الحيرة التى انتابتنى تجاه السؤال البديهى : ماذا بعد الحزب وإلى أى موقع نتجاوزه ونحن قد وضعنا كل آمالنا وأفكارنا فيه ؟!

● **ولكنك قمت بإصدار جريدة البعث واستمر نشاطها حتى بعد ذلك ؟!**

□ نعم .. ولكن دون ارتباط حزبى .. فقد تركت الحزب أنا ومجموعة من الأصدقاء ولكننا أخذنا جريدة الحزب ومكاتبها - وكنا تقريباً المهيمنين عليها من قبل - وبعد ثلاثة أسابيع من الوحدة أصدرنا الجريدة بعد رفع شعارات الحزب ، وكان العنوان الرئيسى لهذا العدد «هذه المرحلة شعارها الإتحاد القومى» ، وتحت عنوان «وجهة هذه الجريدة» تم طرح تصورنا وموقفنا ودورنا الذى نريده كهيئة تحرير .. ، وركزنا على وحدة خطنا القومى فى التفكير كفئة من الشباب وطالبنا بأن تكون الجريدة منبراً للحوار الفكرى والسياسى الديموقراطى لكل من يناضل من أجل هذه الأمة ورفعتها ..

● **ما هى القاعدة الفكرية التى كانت خلف قراركم هذا ؟!**

□ كانت إنطلاقتنا على قاعدة الإلتزام بقيادة عبدالناصر الثورية ، والتسليم بأن صيغة الأحزاب الوطنية السابقة بما فيها التقدمية لا

تستطيع أن تعبئ الجماهير وتقودها فى دولة الوحدة بل أن تشرذمها وصراعاتها قد تنعكس على الجماهير وحركتها ..

وكان أمامنا شعار "الإتحاد القومى" كتنظيم سياسى جماهيرى ، وبدأنا فى مناقشة إمكانيات تطويره ليصبح تنظيماً شعبياً ديموقراطيا وثورياً أيضاً، وناقشنا سلبيات التجربة - الاتحاد القومى - فى مصر..، وبدأنا فى كتابة تصوراتنا وآرائنا فى هذا المجال ونضع الضوابط التى تحمى التنظيم من دكتاتورية الحزب الواحد أو الفئة أو الفرد ، وكنا نسعى من خلال هذا المنبر أن نقيم حواراً مع القيادة الثورية الفعلية - عبدالناصر - ، ولكن سرعان ما حالت الأجهزة والبيروقراطية دون استمرار الحوار أو حتى استمرار الجريدة ..

● **ما هى ملابسات هذا الموقف ؟!**

☐ كنا قد فتحنا النيران على الصحف الفردية السورية - وهى المتاحة - وما ورائها من قوى رجعية بالداخل والخارج ، ثم بدأنا نهاجم هذه القوى الانتهازية ونفضح مخططاتها المعادية لدولة الوحدة وتظاهرها بالولاء المخادع !!

بدأت أجهزة الحكم تضيق ذرعاً بنا ، وأخذت القيادات البعثية خاصة المشاركة فى الحكم - مجموعات عفلق والحورانى والبيطار - تشعر بتجاوزنا لها .. وأن خطنا يتسبب فى إحراجها ، وبالرغم من ذلك حاولنا الإستمرار ، ولكن بعد حين توقفنا لأن الترخيص كان باسم المرحوم

صلاح البيطار ، وبعد هذه المحاولة التى انتهت فى آخر شهر آيار - مايو - ١٩٥٨ انفرط عقد المجموعة وبدأ كل منا يتوجه إلى عمله وينتظر ما ستأتى به الأيام ..

● **لماذا لم تتوجه إلى النشاط السياسى والجماهيرى ؟**

☐ الساحة السياسية فى سوريا كانت خالية .. فالاتحاد القومى لم يتشكل بعد والحزب مازال على قراره فى الحل وولائه لعبدالناصر ، أما ما يجرى فى السر - كالحزب الشيوعى مثلاً - فإن نشاطه غالباً ما يكون سلبيا .. يزرع الشكوك ، أما الأجهزة البيروقراطية فقد كانت تقيم من آن لآخر بعض الأنشطة التى تعتمد فيها على إقامة روابط وصلات متناقضة ، ولم يكن هنا مجال إلا بعودتى إلى المستشفى وممارسة مهنتى كطبيب ..

● **السؤال الرابع ويدور حول الصحافة والإعلام فى الوحدة ، فقد كانت هناك مبادرة لجريدة "الجماهير" فى دولة الوحدة وكنت رئيساً للتحرير فيها ، هل يمكننا الإطلالة عليها ؟**

☐ لم تكن مبادرة من شخصى رغم أننى صاحب الأمتياز ورئيس التحرير ، ولكن كانت رغبة من الحكومة المركزية الجديدة بالتنسيق مع الإقليم الشمالى - سوريا - وذلك بإصدار صحف جديدة ، وعندما أتى اكرم الحورانى - كنائب للرئيس - إلى دمشق لمناقشة الأمر مع الأستاذ رياض المالكى كوزير للثقافة بالإقليم الشمالى ، تم الإتفاق على إصدار

ثلاثة صحف ، اثنان فى دمشق وواحدة فى حلب ، وكانت رغبة القاهرة أن يكون الترخيص الأول لشخصية وطنية مستقلة ، والترخيص الثانى لشخصية بعثية سابقة ، واتفق على الاستاذ راتب الحسامى كوحدوى معروف للترخيص الأول ، وبدأ البحث عن إحدى الشخصيات البرلمانية البعثية لهذه المهمة ولكن الترشيحات المختلفة رفضت هذا العبء وتلك المسئولية ..

وكنت أشارك معهما فى المناقشات حول طبيعة ودور هذه الصحف وفى اختيار العناصر وترشيحها ، إلى أن فوجئت بعد زيارتهما للقاهرة أن جاءوا وكلفونى بهذه المهمة .

● **هل كان هذا التغيير نتيجة رأى خاص من عبدالناصر ؟**

□ نعم فقد قص لى رياض المالكى أنه عند لقائه بعبدالناصرلعرض ما تم والترشيحات التي اتفق عليها للصحف ، سأله عبد الناصر وقال له : هل هذا كل ما عندكم فى البعث ؟! ثم فتح مكتبه وأخرج ملفاً به قصاصات صحف ومقالات .. وأبرز له لائحة بعشرة أسماء على رأسها شخصى ، وعندما أبلغه المالكى برفضى للنشاط وتركيزى على مهنتى مع استعدادى للمشاركة فقط بالكتابة رد عليه عبدالناصر قائلاً (انه ينادى فى الصحف بمواقف الالتزام .. فكيف يكون الإلتزام والنضال عنده ؟!) ، وكانت هذه الكلمات بمثابة اختبار وتحدٍ لى .. وسرعان ما أقدمت على هذه التجربة .

● **كيف ومتى بدأت الجريدة تصدر عددها الأول ؟**

□ كان عبدالناصر يلح على صدور الصحف الجديدة .. وكنت قد أدركت صعوبة الطباعة وأبلغت المسئولين فأحالونى إلى الجيش حيث يمتلك مطابع حديثة وخاصة بمجلات ومطبوعات عسكرية ، ثم سافرت إلى القاهرة أكثر من مرة وساعدنى فى تذليل العقبات المادية والإجرائية الوزير عبدالقادر حاتم بعد تقديم من صلاح البيطار - وزير الثقافة فى الحكومة المركزية - بينما لازمنى صديقى سامى الدروبى - نائب وزير الثقافة المركزية - فى كل تحركاتى ، وقد استعنت بخبرة صديقى احمد بهاء الدين / بروز اليوسف / فى المجال الصحفى ومعرفة الأخوة المصريين ، وبالفعل وخلال وقت قصير نسبياً خرج العدد الأول فى ٢٣ نيسان - ابريل - ١٩٥٩ وخرجت فى شكلها الفنى على نمط جريدة الجمهورية القاهرية التى أخذت الشكل عنا ، ذلك عبر إبراهيم نوار الذى شارك معنا ثم عاد فيما بعد ليرأس تحرير جريدة الجمهورية فنقل تجربته معنا إليها ..

● **كان هناك أخوة من الصحفيين المصريين بالتجربة : من هم ؟**

□ الأخوة الصحفيون من مصر الذين شاركوا فى هذه التجربة هم الاستاذ عبدالسلام الشريف فى الإخراج الفنى "ووضع الماكيت" ، والكاتب الصحافى محمد عودة ، والكاتب الصحافى رجاء النقاش والشاعر أحمد عبدالمعطى حجازى بالإضافة إلى الأستاذ سعد زغلول

فؤاد وحمدى قنديل وابراهيم نوار .. ، وللحقيقة فإن قسماً منهم لم يكن على قاعدة الاستمرار بل المساعدة فى الفترة الأولى - كنوار وعبدالسلام - وقسم منهم لم يكن الوزير عبدالقادر حاتم مرتاحاً لاستعانتى بهم لانطباعه عنهم بيساريتهم !!

● **ومن من الأخوة السوريين ؟**

□ من سوريا كانت المجموعة من الأصدقاء الوحدويين الطليعيين ، بعضهم بعثيون وبعضهم غير بعثيين ، لكنهم كانوا جميعاً من أشد المؤمنين بالوحدة وبالحرية ودور الكلمة الصادقة والفكر .. ، منهم نخلة كلاس - الياس مرقص - ياسين الحافظ وصدقى اسماعيل وأميل شويرى وآخرون .. ، وكانت تجربة صحفية وحدوية وتقدمية سواء فى تشكيلها أو فى توجه الجريدة وقاضاياها التى طرحتها ، وللأسف لم تدم التجربة سوى مائتى يوم فقط .

● **من الواضح أن مدة التجربة قصيرة ، وأن هناك معوقات وقفت وراء إلغائها ، فمنذ متى بدأت تظهر هذه المعوقات فى الأفق ؟**

□ منذ العدد الثالث بدأت الصحف الشيوعية والصحف التابعة للرجعية ضدى وضد الجريدة ، خاصة فى لبنان ، وما لبثت أجهزة النظام تشكك فى نوايانا .. وتوجهاتنا .. ثم أخذت تقيم المعوقات أمامنا ..،

● **وما هو شأن الأجهزة فى أمر جريدة صادرة عن دولة الوحدة ؟**

□ لأن قرار الغاء الحزبية تحول لدى هذه الأجهزة إلى تتبع من كان لهم نشاطاً حزبياً سابقاً ، وأتت الحملة ضد الشيوعيين لتصعد من الحملة ضد اليسار والبعث بحجة الحزبية ، وفى هذا المناخ تم التعامل مع الجريدة ومواقفها ..

● **ما هى ظروف وملابسات إلغاء الجريدة وتوقفها عن الصدور ؟**

□ بدأت الحملة على مغالاة الجريدة فى النقد وكشف ما هو موجود أكثر مما هو مقبول ، ثم بدأت شكل الإتهام بالتحيز للبعثيين الموجودين بالحكم ومحاولة إبراز صورتهم ، وأخيراً بدأت وزارة الداخلية بمصر تتهمنى بأننى جعلت الجريدة «محمية» للشيوعيين السوريين والمصريين ، ثم دخلت الصحافة فى مصر إلى حلبة الهجوم وخاصة مصطفى وعلى أمين ، وقد وجدت فيما بعد مظاهر عديدة للحصار وتضييق الخناق من الاجهزة ، بل وفى زيارة إلى القاهرة لمحاولة مواجهة الموقف اصطدمت مع بعض الصحفيين السوريين الرجعيين فى وجود عبدالقادر حاتم فأخذ يلومنى على هذا الموقف ، فطرحت عليه رغبتى فى التخلى عن الجريدة فقال لى : هذه جريدتك الخاصة فتصرف وابحث عن الحل .. ،

وعندما عدت إلى دمشق وجدت أن المصرف قد تلقى أمراً بالتوقف عن صرف شيكات الاعتماد المرصودة لتغطية نفقات الجريدة ،واتخذنا قراراً بالتوقف .. فاتصلت بالسراج وزير الداخلية السورى لتشكيل لجنة لاستلام تركة الجريدة ، وحدث هذا بأسرع مما نتصور .

● **إن هذا الأمر يطرح تساؤلاً طرح من قبل فى مصر ومازال مطروحاً.. أين عبدالناصر ؟! وهل كان يعلم ما يحدث ؟**

☐ فى حديثى مع السيد اكرم الحورانى - نائب الرئيس - والذى كان مرتاحاً للثقة والسلطات التى خولها له عبدالناصر قال لى أنه لا يستريح للأجهزة الأمنية التى يعتمدها .. وهى ليست على مستوى خطورة المرحلة ، وعندما سألته عن موقف عبدالناصر هل يعلم ؟! ولماذا لم يحدثه ؟! ، فقال لى أنه كاشف عبدالناصر ، فى هذه المسألة ووجد لديه تفهما ورفضاً لهذه الأساليب ، بل فى إحدى المرات الأولى أعددت سلسلة حلقات من التحقيقات وطلبت موافقة عبدالناصر لخطورتها ، وعندما سافر الحورانى بها إتصل بى من مكتب الرئيس وقال أنه وافق على النشر فوراً ، وفيما بعد اشتكى الحورانى من محاولات بعض العناصر فى الوقيعة بينه وبين عبدالناصر ، وكان رأى صديقى المرحوم عبدالكريم زهور بعد حوار طويل معه أن الوحدة كانت أملنا ولكن التجربة الآن فى يد البيروقراطية والأجهزة الأمنية وأية محاولة للصدام معها يفتح ثغرة فى هذا البناء ، وبالرغم من أن الذى يتم ليس له علاقة بعبدالناصر أو فكره الثورى أو توجهه الاجتماعى .. فعلينا أن ننتظر ..

● **فى مباحثات الوحدة الثلاثية هناك إشارة لجماعة الصمت موقف ، هل كان المقصود بها أنت ورفاق المرحلة - زهور ، الدروبى .. الخ ؟**

☐ نعم .. عندما توصلت مع أخى المرحوم عبدالكريم زهور إلى

تحليل المرحلة والمخاطر الخارجية والداخلية ، و سيادة عقلية كمال الدين حسين وعبدالقادر حاتم وغيرهما فى إدارة المجتمع وعلى النقيض من عقلية الرئيس ، وجدنا أن الحل الوحيد المتاح لنا هو الاعتصام بالصمت كتعبير عن الاحتجاج ، وبالفعل كتبت مقالة إفتتاحية فى جريدة الجماهير تحت عنوان "الصمت موقف" وتعرض سريعاً للحديث الذى دار بينى وبين المرحوم زهور وما وصلنا إليه من موقف ..

في مباحثات الوحدة الثلاثية نيسان - ابريل - ١٩٦٣ وفى سياق المراجعة النقدية لتجربة الوحدة والإنفصال وأتي على تجربة الجريدة - الجماهير - وما وصلنا إليه فى النهاية من موقف صيغ فى مقالة (الصمت موقف) ، وبالرغم من الاختزال الشديد لهذا الجزء فى المباحثات إلا أن تعبير "جماعة الصمت موقف" ظل يستخدم ممازحة من الرئيس وغيره أثناء سير المباحثات لعبدالكريم زهور ..

● هل هذا الموقف الصامت إستمر حتى مع جريمة الإنفصال ؟! وماذا كان موقفكم آنذاك ؟!

☐ بالطبع لا .. فمنذ اللحظة الأولى للإنفصال لم نصمت .. فالصمت فى هذه الحالة قبول بالانفصال وتأييده ، لقد تحركنا بسرعة ودون إتفاق - تلك المجموعة المتفقة فى المواقف والرؤيا وجمعتها صحبة الكتابة والنضال - وبدأنا فى حملة ضد الإنفصال وضد كل من أيده أو تعاطف معه حتى من رفاق حزبنا القديم ، وبدأنا ننشط فكرياً وأصدرنا

مجموعة دراسات سياسية ونظرية وترجمنا بالإضافة إلى المشاركة مع مندوب الثورة الجزائرية بدمشق - عبدالحميد المهرى - وفى إقامة الندوات وإلقاء المحاضرات عن الثورة بالإضافة إلى تجميع بعض الأطباء للتطوع فى صفوف الثورة .

● **ولكن هل كانت هناك تحركات / كتابات مباشرة ضد الإنفصال؟**

□ نعم كتبت فى هذه المرحلة كثيراً .. وأذكر أننى فى ذكرى الإنفصال ٢٨ أيلول - سبتمبر - كتبت فى جريدة البعث فى الصفحة الأخيرة مقالاً بعنوان «دم العمال» وذكرت فيه كيف أن العمال تحركوا مع جماهير الشعب من مواقع مختلفة يوم الإنفصال دفاعاً عن الوحدة ، وكيف قهرت السلطة العسكرية والبوليسية هذا التحرك وأغرقت جماهير العمال فى بحار الدم بحلب ...

هذا العدد تم مصادرته ثم أعيد طبعه بدون المقال ، وإذا بكل المطابع فى حلب تعيد طبع المقال منفرداً وتوزعه كبيان فى كل الأوساط العمالية بحلب وخارجها .. ، مما دفع رئيس الوزراء آنذاك للسؤال عن كاتب هذا المقال ، واعتبر كتابته تحريضاً للتمرد الدموى ضد الحكم القائم ..

وقد شاركت فى الدعوة لخلق تحالف بين القوى الناصرية والبعثية من أجل مواجهة الإنفصال خاصة وأن النظام الإنفصالى كان قد وصل إلى مرحلة الاستسلام وانتظار من يأتى ليستلم التركة منه ، وطالبت

بوضع برنامج وميثاق لهذه الجبهة ويشمل تصورات الحكم ..

● **وهل تم إعداد هذا الميثاق بالفعل ؟**

□ لا .. فقد اندفعت حركة ٨ آذار - مارس - ١٩٦٣ وسرعان ما برز التآمر البعثى على الناصريين وعلى هدف الوحدة التى دفع الشعب ضريبة إسقاط الإنفصال من دمائه ودم شهدائه من أجل عودتها ..

● **ننتقل الآن إلى السؤال الخامس والأخير فى هذا الجزء : ما هى الأسباب الحقيقية والتى كانت داخل تجربة الوحدة وأفسحت الطريق للإنفصال ؟! وبالتحديد الأسباب التى لمستها .. أو الأسباب التى تراها الآن بعد هذه المرحلة التاريخية الطويلة ؟**

□ هناك أسباب عديدة .. ولكننا بعيداً عن التفاصيل والتى تحتاج الى وقفة طويلة يمكننا إجمال الأسباب أو بعضها كما نراها :

أولا : غياب التنظيم السياسى الذى يسد الفجوة بين الجماهير والزعيم ، فبحل الاحزاب لم تعد هناك قوى منظمة ووحدية تقوم بهذا الدور ، والاتحاد القومى إمتلأ بالرجعيين والاقليميين والعشائريين بينما حوصر الملتزمين بقيادة وثورة عبدالناصر ، فحتى الاجراءات التى إتخذت فى مصر لحماية "الاتحاد" من دخول الاقطاع والرأسمالية لم تطبق فى سوريا ..

ثانياً : تضخم الجهاز الإدارى البيروقراطى والأمنى دون استيعابه

لموضوع الوحدة ومعطياتها وحاجاتها لإقامة دولة ، وإذا كانت بعض الاجراءات ضرورة .. فإن مجمل نشاطها - أى الاجهزة - كان سلبياً ، بل أخذت دورها كأداة رقابة وضبط وراحت تنقل للقيادة صورتها الخاصة عن الواقع مما دفع بالقوى الانتهازية للتهافت عليها وتقديم ما تريده من زعزعة الثقة فى الوحدويين وإقامة العوائق أمام قنوات الاتصال بين أولئك المخلصين وبين قيادة عبدالناصر ..

ثالثاً : الانقسام داخل معسكر اليسار بين الشيوعيين والقوميين خاصة مع مرحلة الصراع الذى فرضه عبدالكريم قاسم بالعراق ، هذا الصراع ألقى بتبعاته على دولة الوحدة ، وأذكر أنني فى جريدة الجماهير ومنذ العدد الأول كتبت سلسلة ضد الشيوعيين فى العراق وسوريا ودورهم ضد الوحدة ..

رابعاً : الانقسام داخل القوى القومية ذاتها خاصة بين الناصريين والبعثيين ، بل وبين البعثيين أنفسهم الذين تفاوت موقفهم من القاهرة وعبدالناصر وتفاوتت مواقفهم من أخطاء دولة الوحدة فى سوريا ، فبينما كانت أغلبية القواعد مع عبدالناصر والوحدة كانت هناك قيادات تتحرك ضد الوحدة بنقمتها على الحكم حتى ولو أدى الأمر للإنفصال ، وبينما كان هناك قسم يتعاون ويدخل فى دائرة الحكم والدولة ، كان هناك قسم يتحفظ على السلطة القائمة فى الدولة وتصرفات الأجهزة لكنه يرفض إتخاذ أي موقف يهز أو يفتح ثغرة في جدار الوحدة ..

بالطبع هناك القوى الخارجية من استعمار عالمى ورجعية محلية ، وكانت هناك مصالح أضيرت للفئات والطبقات التى خضعت للتأميم أو للتحديد فى الملكية ، ولكن كل هذا ما كان يؤثر لو أن دولة الوحدة قد تحصنت وقواها قد إتحدت .. وجماهيرها قد نظمت ..

٣

التيار ..
من الإنفصال
الى الرحيل

[إننى رجل إبتلعت خير أيامى وجهودى الرمال العاقة للسياسة فى هذه البلاد التعيسة]

المرحوم عبدالكريم زهور

[من كلمته بمجمع اللغة العربية بدمشق]

كل من يرصد الحركة الناصرية أو يؤرخ لتاريخ الأمة العربية الحديثة بعد ثورة يوليو يؤكد على حقيقة هامة ألا وهى : بزوغ شعار الناصرية والتيار الناصرى خارج مصر مبكراً منذ الخمسينيات وبصفة خاصة فى سوريا ..

● **هل يمكننا أن نحدد بداية وجود هذا التيار .. أثناء الوحدة أم الانفصال أم بعده ؟**

☐ لا يمكننا القول بوجود التيار الناصرى أثناء الوحدة .. ولكننا نستطيع أن نكتشف بروزه خلال أزمة الانفصال ، ففى أيام الوحدة برز مندفعاً مع التيار الشعبى الذى يريد أن تعم هذه الوحدة وتشمل الوطن

العربى ، ولكنه بوغت بالانفصال وبمجرد إحساسه بعمق الأزمة وعود
القوى الرجعية للسيطرة والنفوذ الأجنبى بأشكال مختلفة ليساهم في
تكبيل الشعب وتضييع إرادته ، هنا بدأ البحث والتفتيش عن صيـ
لتنظيم وتأطير .. ، الكتل الجماهيرية الغاضبة ،

كانت البداية عفوية .. وكانت الصيغ أقرب للبدائية .. ، لم تكـ
على شاكلة الحزب أوالتنظيم ولكنها كانت أقرب ما تكون من تجمعات
شعبية لها انتشار وامتداد تدفع بقياداتها وتندفع فى اتجاه المطالبة بعود
الوحدة والنضال ضد الانفصال ..

إن تعبير الحركة الناصرية فى سوريا لم يأخذ مجراه إلا من بداي
عام ١٩٦٢ م حيث اطلق على الحركة الشعبية الوحدوية التى أحست
باللوعة وبالخطر وبالمستقبل المهدد من الإقليمية ، وبدأت تتشكل
وتتحرك منها وبها قوى سياسية وتنظيمات من اصول ومنابت سياسية
وايديولوجية واجتماعية مختلفة ، كانت هناك أرض مشتركة لتحالف
وطنى عريض يلتقى على هدف إسقاط الانفصال وإعادة الوحدة بقيادة
عبدالناصر ونهجه ، ولكن القيادات فى هذه الصيغ والتجمعات -
ومعظمها ركب الموجة - لم تكن موحدة لا ايديولوجيا ولا سياسياً ولا
حتى من حيث فهمها واستيعابها لنهج عبدالناصر التى تريده ..

● ممن كانت تتشكل تلك القيادات ؟ أى من أى المنابع السياسية والاجتماعية ؟

□ من منابع مختلفة إجتماعيا : فمنها اليمين واليسار والوسط ، ومن أصول حزبية عديدة ومتباينة : فمنها من ينحدر من الأحزاب التقليدية كالحزب الوطنى وحزب الشعب وانتهاءاً بالاخوان المسلمين ، ومنها من ينحدر من حزب البعث ومنها قيادات مستقلة ، وطبقياً أيضاً تنوعت هذه القيادات .. بعضها من الفلاحين والعمال والمثقفين ، وبعضها من العسكريين أو البيروقراطيين الذين شغلوا مناصب مرموقة فى أيام الوحدة ، وبعضها من زعماء العشائر والتكتلات المحلية ..

● **ولكن كانت هناك تنظيمات ترفع شعار الناصرية وتشكلت بالفعل فما هو التقييم لها ضمن هذا التحليل ؟**

□ التنظيمات الناصرية التى برزت فى الساحة آنذاك هى حركة القوميين العرب وحركة الوحدويين الاشتراكيين والجبهة العربية المتحدة وتنظيم سمى نفسه من ذلك الحين بالاتحاد الاشتراكي العربى .. ، بالإضافة لبعض الشلل المدنية والعسكرية ..

حركة القوميين العرب وحدها من بين هذه التنظيمات التى كانت تحمل طابع الحزب فى تنظيمها وتوجهها ، وكان لها إمتدادها القومى فى عدد من الأقطار العربية وخاصة فلسطين بينما فى سوريا كانت قاعدتها الشعبية غير كبيرة ..

أما حركة الوحدويين الاشتراكيين فقد كانت أوسع التنظيمات انتشاراً جماهيرياً فى سوريا ، ولكن قياداتها كانت متناحرة ومتعددة ،

وكان أكثرها من البعثيين الذين تحولوا إلى الناصرية أيام الوحدة وعند الانفصال ..

أصغر وأضعف هذه التنظيمات كانت الجبهة العربية المتحدة ، وكان يغلب على قياداتها طابع التقليد وعقليتهم تكوينها يمينى محافظ ..

● ولكن هذه التنظيمات وتلك التجمعات استطاعت بحركة الجماهير العفوية أن تسقط النظام الانفصالى !!

□ إنقلاب ٨ آذار - مارس - ١٩٦٣م الذى استطاع جنى ثمار هذه التحركات الشعبية .. والبعث العسكرى بالتحديد استطاع برغم ضآلته النسبية أن يناور ويتعلق فيسيطر على مراكز القوة والقيادة فى الجيش وفيما بعد على الأجهزة فى الدولة والحكم ، بينما كانت القيادات الناصرية شبه ضائعة .. ولم تحسن إدارة اللعبة السياسية ولم تحسن حتى استعمال قوتها الشعبية الضخمة ولا قوتها العسكرية الكبيرة والأقوى.. ، لم تمسك بزمام المبادرة بل وقع بعضها فريسة فى خدمة المناورة البعثية ، ان هذه القيادات لم توحد قواها ولم تحدد مواقفها وحركتها بشكل واع ومدروس للسيطرة والاستيلاء على الحكم أوزمام الأمور بل راحت تنقاد وراء عفوية الشعب ..

● أين موقع حركة ١٨ تموز - يوليو - ١٩٦٣ بقيادة جاسم علوان فى هذا السياق ؟!

□ العملية المسلحة الباسلة التى قامت بقيادة جاسم علوان فى ١٨ تموز ١٩٦٣ والتى كانت تستهدف الاستيلاء على قيادة اركان الجيش وعلى الاذاعة والتلفزيون لتنادى القوى الناصرية والشعب الوحدوى إلى الثورة .. ، هى أيضاً خضعت للعفوية التنظيمية وكانت مخترقة من قبل العسكريين البعثيين وكانت أجهزة الحكم علي دراية بها وقامت برصدها بل ويبدو أنها أرادت دفعها لهذا الاتجاه حتى تبرر لنفسها حمام الدم ومحاكم الإعدام الفورى التى قام بها عسكريو البعث ، وكذلك اندفاعها نحو عمليات القمع وسحق التحركات الشعبية وتسريح الناصريين من الجيش ووظائف الدولة ..

لقد امتلأت السجون بالقيادات الناصرية .. وبدأ العمل الناصرى يعيش أزمة حقيقية ، وبدأ نظام البعث منذ ذلك الحين يأخذ الطابع العسكرى / الاستبدادى ، وبدأت حركة الجماهير تصاب بالتراجع والانكفاء ..

● ما هو إذن معيار ناصرية هذه القيادات ؟! وكيف واجهت هذا الواقع الجديد ؟

□ كانت هذه القيادات تعتمد فى تزكية مواقعها بين الجماهير على قاعدة الولاء لعبدالناصر .. أو أن عبدالناصر راضياً عنها ، وكان نضالها ضد الانفصال والمطالبة بعودة الوحدة الفورية مع مصر معياراً أساسياً فى فرز ناصريتها ...

لم تكن تعى دورها الطليعى كحركة وعى وتنظيم يقود الجماهير إلى طريقه وهدفه ، بل كانت أقرب إلى العفوية والتبسيط لطبيعة الصراع وحقيقة الدور ، وكانت أيضاً إتكالية .. وتتصور أنه بسقوط الانفصال أو النظام التالى له سوف تحل المشاكل كلها .. وسوف يأتى عبدالناصر على حصان أبيض وينتهى الأمر كله !!

وقد واجهت هذا الواقع الجديد لا بالبحث عن إقامة حزب ثورى .. إداة ناصرية جديدة تستوعب المتغيرات والقوى الجماهيرية ، بل بالتوجه إلى عبدالناصر ليجد لها مخرجاً !! وبالفعل خرجت بعض القيادات الناصرية إلى بيروت ومنها إلى القاهرة لتلحق بالقيادات السابقة والتى أقامت هناك نتيجة إضطهاد وتنكيل نظام الانفصال أو استبداد النظام البعثى العسكرى .. ، وتصورت تلك القيادات أنها ستعود على رأس حملة لتحرير سوريا .. ، وقد مارست هذه القيادات ضغوطاً على عبدالناصر من أجل إعطاء الضوء الأخضر والدعم لتصورهم الانقلابى.. ، ولكن عبدالناصر منذ ١٩٦٢ م كان قد استبعد نهائياً أية فكرة لاستعادةالوحدة أو لأى عمل توحيدى عن طريق القوة العسكرية أو عمليات انقلابية ..

● **متى كان هذا التوجه إلى القاهرة بالتحديد ؟**

□ فى ربيع ١٩٦٤م .. وكان الوضع فى العراق قد تغير وتولى القيادة هناك عبدالسلام عارف المعروف بصداقته لعبدالناصر واتجاهاته

الوحدوية ، وقد هرب الكثير من البعثيين المعادين له من بغداد إلى سوريا ، وتوترت الاجواء بين النظام العراقى والنظام البعثى السورى آنداك ..

● كيف سارت الأوضاع مع هذا التوجه لتلك القيادات بالقاهرة ؟

□ ظل هؤلاء يمارسون ضغطاً مستمراً على القاهرة من أجل تحقيق توجهاتهم ، ثم سرعان ما تراجعت القيادة العراقية ممن تنفيذ طموحها الوحدوى وكان مبررها هو عدم الاستقرار الداخلى والخوف ممن تفجرها أو من تلقى طعنة فى الظهر .. ، وظل الاخوة السوريون حائرين بالقاهرة لكنهم مصممون على رؤيتهم ..

فى هذه الآونة كان الرئيس "أحمد بن بيللا" فى زيارة للقاهرة .. وحضر جانباً من مناقشات بعض القيادات السورية - الناصرية - مع الزعيم الراحل ، وذات مرة انتحى بهم جانباً فى غياب عبدالناصر ودخل معهم فى نقاش ، وكان مجمل رأيه ما يلى :

«كفاكم إحراجاً لعبدالناصر وتحميله مشاكلكم فوق كل الذى يحمله، إن عبدالناصر يحمل نقطة ضعف منهكة له تجاه السوريين والشعب السورى، ويشعر بالمسئولية الشخصية أمام ما يحيق بكم من ضيم ، وأنا لا أقول لكم لا تنتظروا أن يقوم عبدالناصر بثورة فى سوريا بدلاً عنكم ، فالأولى بكم أن تعودوا بشكل أو بآخر إلى وطنكم ، وأن تنظموا صفوفكم وقواكم ، وأن تقوموا بثورتكم وعندها تستطيعون أن

تنادوا : ها نحن جاهزون يا عبدالناصر» .

● **ماذا كان تصور عبدالناصر شخصياً تجاه هذه الرؤية ؟**

□ يبدو أن هذا الجو من المصارحة قد انعكس على مناقشات تالية بين السوريين وعبدالناصر ، مما دفعه للتصريح بموقفه المبدئي وقال لهم :

«لو سلمنا بقدرتكم على إسقاط نظام البعث ، فما أظنكم ستكونون قادرين على إعادة الوحدة وأنتم على هذه الصورة التى أراها من افتراق .. حيث النزاعات والخلافات فى الرأى والانقسام وسوء التنظيم والتناحر والتنابذ ، بل ستقعون فيما وقع فيه البعث للسيطرة على السلطة من تصفيات وستقيمون إنفصالاً آخر أو تتوالى سلسلة من الانقلابات ، يجب أن يسود بينكم أولاً : التفكير السياسى لا العقلية الإنقلابية ، ولابد أن تقوموا ثانياً : بتوحيد قواكم وتنظيماتكم وقاعدتكم الشعبية ، ثم أن يكون لكم فكركم الموحد ومنهاجكم » .

● **ما هو رد فعل الأخوة السوريين من تصور عبدالناصر ؟**

□ أدرك الجميع موقفه وإن كان الإدراك بمستويات مختلفة وفق تفاوت الوعى والتصورات التنظيمية فيما بينهم ، ولكن بصفة عامة كانت مصارحة عبدالناصر مع الاخوة هى المدخل والأرضية التى نبتت منها فكرة إنشاء تنظيم "الاتحاد الاشتراكى العربى السورى" ، ولقد أسهم عبدالناصر بالتوجه والتوجيه والمشورة فى وضع اللمسات الأولى

على مخطط تشكيل الإتحاد الاشتراكى السورى ..

● **هل يعنى هذا تدخل "عبدالناصر" فى تشكيل التنظيم أو فرض آرائه عليه ؟! مما يشير إلى إتهامات النظام آنذاك بالتبعية للاتحاد الاشتراكى بمصر أو للدولة الناصرية ؟**

□ بالطبع لم يحدث هذا التدخل .. فقط شارك بالمشورة كواحد من الأخوة .. ، بل أراد منذ البداية أن يكون هذا التنظيم مستقلاً كل الاستقلال عن نظام حكمه وبمبادرة سورية حرة ، وحينما تمنى على الأخوة الممسكين بهذه العملية أن يحشدوا فيها كل المناضلين الوحدويين شدد على تأكيده بأنه رأى وبأنه لن يمارس أى ضغط على أى فرد فى هذا الاتجاه ..

وأصر على أن يكون تركيز إهتمامهم الرئيسى فى وجودهم وحركتهم بالداخل - سوريا - وتجاه القواعد والقوى الشعبية التى تتحرك فى الساحة ، ورفض أن يكون التنظيم السورى فرعاً للإتحاد الاشتراكى فى مصر ولا ملزماً له .. ولا ملتزماً بالمناورات السياسية لنظام حكمه وتكتيكاته .

وبالفعل جاءت محاولة بلورة التيار الشعبى الوحدوى الناصرى بسوريا فى إطار معين هو الاتحاد الاشتراكى وتمت الدعوة إلى المؤتمر التأسيسى الأول له فى بيروت تموز - يوليو - ١٩٦٤م ، وشكل مكتب سياسى كقيادة للتنظيم وانتخب لرئاسته الأستاذ "نهاد قاسم" رحمه

الله..

● **لماذا المرحوم "نهاد قاسم" بالرغم من أنه ينتمى للقيادات التقليدية أو هكذا كانت الرؤية له ؟!**

□ الأستاذ "نهاد قاسم" رحمه الله كان إنساناً صلباً ونقى السريرة ويثق به كافة العناصر والجهات لنزاهته وصلابته ورغم أنه من جيل آخر .. ورغم أنه كردى ، ولكن بإسلاميته وعروبته كان له هذا الولاء والحنين الوحدوى وكان من أشد الناس إيماناً وحرارة وتمسكاً بالوحدة ..

فى أيام شبابنا كنا ننظر له وإلى غيره من الجيل السابق ونتهمهم بأنهم رجعيون ، وإذا بنا نجدهم أيام الوحدة أو فى ليالى الانفصال السوداء أمامنا لا وراءنا .. ، وكانت صلابتهم نابعة من ثقافتهم الإسلامية والعربية التقليدية وكذلك حبهم للعروبة ..

● **ما هى القوى التى دعيت لذلك المؤتمر ؟**

□ نفس القوى التى تحدثنا عنها - حركة الوحدويين الناصريين ، حركة القوميين العرب ، والجبهة العربية المتحدة - بالإضافة إلى قيادات من الأحزاب القديمة كحزب الشعب والحزب الوطنى والتى أخذتهم الموجه الناصرية ..

وكانت هناك قيادات مستقلة غير حزبية أو كانت تنتمى لأحزاب سابقاً وخرجت عنها ، فأنا مثلاً كنت مستقلاً ليس لى تنظيم فقد تركت

حزب البعث أنا ومجموعة من الأخوة فى مقدمتهم المرحوم عبد الكريم زهور .. ، هذا إلى جانب القيادات الناصرية التى كانت خارج القطر فى بيروت أو القاهرة ..

● **هل تم هذا اللقاء - المؤتمر - بناء على برنامج فكرى وسياسى شامل للمرحلة والقوى ونظرية الاسلوب ... الخ ، أم كان على برنامج حد أدنى أو اتفاق عام ؟**

□ بالطبع كان هذا البرنامج مجرد قواعد عامة .. أقرب للبيان منه للبرنامج كما نفهمه ، وقد أصدر المؤتمر ميثاقاً لعمله وبياناً عن تأسيسه بتاريخ ١٦ تموز - يوليو - وقد أختير هذا اليوم باعتباره الذكرى الأولى لمرور عام على استشهاد عدد من الناصريين فى حركة المناضل جاسم علوان ..

كان البيان دعوة لجميع القوى الوحدوية للإنضواء تحت لوائه والانتظام فى صفوفه ، وأعلن البيان فى القاهرة ونشرته الصحف ..

وكان الميثاق مجرد التزامات أولية - ولم تنجز صياغته إلا فى المؤتمر التأسيسى الثانى الذى عقد بعد أشهر فى القاهرة - تعبر عن الموقف المبدئى العام حيث الالتزام بقضية القومية العربية والوحدة وبالنهج الثورى الذى سار فيه عبدالناصر واهدافه فى الحرية والاشتراكية والوحدة ، أما الجانب السياسى فيه فقد تركز حول إدانة نظام البعث السورى فى إستيلائه على السلطة بالمناورة والبطش ، ورفع شعاره تعبيراً

عن هذا التوجه يتلخص فى ضرب حكم الانفصال البعثى حتى يسقط وإعادة الوحدة تحت قيادة عبدالناصر ..

● ذكرتم أن المؤتمر التأسيسى الثانى عقد بعد عدة أشهر من المؤتمر الأول ، هل كانت هناك مشاكل وظروف دفعت إلى هذا ؟! وهل فشلت القيادة فى إنجاز مهمتها ؟

□ نعم كانت هناك مشاكل .. وكانت القيادة عاجزة .. ، وللتاريخ فإن القيادة الأولى كانت فى غالبيتها على مستوى وطنى وأخلاقى ممتاز وكان بينها عناصر لها خبرتها السياسية وتجربتها الحزبية السابقة بالإضافة إلى كفائتها الفكرية المتقدمة على غيرها ..

المشكلة الأولى التى واجهتها هى قضية الالتزام ، فمهمتها كانت دمج القوى وتوحيدها وإلزامها بنهج فكرى وسياسى موحد فى إطار التنظيم لكن أغلبية القيادات والكوادر التى توجهوا إليها كانت ترفض هذا الإلتزام .. وترفض تسمية التنظيم بالحزب لأن عبدالناصر ضد الحزبية !!

المشكلة الثانية تمثلت فى قضية الوضوح الفكرى ، فمعظم هذه القوى وتلك القيادات لم تمتلك رؤية فكرية أو نهجاً محدداً بل إن القاسم المشترك بينها - وهو الميثاق الناصرى - كان كل طرف بنظر اليه من خلال فهمه واختلافه مع الآخرين ، بالإضافة إلى عدم وضوح تصورهم عن صيغة النظام أو الحكم فيما بعد القضاء على دولة الانفصال البعثى

أو حتى كيفية التغيير ؟!

والمشكلة الثالثة كانت المصالح والشللية ، فهناك قيادات كانت لها خلفيات إجتماعية ومصلحية ولم تفصل بين هذه الخلفيات وبين التزامها وقد أدى هذا إلى خروجها فيما بعد ، أما الشللية فكانت فى المجموعات العسكرية والمدنية والتى كانت تحمل عقلاً بيروقراطياً وتأمرياً - إنقلابياً - فقد رفضت الإنصياع للإلتزام الجماعى وعملت على إعاقة تقدمه ..

هذا إلى جانب إنكفاء الجماهير التى فقدت زخمها الضاغط ، وتدخل بعض الأجهزة المصرية والمكاتب الرسمية لمساندة بعض المجموعات المرتبطة بها ، وتغير الظروف السياسية العربية حيث بدأ عبدالناصر مع تصاعد العلاقات الأمريكية / الإسرائيلية وتكديس الأسلحة فى المنطقة يطوى التناقضات العربية / العربية أمام التناقض الرئيسى ألا وهو اسرائيل ، ومن ثم بدأ فى فتح صفحة جديدة مع النظم وفى مقدمتها النظام السورى ..

● **لماذا لم يتم مناقشة هذه الأمور داخل مؤسسات التنظيم - الحزب - وهل كانت هناك ضرورة لعقد مؤتمر استثنائى ؟!**

☐ الشكل التنظيمى لم يكن ملائماً لحسم أو مناقشة هذه الأمور ، فالقيادة كانت خارج القطر .. والمكتب السياسى أخذ صلاحيات القيادة المركزية - اللجنة المركزية - ولم تقم قيادة فى الداخل .. الذى وجد هو قيادات للفروع بالمحافظات ، أو كلت إليها تلك العملية دون أن تمتلك

القيادة المركزية - الموجودة بالخارج - إمكانية المتابعة أو الإشراف عليها مما أوقعها فى العجز .. ، وشعرت بعد أشهر قليلة من تسلمها المسئولية بانها غير قادرة على الاستمرار أو أداء المهام الموكولة إليها ، وتقدم عدد من أعضاء القيادة باستقالتهم وأحيطت قيادات الداخل بمجريات الأمور، ودعت القيادة المؤتمر التأسيسى للإنعقاد من جديد لتسلمه الأمانة التى عجزت عن تحقيقها ..

● قلتم أن قيادات الداخل أحيطت بمجريات الأمور ، فماذا كانت تصوراتها ؟ وما هى حدود مشاركتها بينما ليس لها تمثيل فى القيادة؟

□ عندما وضعت الحقائق بين يديها .. تداعت القيادات بالداخل وعقدت جلسة عامة ضمت انشط العناصر فى التيارات المختلفة ، وبرغم اختلافها فى المنظورات الفكرية السياسية إلا أنها كانت مجمعة على ضرورة إنجاز عملية الدمج بين الفصائل الناصرية المشاركة ، واتفق الجميع على عدة اقتراحات : منها ضرورة إنشاء التنظيم على قاعدة الحزب الثورى ، وضرورة تشكيل قيادة فى الداخل تملك قدراً من حرية الحركة والمبادرة فى النضال السياسى المحلى ، بالإضافة إلى الإجماع على الاستمرار فى الخط السياسى المعادى للنظام البعثى الحاكم ورفض المهادنة أو حتى التحالف معه ..

أما ما يخص اسلوب وحدود المشاركة فقد تم اختيارى للتحدث باسمهم والتعبير عن افكارهم ومطالبهم ، وأن أقوم برفع هذه التصورات

إلى المؤتمر الثانى على أن أختار مساعدين لى واتخاذ الإجراءات اللازمة والبحث عن صيغة للإتصال ، وبعد المناقشة والتشاور قررنا توجيه رسالة مكتوبة إلى عبدالناصر كمرجع قيادي قومي وحيد .. ولكى يمارس تأثيره على القيادات الناصرية بالخارج ، وقد بعثنا بالرسالة عبر المكتب السياسى أى القيادة الخارجية (وقد حملها رئيس المكتب والذى كان مستقيلاً) ، وبالفعل بدأت القيادات الناصرية المتواجدة بالقاهرة لعقد المؤتمر الثانى تلتقى بعبدالناصر وتطرح أمامه المشكلات وحيرتها فى البحث عن صيغ وتصورات جديدة .. ،وكانت وجهة نظر عبدالناصر أن التنظيم هو عمل وطنى سورى وعليه تحمل مسئولياته بنفسه ودون وصاية من أحد ، وهو شخصياً لا يريد التدخل فى مشاكل هذا التنظيم..

● **هل يعنى هذا عدم تبنيه لمطالبكم التى طرحتموها فى الرسالة المبعوثة إليه ؟!**

☐ بلى .. لقد كان يوضح موقفه الثابت حتى لا يفرض على المجتمعين تصوراً أو يملى عليهم رأياً ، أما عن الرسالة فقد أشار إليها فى حديثه معهم .. وقال " إن إخوانكم فى سوريا على حق فهم يطالبون بأن تكون لهم مبادراتهم السياسية والتنظيمية وأن تكون لهم قيادتهم المسئولة فى الداخل .. ، وإذا كانت الظروف الأمنية تفرض وجود قيادة فى الخارج فإن عليكم خلق صيغة مناسبة تعطى قيادة الداخل قدراً من حرية التصرف لتقيم تنظيمها كحزب سياسى نضالى»..

في هذا الحديث استغرب البعض من استخدام عبدالناصر لكلمة "حزب" وهو يندد الحزبية ، فقال عبدالناصر : «إن الوضع فى سوريا مختلف .. هناك احزاب سياسية تتصارع .. هناك البعث والحزب الشيوعى .. ومن حق الوحدويين بل من واجبهم أن يكون لهم حزب يجسد إرادة ومصالح الجماهير الشعبية ، نحن فى مصر لدينا ظروف أخرى .. فالاتحاد الاشتراكى ليس "حزباً" بل هو "تجربة» لممارسة الشعب للديموقراطية السياسية والاجتماعية فى صيغة تحالف » .. ، ثم أنهى حديثة عن هذا الموضوع قائلاً «أنتم أحرار فى تسمية تنظيمكم التسمية التى تريدونها ، ولكن يجب أن تعرفوا بان هذا الذى تعملونه هو عمل حزبى وإنكم بصدد إقامة حزب سياسى» .

بعد ذلك إنفض الاجتماع .. وتمت مداولات عديدة ثم عقد المؤتمر وضم اليه عناصر جديدة وخرجت بعض العناصر ، وصدر ميثاق أو برنامج للعمل ظل ملتزماً بالمقولات الأساسية التى صدرت عن المؤتمر التأسيسى الأول.. ، على أن يكون للتنظيم مؤتمرات نظامية وتنظيمية.. ، وسلمت الصلاحيات كلها للقيادة الجديدة «الأمانة العامة للإتحاد » والتى تشكلت من أمين عام وأمينين مساعدين إحداهما يختص بشئون التنظيم خارج سوريا والآخر يختص بشئون التنظيم فى الداخل ويرتبط بالأخير قيادة ومكتب أمانة بالداخل ، وتأخذ هذه القيادة بسوريا حرية الحركة فى تشكيل المستويات وفى الآداء النضالى ..

● كيف سارت الأمور بعد أن نجح تصوركم فى المؤتمر التأسيسى الثانى ؟!

□ سارت الأمور سيراً معقولاً فى الأشهر الأولى من عام ١٩٦٥ م ، فقامت قيادة الداخل بتشكيل المستويات القيادية فى المناطق والفروع ، وتقدم العمل خطوات إلى الأمام خاصة وأن التنسيق بين قيادة الداخل والمسئول عنها فى مكتب الأمانة - والذى أقام ببيروت - كانت جيدة ومستمرة ..

وبالفعل تشكل تيار داخل الاتحاد ومن الفئات الناصرية المتعددة .. هذا التيار تجاوز الولاءات القديمة وتوحد فكريا وسياسياً وهو الذى ظل ثابتاً ومستمراً منذ ذلك التاريخ وحتى الآن رغم كل الانقسامات والانشقاقات اللاحقة ..

ولكن بعد هذه الخطوات الأولى ما لبث أن اصطدم الاتحاد - الحزب - بتيارين متناقضين لا يقبلان التعايش أو الاندماج ، الأول يتجه يساراً ويمثله القوميون العرب ، والثانى يتجه يميناً وتمثله قيادات ظلت تحمل طابع الزعامات الفردية والمحلية وتحافظ على ولاء العناصر والشللية ، وكلا الاتجاهين حاول الاستيلاء على الحزب وفرض هيمنته عليه ، وإذا كانت الأمور قد انتهت بخروجهما من الاتحاد إلا أن هذا لم يتم إلا بعد أن أغرق الاتحاد ثلاث سنوات بصراعاتها الداخلية وعرقلت عملية بنائها وشغلته عن عمله السياسى والنضالى مما تسبب فى عزوف القواعد

الشعبية عن الحركة وتشتتها ..

● **ولكن حركة القوميين العرب كان لها التأثير الأقوى فى أزمة الاتحاد وظلت جيوب هذه الحركة تسبب المشاكل حتى بعد خروجهم عن الحزب ، فهل هذا يكمن فى بنية وفكر حركة القوميين العرب ؟! أم فى أخطاء تنظيمية وبنية الاتحاد ؟!**

□ الإجابة تشمل كلا الأمرين .. فمن ناحية كانت حركة القوميين العرب لها خبرتها التنظيمية والفكرية الطويلة .. ولها إمتدادها القومى وخاصة وسط الثورة الفلسطينية وفى لبنان والاردن بل وفى اليمن ، وقد شهدت انقساماتها تأثيرات واضحة على الثورة الفلسطينية وحركة النضال العربى ، ومن ثم فإن بنية الحركة ووعى كوادرها النشطة كانا وراء شدة التصدع وتأثيراته الجانبية بالاتحاد ..

ومن ناحية أخرى فإن الإتحاد كحزب ناشىء وجديد كان من الطبيعى أن يحتل كوادر حركة القوميين العرب مواقع قيادية هامة فى عملية التأسيس بحكم خبراتهم التنظيمية والسياسية ، بل إن المسئول عن شئون الداخل بالأمانة العامة كان من حركة القوميين ، وفى البداية كان موقعه القيادى وإقامته ببيروت إيجابية عظيمة لنا من حيث وسائل النشر وإمكانيات الدعاية والدعم سواء بالعلاقات أو بالامتداد القومى للحركة .. ، ولم تكن لدينا أية حساسية أو تناقض تجاه وجود الحركة كحزب قومى وفى الوقت ذاته وجود فرعه السورى فى حزبنا - الاتحاد -

ولكن سرعان ما اتضح خطورة هذا الأمر ..

فعندما حدث الخلاف بين التيار الوحدوى الناصرى وبين التيار اليسارى الذى أخذ بالماركسية داخل حركة القوميين وانتهى بالانقسام وسيطرة الاتجاه المتمركس وتبنيه للماركسية اللينية ، إنتقل الصراع داخل الاتحاد الاشتراكى وكان لابد من خروج التيار "المتمركس" ، إلا أن عناصره وقياداته داخل الاتحاد الاشتراكى حاولت الاستيلاء على ما تحت إشرافها من قواعد وتنظيم لتسحبها لحزبها من الاتحاد واستخدمت فى ذلك كافة أساليب الخداع والتمويه وشنت حملة دعائية شرسة ضد قيادة الإتحاد وضد الأطراف الأخرى فيه .. ،

● **هل كانت هذه الخلافات والانشقاقات نهاية مرحلة تعدد الجذور الفكرية والمجموعات الشللية وسيادة التيار الجديد الذى تحدثت عنه ؟ ومتى عقد المؤتمر الثالث ؟**

□ لم تكن هذه الخلافات هى النهاية .. ففى المؤتمر الثالث والذى كرس فصل حركة القوميين العرب وعقد تحت شعار " الولاء الكامل لنهج عبدالناصر» ، برزت إختلافات الوعى بين الحاضرين ، فالمناقشات أوضحت وجود تيارين متعارضين فى فهم الناصرية والقومية والثورة ، التيار الأول :تيار متقدم ومواكب لمسار عبدالناصر ومستوعب لاستراتيجيته ونهجه المتطور وما وصل إليه منذ الميثاق وبعده ، منفتح على معطيات الفكر الإنسانى ويريد للاإحاد أن يكون حزباً سياسياً له

فكره الموحد ونهجه السياسى الواضح والمحدد .. كما أن له قواعده التنظيمية الراسخة ..

والثانى : تيار يحمل فى طياته عصبية دينية مذهبية ويحمل عداء تقليدياً للماركسية وللفكر الاشتراكى والديموقراطى .. ويرفض كلمة الاشتراكية العلمية الواردة بالميثاق ويريد تحريفها ، وفى مجمله كان متخلفا عن تقدم مسار عبدالناصر ، يريد الوحدة الفورية ويريد أن يحصر التنظيم فى طائفه واحدة ، يريد حزباً ثورياً وسياسياً لكنه يرفض الجبهات والتحالفات ويقف عند نهج الانقلابات !!

هذا التباين فى الآراء والمناهل سرعان ما تم القفز من فوقها وكان التركيز على نقاط الاتفاق ، وخرج المؤتمر بصياغة توفيقية .. ، ويبدو أن السبب وراء هذا النهج التوفيقى هو رد الفعل للأزمة التى مر بها الاتحاد الاشتراكى - الخلاف فإنشقاق المجموعة المتمركسة .

هذا المؤتمر عقد فى بدايات عام ١٩٦٦ م وكان أول مؤتمر يعقد فى الداخل ، وقد دعيت إليه قيادات المناطق وكذلك ابرز وأنشط العناصر ومثل الأمانة العامة فيه رئيس مكتبها بالداخل .، وكما قلت تم البحث عن القاسم المشترك وتم التجاوز للفهم المتباين للميثاق الناصرى على أن يتم الإلتزام به والاحتكام إليه كدليل عمل ..

● **هل ساعد هذا الإلتزام بالميثاق وتلك القرارات والصياغة التوفيقية على حسم الخلافات بين التيارين ؟**

☐ المسار التوفيقى لا يصنع حزباً .. وبصفة خاصة الحزب الذى

يطمح لمهام نضالية كبرى ويعيش تحت وطأة الاستبداد والملاحقة من السلطات ، ما كان من الممكن توحيد ما لا يقبل الوحدة أو الاستمرار فى مسار التغطية والتوفيق ، لقد تفاقمت المشاكل وازدادت المجادلات العقيمة وترافق مع هذا تعديلات وتغيرات فى المواقع التنظيمية ، سنتان بعد ذلك المؤتمر أمضيناها فى الجهود الصعبة والمرهقة صبت فى النهاية فى اللاجدوى ..

صحيح أن الكثيرين من أفراد ذلك التيار اليمينى كانوا طيبين ومستعدين للبذل والتضحية ولكن قصور وعيهم السياسى والاجتماعى كان يحجب الرؤية الصحيحة عنهم ولا يؤهلهم للقيادة والتوجيه ، ولكن كان هناك من يقف عائقاً أمام التوعية السياسية والفكرية وأمام عملية دمج القواعد واحتفظوا بالولاء الفردى والشللية بل بعناصر أبقوها خارج الإتحاد ، ووقفوا سداً أمام الحوار مع القوى السياسية الأخرى أو التفاعل مع الحركة السياسية ..

إن الخلافات التنظيمية التى برزت ، مست الالتزام التنظيمى والخروج عليه ، إلا إن النظرة فى العمق تؤكد دوماً على وجود خلفية من الخلاف الفكرى والسياسى ..

● **وكيف تم حسم هذا الخلاف ؟ وما هى الظروف التى أحاطت بهذا الحسم ؟**

□ الإنقسام إمتد إلى القيادة واللجنة المركزية .. وكانت الأوضاع العربية فى وضع الكارثة - يونيو ١٩٦٧ - إهتز كل شىء وساد الإحباط والبحث عن الحل للخروج من هذه الأزمة الطاحنة للواقع العربى،

كان لابد من حركة جديدة تستوعب الظروف الجديدة وتتجاوزها .. هذه الحركة لابد لها من الوضوح الايديولوجى والسياسى من الصلابة والوحدة التنظيمية ، ومن ثم فإن الإبقاء على وضع التوفيقية لم يعد محتملاً ، حاولت الأمانة العامة أن تدخل كحكم وساندت ممثليها الشرعيين فى الداخل ، ولكن الاتجاه الناصرى الأساسى - التيار الأول - فى الإتحاد وقف بحزم لرفض النهج التوفيقى ، وخرجت جماعة الهروب إلى الخلف - التيار اليمينى - بعد أن سبقتها بسنوات جماعة الهروب إلى الأمام - القوميون العرب - ودخلنا إلى المؤتمر الرابع برؤية جديدة ونهج جديد ..

● **متى عقد المؤتمر الرابع ؟ وما هى ملامح هذا النهج الجديد ؟**

□ عقد المؤتمر الرابع فى أوائل عام ١٩٦٨م .. وقد قررنا فى هذا المؤتمر أن الميثاق الصادر عن المؤتمرين التأسيسيين الأول والثانى قد انتهى ولم يعد يخاطب الواقع المتغير ولا يجيب على مسائله ومتطلباته ، وأن مقولاته السياسية الصدامية تبعدنا عن الفعل والتأثير وتدفعنا إلى اللاجدوى ، وقررنا الاعتماد على النهج الوطنى الديموقراطى لإعادة وحدة القطرين وللوصول إلى أية وحدة ورفض الطابع الانقلابى .

وإذا كنا قد أكدنا على أننا جزء من طلائع الثورة العربية ونعمل لتحقيق أهدافها الديموقراطية والاشتراكية والوحدوية فإن هذا يتطلب منا التعاون مع القوى الأخرى وإيجاد صيغ لتحالف القوى وتعاونها .. تلك القوى الوطنية الملتقية معنا فى مرتكزات الثورة العربية كما تجسدها مصر وقيادة عبدالناصر ، والمساندة الكاملة لنضال مصر ضد الحلف الامبريالى الصهيونى .

وعلى الصعيد الفكرى أكدنا على أن أى قصور فى الناصرية -

عدم اكتمالها كنظرية جاهزة - يرجع إلى حركة الثورة العربية ككل وطلائعها الثقافية ، بينما نرى الناصرية من خلال منهجها الاستراتيجى ابتداءاً أوتمثلها لأهداف الأمة من خلال التجربة والممارسة قد أخذت طريقها كنظرية فى مسار التشكل ، وإن علينا الإسهام في اغناء مضامينها وتوضيح منظوراتها كتطلع مستقبلي يعمل للإغناء والتجدد باستمرار .

وقد رفضنا مذهبية العمل السياسى .. وقلنا أن وجود تيارات ومنظورات متعددة للكون وللوجود وللمادة والروح وللمعتقدات الفلسفية والدينية أمر واقع حتى داخل الحزب الواحد ، لا يجوز أن تفرض هيمنة واحدة على الدولة والمجتمع ، ولابد من قبول التعددية ، بل إننا شرطنا الاشتراكية بالديموقراطية لا العكس وجعلنا مدخلنا للتفاعل السياسى مع باقى القوى الوطنية والتقدمية هو موقفها من الديموقراطية ومدنية المجتمع والقبول بالتعددية السياسية ..

وقد أخذنا بالاشتراكية العلمية من غير إلزام لها بأى فلسفة كونية مادية كانت أو مثالية أو وجودية ، إلا الإلزام الديموقراطي وحرية الإنسان وكرامته ، وأردناها تلبية لحاجات شعبنا لا مصادمة ومتعارضة لقيمه الروحية والأخلاقية العميقة الجذور ..

وانطلقنا منذ هذا المؤتمر ونتيجة لظروف الهزيمة لنركز على العمل الوطنى وبالتحديد مسألة الوحدة الوطنية حيث أن الانقسام الطائفى يهدد اللحمة الوطنية للمجتمع ، ونركز أيضاً على التطلع للتغيير

الديموقراطى وإيجاد صيغة لتحالف وطنى واسع على طريق هذا التغيير للوضع الاستبدادى القائم .. ، ومن هنا كانت تجربة الجبهة وفتح الحوار مع النظام ثم الاستمرار بعد رفضه حتى اعتقالنا ..

● **عن هذا الوضع السياسى والوطنى الجديد بسوريا والذى فرض نفسه على توجهات حزبكم أريد أن أطرح سؤالين ، الأول خاص بالنظام السياسى الاستبدادى الذى كان قائماً والثانى خاص بالقوى السياسية الأخرى وفكرة الجبهة ..**

لنبدأ بالسؤال الأول ...

● **ترددت تحليلات وآراء حول الدور المشبوه الذى لعبه النظام السورى فى توريط عبدالناصر لمعركة حزيران - يونيه - ١٩٦٧ م هل هذه التحليلات أو الآراء كانت لها صدى داخل سوريا آنذاك ؟!**

☐ بالفعل كانت هناك شكوكاً عديدة فى الشارع السورى تجاه النظام ودوره فى هذه الحرب ، وكانت هناك أزمة ثقة تجاه هذا النظام ، فقد كانت التساؤلات تدور حول الدور الذى لعبه نظام الحكم السورى (سواء بقصد أو بدون قصد) فى الاستدراج للمعركة ؟! وكذلك حول الدور المتخاذل أثناء الحرب ورفع بعض قياداته لشعارات الحفاظ على الثورة ونظام الحكم قبل الحفاظ على الأرض والدفاع عنها ؟!

ودارت شكوك حول وجود عناصر غير وطنية داخل النظام هى التى

دفعت بالأحداث للإيقاع بعبد الناصر وقد قيل أن بعضهم شرب الأنخاب فرحاً باستقالة عبدالناصر فى ٩ يونيو .

● **إذن كيف يمكن العمل على قاعدة الوحدة الوطنية والأسلوب الديموقراطى لا الإنقلابى مع نظام تدور فى الشارع الشكوك حوله ؟!**

☐ لم يكن المناخ العام وفق ظروف المرحلة هو الثورة على هذا النظام أوالتحرك ضده ، بل كان الإحساس بالحاجة إلى الوحدة الوطنية أكثر من أى وقت مضى ، فالعدو على الأبواب والوطن فى خطر والأمة كلها فى مأزق ، وليس الوقت بوقت تصفية الحساب مع هذا النظام ..

هذا هو المناخ .. والإحساس الذى تحركت فيه وبه قوى وعناصر وطنية عديدة ومنها حزبنا لتطالب النظام الحاكم بان يراجع مساره ليكون هناك مجال للمشاركة الشعبية والوطنية فى الإشراف على الحكم والإعداد لمعركة المصير ، وبرغم من كل هذا استعصى النظام على التغيير أو التفاعل وسرعان ما عاد إلى سابق عهده من التنكيل والاستبداد بعد أن مرت فترة الاهتزاز والحيرة لديه بعد هزيمة يونيو ..

● **أما السؤال الثانى فيختص بالتداعى إلى التحالف الوطنى الواسع ، من قبل ذكرت أن هذا الأسلوب رفض من التيار اليمينى الذى خرج ، وبالرغم من الوعي وصدق النوايا فإن تجربة الجبهة سرعان ما كشفت عن عدم إلتزام الأطراف الأخرى بما قررتموه جماعياً بل ناورت وخذلتكم فما هو تعليقكم ؟**

□ لا نستطيع أن نعمم فقد كانت هناك أطراف من هذه القوى مخلصة بالفعل للعمل الوطنى وواعية وملتزمة بالصيغة للجبهة أو الميثاق الذى جئنا به ، وفى طورنا الثانى أيضاً تعاملوا معنا وفق ذات النهج ، أما القضية التى كانت إحدى نقاط الخلاف مع التيار اليمينى فهى الانفتاح على الواقع السياسى ..التفاعل مع معطياته وأيضاً قواه .. بينما كانت لديهم نزعة إنغلاقية وعدم فهم لديناميكية العمل السياسى..

● ولكن قيل أن المرحوم عبدالكريم زهور كان متحمساً لفكرة الجبهة وشارك فى صياغة الميثاق وعندما اعتقل مع الجميع ورأى ما رآه من أساليب القوى الأخرى وما آلت إليه الأوضاع خرج من السجن واعتزل العمل السياسى نهائياً حتى رحيله ؟!

□ بالنسبة للأخ عبدالكريم زهور رحمه الله فإن موقفه من العمل السياسى وعزوفه عنه وعن الحزب بدأ قبل هزيمة يونيو ، وظروف الحرب هى التى أعادته للساحة وكان أول من اتصل بنا وأول المبادرين لعملية الجبهة ووضع الصيغة الأولى بعد الحوار والنقاش وأجريت عليها بعض التعديلات وقدم الأخ ياسين الحافظ صيغة أخرى ولكننا أخذنا بصيغة عبدالكريم زهور .

كان هناك اتجاه عام بضرورة وجوده كأمين عام للجبهة ولكنه رفض وقال : إنكم أصبحتم قوى حزبية ولا مكان لى للعمل معكم .. ، والذى

جاء به للسجن هو كتابته للصيغة الأولى للميثاق ..

أما موقفه من التناقضات وأساليب التعامل التآمرى والضيق بين القوى وارتباطاتها الخاصة ..الخ ، فإنه كان يعلمها قبل تكوين الجبهة وعلى دراية بها ولديه رؤية نقدية تجاهها ، والذى أتى به إلى هذه المبادرة هو الشعور بحجم المسئولية وأننا أمام مسألة مصيرية ، وقد تكون المعاناة داخل السجن وكذلك بعض الحقائق عن الأدوار أو التصرفات الحزبية للقوى الأخرى وراء قراره ، لكننى أؤكد أن قرار ابتعاده عن العمل السياسى كان سابقاً للجبهة كما كان لاحقاً لها ..

● **هل يعنى هذا صحة هذه الخطوات وعدم وجود أخطاء خاصة من الأطراف الأخرى ؟ وما هو تقييم الحزب لهذه المرحلة ؟**

□ بالطبع لا .. كانت هناك أخطاء .. وكانت التجربة درساً لنا وللآخرين ، بل إن تقييمنا أن مجرد صدور البيان الخاص بالجبهة كان خطأً يسجل علينا .. ، فقد كنا أدركنا أن هذا العمل فاشل فلا قيمة لصدور بيان موجه لعفوية الشعب فى مناخ استبدادى لا يعطى لهذه العفوية مجالاً وفى مناخ اختلفت فيه استجابة هذا الشعب فلم تعد عفويته كأيام الوحدة والانفصال ، وبالرغم من هذا الإدراك فإننا تحت الضغط الواقع علينا من قواعد التنظيم قبلنا بهذه العملية الانتحارية دون تراجع وكأنها مسألة كرامة شخصية ..

أما عن الأطراف الأخرى وسلبياتها فإن عدم إلمام البعض بنمط

التعامل الديموقراطى داخل جبهة أو الارتفاع عن جزئيات المناورة الضيقة من أجل الإحاطة بالاستراتيجية العامة وصراعات القوى ووضع نهج مرحلى .. الخ كان سمة بعض الأطراف ، كما كان هناك القوميون العرب بتنظيماتهم السرية والعسكرية وعلاقتهم الغامضة واسلوبهم اليسارى الطفولى ، وكان هناك أيضاً حزب البعث القومى الذى دخل الجبهة فى نهايتها والذى كان يتحرك بعقل وتصور عسكرى إنقلابى دون أن نحيط به ..

هذه الأساليب المتباينة والرغبات الضيقة هى التى سلبت الجبهة مقومات قوتها وتمثيلها كجبهة شعبية تقود المرحلة ..

● **قيل أيضاً أن الزعيم الراحل قد إطلع على ميثاق الجبهة واعترض عليه وأنه أخطركم - عبر قنوات حزبكم - بتحذيره من إيقاع بعض الأطراف بكم ؟ فلماذا تم تجاهل هذا التحذير ؟**

□ لم يحدث أننا تجاهلنا هذا التحذير .. لكن الحقيقة هى وصول تحذير عبدالناصر متأخراً أى بعد صدور البيان الأول واعتقال القيادات وما كان بمقدورنا أن نتراجع أمام تنظيمنا أو حلفائنا ..

وحقيقة الأمر أيضاً أنه لم يعترض على الميثاق بل عبر عن ارتياحه تجاه نصوصه وأفكاره ونهجه الاستراتيجى فى مواجهة ظروف الصراع العربى مع الحلف الامبريالى / الصهيونى ، بل أكد على تطابق جزء كبير منه مع منهجه وأفكاره .

ما أشار إليه عبدالناصر من اعتراض أو تحذير تمثل فى (١) "عدم تقديم المبرر والفرصة للنظام حتى يبطش بكم أو بالمعارضة" (٢) عدم قناعته "بأن هذه الجبهة قادرة على التغيير ووضع ميثاقها موضع التطبيق " وخاصة أن بعض الأطراف لن تخلص لهذا الميثاق وذلك النهج ويخشى من «أن ينتهى بعض أطرافها للإيقاع بغيرهم» .

● ماذا حدث بعد ذلك الصدام وحملة الاعتقالات التى أعقبت صدور البيان الأول للجبهة ؟

□ حملة الاعتقالات لم تقف عند حد إلقاء القبض على غالبية القيادات المسئولة عن الجبهة ، بل امتدت لتشمل القيادات الأولى للتنظيمات السياسية المشاركة فى الجبهة لتصل إلى أكثرالقيادات الرديفة ، وقد اتسعت هذه الحملة لتضم عناصر ومجموعات عسكرية ومدنية كانت تعبر عن معارضتها أو عدم قناعتها بنهج النظام بما فيها عناصر يمينية ورجعية بل وعناصر من الحزب الحاكم نفسه .. ، وادعى النظام وجود مؤامرة محلية مدعمة من نظم عربية تستهدف قلب نظام الحكم ..

وبالطبع مر حزبنا بظروف عصيبة فى هذه الفترة ، فقواعدنا التظيمية بدون قيادات ، ومناخ استبدادى قاتم ، وجماهير غير مستعدة ، مما جعل هذه القواعد فى حيرة وعجز عن الحركة ، ولكن الظروف الجديدة بدأت تتوافد .. فالصراعات الداخلية فى النظام ذاته فرضت

قدراً من التغيير فى المواقع القيادية للنظام الحاكم ، وتبع ذلك شيء من الانفتاح ومع نهاية عام ١٩٦٨م أطلق سراح غالبية المعتقلين من عناصر جبهتنا الوطنية ، وخرجت قيادات حزبنا من السجن لنجد أنفسنا أمام ظروف حزبية خاصة وظروف وطنية عامة وجديدة .

● **ما هى هذه الظروف الحزبية الخاصة ؟**

□ بعد هذه الضربة ساد جو من التسيب فى العديد من المواقع التنظيمية وتوقفت عمليات التوجيه والتوعية والنشر ، وأصبحت رؤية متغيرات الواقع السياسى وصراعاته غير واضحة ، ومهمات العمل الوطنى والنضالى غير محددة الاهداف على المدى القريب ،ومر الحزب بمرحلة من التردد التنظيمى والسياسى ..

ومن زاوية أخرى ظهرت داخل الحزب عدة نشاطات شللية لا تخضع للأقنية التنظيمية وقواعد الالتزام وأرادت هذه المجموعات أن تمد نفوذها داخل التنظيم ، فحاصرها التنظيم وحصرها .. أخرج بعضها من الحزب وحاول بعضها الاستمرار ولو بوتيرة ضعيفة فى الآداء السياسى والتنظيمى ..

فى هذا الجو أخذت القواعد بالدفع لعقد المؤتمرالخامس وفى ربيع ١٩٦٩م عقد المؤتمر تحت شعار "مراجعة الموقف السياسى والوضع التنظيمى» فى سبيل تحديد منهج مرحلى فى إطارالظرف الوطنى الذى يمر به القطر وصراعاته والظرف العربى المحدد بالمعركة التى يخوضها

عبدالناصر فى سبيل تحرير الأرض ودحر العدوان .

محصلة هذا المؤتمر لم تكن شيئاً يذكر فى حياة حزبنا فقد أقر باستمرارية النهج الذى أخذ به الحزب منذ المؤتمر الرابع ، وتركزت الانتقادات على الوضع التنظيمى والتى حسمت باستعجال عملية تجديد انتخاب الأمين العام وأعضاء اللجنة المركزية .. ، وقد استطاعت إحدى المجموعات التى اتخذت مسمى «الجهاز السياسى» فيما بعد أن تشكل تكتلاً من حولها للوصول الى المواقع القيادية ، ولعبت دوراً من التشويش داخل هذا المؤتمر ووصل بعض أفرادها للجنة المركزية ، وفى مراحل لاحقة خرجت عناصر هذه المجموعة من الحزب وإن بقى بعض افرادها .. ، وبعد المؤتمر بدأ الحزب يستعيد نشاطه وتماسكه شيئا فشيئا..

● **وما هى الظروف الوطنية الجديدة التى اوجدتم أنفسكم فى مواجهتها ؟**

□ الظروف الوطنية الجديدة كانت متمثلة فى الانفراج الوطنى الداخلى والذى حدث نتيجة التغيرات فى مواقع القيادات بالنظام الحاكم ومراكز القوى فيه والأجهزة عنده ، وغلبة الاتجاه الذى يدفع للتعاون أكثر مع عبدالناصر .. ومع التيارات الوطنية فى الداخل ..

لقد بدأ النظام يمد جسوراً للحوار معنا ودعانا للتعاون معه وذلك عبر عناصره الوطنية المنفتحة ، وطرحت القيادة الجديدة لحزب البعث

الحاكم اللقاء معها وضرورة تناسى الماضى وفتح صفحة جديدة من التعاون الوطنى ، وطالبونا بالمشاركة فى الوزارة الجديدة التى يجرى تشكيلها بوزير أو وزيرين يمثلان حزبنا ، ولم نقبل بهذه المشاركة التى قبل بها الشيوعيون البكداشيون ، فقد كان ردنا هو ضرورة الانفتاح على الشعب وعلى القوى الوطنية وإقامة جبهة حقيقية بين القوى السياسية لها دور فى اتخاذ القرارات السياسية لا المشاركة الوزارية الصورية ..

وإذا كانت القيادة فى النظام الحاكم قد أظهرت تفهمها لموقفنا ولانتقاداتنا لواقع النظام وسلبياتها فإنها قد صارحتنا بعدم قدرتها على تحقيق هذا الانفتاح بسبب الظروف العامة والظروف الخاصة لحزب البعث .

من جهتنا أكدنا على بقائنا فى المعارضة ولكنا سنكون ايجابيين تجاههم بمقدار ماينفتح نظامهم للشعب وبمقدار تصميمهم على المعركة وتعاونهم الاستراتيجى مع عبدالناصر ، وقد ألمحوا لى بان المواقف قد تتغير وكاشفنى بعضهم بأنهم على علم باللقاء الذى سيتم مع عبدالناصر - وهى دعوة سرية لزيارة مصر ولقاء الزعيم - وانهم سعوا لهذا اللقاء حتى يضغط هو علينا من أجل التعاون .

● **هل تغير موقفكم بعد اللقاء مع الزعيم ؟**

□ بالطبع لا .. لأنه كان موقفاً مبدئياً مبنياً على رؤية وتحليل

صحيحين للواقع وقد أقنع عبدالناصر بأننا نملك عقلية سياسية واستراتيجية لا عقلية انقلابية تآمرية ..

● **هل ظلت قنوات الحوار مفتوحة مع النظام حتى بعد عودتكم من لقاء الزعيم ؟**

□ نعم .. أصبح نظامنا شبه علنى .. وأخذنا نصدر جريدتنا مطبوعة ، وأفسح أمامنا المجال للمشاركة فى الانتخابات النقابية كالعمال والمعلمين ، وجرى بيننا وبين ممثلى الحزب الحكم تعاون فى بعض المجالات أو الاتفاق على عدم التصادم فى أوقات أخرى ، ولكن كل هذا لم يمنع الأجهزة من رصدنا وممارسة بعض الضغوط وعلى صعيد حزبنا كانت بعض القواعد تواجه هذه المواقف بكثير من التحفظات والشكوك وردود الفعل ..

● **متى بدأ الصدام يعود مرة أخرى ؟!**

□ منذ مبادرة روجرز حين وافق عبدالناصر فى ٢٣ يوليو ١٩٧٠ على وقف إطلاق النار لمدة ثلاثة شهور ، وبالرغم من أن مقاصده التكتيكية والعسكرية والسياسية لم تكن خافية على قيادات النظام فإن التكتل الطائفى داخل الحزب الحاكم والذى كان يرفض مشروع الاتحاد بين مصر وسوريا وليبيا قبل ذلك سرعان ما انتهز الفرصة ليضرب المشروع ويثبت أقدامه فى توازن الحكم ، وفتحت حملة مسعورة على عبدالناصر وعملوا على تحريض فصائل من المقاومة الفلسطينية وأطلقوا

كل الأبواق الحاقدة على مصر وعلى عبدالناصر ..

ووقفنا بكل قوتنا ضد هذه الحملة الغاشمة رغم وسائلنا القاصرة ، وقامت القطيعة من جديد بيننا وبين النظام ، وتلاحقت الأحداث المأساوية فى الأردن .. فى أيلول الأسود ، وهرع الجميع إلى عبدالناصر لينقذ هذا التصدع الرهيب ،وبمجرد الوصول إلى تسوية مرضية للأطراف .. ، سقط عبدالناصر شهيداً .. ورحل عنا .. وشعر الجميع بالفراغ الكبير .

٤

اللقــــاء مع عبدالناصر

[أنا واحد من أمة كبيرة فجعت فى الوالد العظيم .. حين فقدت رجلها الأول وقائدها وهى تمر بمرحلة من أصعب مراحل تاريخها ، إن مأساتنا بفقد الرجل الكبير جمال عبدالناصر لكبيرة ، وتأتى الفاجعة إمتحاناً كبيراً لمعدن أمتنا العربية ومعدن رجالها وثوارها ، فمن خلال الحزن العميق لابد وأن نتطلع بشىء من الأمل .. فنحول المأساة عزيمة]

برقية عزاء د. جمال الأتاسى *

الأمين العام للاتحاد الاشتراكى بسوريا

* الأهرام -٣١/١٠/١٩٧٠ .

سنحاول فى هذا الجزء تسليط الضوء على تفاصيل اللقاء الذى تم فى أغسطس - آب - عام ١٩٦٩م مع الزعيم الخالد جمال عبدالناصر بالقاهرة ..

● **وكمدخل طبيعى لرصد هذا اللقاء سوف تبدأ بالظروف والملابسات التى مهدت وفرضت هذا اللقاء .. ما هى ؟**

□ الظروف التى كانت محيطة وممهدة لهذا اللقاء هى ظروف ما بعد هزيمة ١٩٦٧م ، فالظروف الجديدة تتطلب تعبئة وتوجيهاً موحداً للأوضاع التى خلقتها الهزيمة ، ولمواجهة مرحلة إزالة آثار العدوان ، بالطبع كان عبدالناصر ممسكاً بإعادة البناء داخل مصر ويريد إعادة بناء

العلاقات العربية ليأخذ منها أقصى ما يمكن أخذه لصياغة حركة التضامن والصمود والتصدى لهذه الهزيمة وتلك المرحلة ، وفى سبيل الإعداد للمعركة كانت لسوريا دور هام يريد عبدالناصر أن تلعبه ، خاصة وأن هناك تلاقى فى المواقف العامة سواء مواجهة الامبريالية والحلف الأمريكى / الصهيونى أو من حيث العلاقات الايجابية مع الاتحاد السوفيتى الذى كان يدعم الأمة العربية فى إتجاه نضالها وكفاحها ..

فى هذا المناخ وفى الخطوات التى كانت تتخذ على طريق توثيق العلاقات وبناء القيادة المشتركة ، كانت القيادات البعثية فى لقاءاتها مع عبدالناصر تشكو من الموقف السلبى للحركة الشعبية الناصرية والمضاد لنظامها ، وأيضاً تتعرض لشخصى فى هذه الشكوى ، ولما كانت رغبة عبدالناصر هى دفع النظام نحو التضامن والمشاركة فى التصدى لأعباء المرحلة فإن المشاكل الداخلية والانقسامات كانت وفق تصوره تشغل النظام وتعطيه مبرراً للإبتعاد عن هذا الدور القومى ، هذه الرغبة جعلته يرى أن القوى الوطنية فى الداخل يجب أن تجد صيغة للوفاق مع النظام ..

وزادت حدة المسائل بعد التغييرات التى حدثت فى القيادات الحاكمة بسوريا عامى ١٩٦٨/١٩٦٩ ، فلقد دعتنى هذه القيادات للمشاركة فى الوزارة والحكم كما ذكرت ورفضت وطرحت موضوع الجبهة الوطنية كأساس لهذا التعاون فاعتذروا ، لكنهم فى لقاءاتهم مع

عبدالناصر فى هذه الفترة ركزوا شكواهم على تنظيمنا ومواقفه المعارضة والمشككة فيهم ويطالبونه بأن يؤثر على تنظيمه بسوريا !! ، وكان عبدالناصر يؤكد لهم دوماً أنه ليس له تنظيم ولا يريد أن يتدخل فى الاوضاع الداخلية لبقية الأقطار العربية .. وفى الوقت نفسه لا يريد أن يتدخل أو يؤثر فى الاتجاهات والخيارات التى تتبناها القوى السياسية ، ولكن مع الإلحاح المستمر والشكوى الدائمة طرح عليهم إمكانية دعوتى للقائه .. وأعلن ذلك للقيادة السورية فرحبت بهذه الفكرة ..

● **هل كانت رؤية عبدالناصر بالنسبة لسوريا مرتبطة بالتغير الذى حدث فى فترة ١٩٦٩/٦٨ فقط؟! وهل كانت هذه أول دعوة للقاء معه؟**

□ الرئيس كان من قبل ذلك وحتى من قبل الحرب - ١٩٦٧- بفترة قصيرة كان يرسل ينبهنا إلى هذه المسألة .. وطلب منى قبل الحرب مباشرة أن أجد فرصة للذهاب سراً إلى القاهرة لمناقشة هذا الموضوع ، وكانت صلة الوصل هو مكتبنا بالقاهرة حيث كانت القيادة الخارجية وهى التى تدير هذه الاتصالات معنا وتضع القاهرة أمام الصورة الداخلية ، بالاضافة إلى الصلة المباشرة لى بالرئيس من خلال سفيرنا سامى الدروبى الذى كان أخى وصديقى وملتزماً بالنهج الوحدوى وتعلقه باعادة الوحدة..

لقد أعددت ترتيباتى بإتفاق مع سامى الدروبى للسفر فى بداية حزيران ١٩٦٧ حيث كنت سأذهب فى جولة للاتحاد السوفيتى ثم القاهرة، ولكن المعركة وقعت وأغلقت المطارات قبل الحرب بيومين

فألغيت الزيارة .. ، وعندما جددت الدعوة اخترت أيضاً الطريق غير المباشر حيث كنت مدعواً للجزائر وتوجهت من هناك إلى القاهرة .

● **لماذا وقع الاختيار على الطريق غير المباشر ؟ ألم تكن الحكومة السورية على علم بهذا اللقاء كما ذكرت الآن وكما ذكرت فى الفصل السابق أنهم كاشفوك بهذا ؟**

□ نعم لقد أبلغونى أننى مدعو للقاء الرئيس .. وذكروا لي الصيغة التى قيلت بالتحديد ، فقد سألهم بعد تكرار الشكوى : هل لديكم مانع فى لقائى معه ؟! فوافقوا ورحبوا بذلك - عسى أن يكون ضغطاً منه علينا لتغيير مواقفنا معهم - ، لكنهم بالرغم من ذلك لم يعلموا موعد اللقاء ..

● **كيف أخبرت بالموعد ؟**

□ عن طريق سفيرنا الدروبى فقد جاء لدمشق بسبب وفاة ابنته ، وأخبرنى بالموعد واتفقنا على الترتيبات اللازمة .. ولكي يلزمنى بالحضور أخذ ابنتى معه للقاهرة ..

● **ولماذا الجزائر ؟**

□ كنت مدعو لحضور المؤتمر الثقافى الافريقى هناك ..

● **ومن كان فى استقبالك بالقاهرة ؟**

□كان فى استقبالى سفيرنا وسفير الجزائر وبعض السفراء العرب وبعض الأخوة السوريين كالأخ جاسم علوان وآخرين .. ومندوب الرئاسة الذى أبلغنى بأنى فى ضيافة الرئيس فأنزلنى بفندق شبرد وقال لى أن اللقاء سيكون فى الاسكندرية ..

● هل حدث لقاء أو حوار مع رموز المرحلة قبل لقائك بالرئيس ؟

□كان المسك بعملية الاستقبال أو الاتصال هو الممثل الشخصى للرئيس - حسن صبرى الخولى - فقال لى : أنت فى ضيافتنا .. وكمرحلة تمهيدية يمكن أن تتصل بنواب الرئيس ثم بآخرين ، وبالطبع كانت لى اتصالات ولقاءات مع شخصيات تنظيمية وسياسية وكانت صلة الوصل بهذه الشخصيات آنذاك هما الأخ على صبرى والأخ محمود أمين العالم ، وعندما ذهبت للاسكندرية كان هناك لقاء مع السادات وحسين الشافعى وبعض الشخصيات السياسية والصحفية .

● قبل الدخول إلى تفاصيل لقائك مع الزعيم : ما هو انطباعك بعد هذه اللقاءات والاتصالات عن رجال الرئيس - إذا صح التعبير - ؟

□ظننت أنه سيكون بينى وبينهم أحاديث تحيط بالموقف العام وفى الوقت نفسه تمهد بالآراء للقائى مع الرئيس ، ولكن الحقيقة أننى لم أجد ما توقعته ، حتى حينما دعانى السادات لاستراحته بالاسكندرية .. وبدأت فى طرح بعض القضايا والمواقف السياسية ، قال لى : دع ذلك

للقاء الرئيس واتركنا هنا نتحدث فى أشياء أخرى ، فكانت الأحاديث كلها أمور عادية وعامة وكأن مسألة السياسة هى مسئولية عبدالناصر فقط .

● أى لم تتم حوارات فكرية مع رجال الرئيس ؟! أو الشخصيات السياسية ؟!

□ إطلاقاً .. الحوارات كانت تدور حول ظروف المعركة .. والجو الوطنى العام الموجودين فيه ..

● كان الحديث عن مصر بالتحديد لا عن الوطن العربى ؟

□ نعم .. وحتى الحديث عن الوطن العربى كان مجرد تبادل معلومات أكثر منه إحاطة بظروف أو توجه نحو موقف أو تركيز على قضية معينة ..

● هناك ملاحظة أريد استيضاحها مما سبق : هل الهم القومى - الملح فى المشرق وخاصة عند التيار الناصرى - كان له صدى عند قيادات الاتحاد الاشتراكى بمصر ؟

□ فى الحقيقة .. كان الهم القومى شاغلهم كلهم .. ولكن تركيزهم كان منصباً على المواجهة والصمود فى مصر .. خاصة وأن حرب الاستنزاف كانت قائمة آنذاك ..

● ولكن إزالة آثار العدوان كانت مطروحة عليكم أيضاً .. ولا

تتعارض أو تلغى اهتمامكم بالحركة العربية الواحدة أو بالقضايا القومية؟ ، مرة أخرى : هل كان الهاجس القومى واضحاً ومحدداً لدى القيادات المصرية فى ذلك الوقت ؟

□ بالنسبة للقيادات والمسئولين فى النظام الناصرى أو التنظيم السياسى - الاتحاد الاشتراكى - فقد كان الهم الاساسى لديهم هو إزالة آثار العدوان .. ولم يكن الهاجس القومى ملحاً لديهم ..

ولكن كانت هناك قيادات تقدمية وناصرية على علاقة باخواننا من تنظيمنا بمكتب القاهرة ، وكانت الحوارات تدور معهم حول الهم القومى..، وحتى فى مجال إزالة آثار العدوان كان الحديث يتعرض بالتحليل للقوى اليسارية أو القومية أو الفلسطينية التى كانت تدين / وتقوم بالمزايدة / شعار إزالة أثار العدوان وتعتبره يفى بالحاجات القومية، ومن هذه القيادات التى لمست لديها الهم القومى بوضوح : الدكتور خلف الله .. والدكتور عبدالعزيز الأهوانى والدكتور عبدالكريم أحمد وآخرون ..

● **هل كانت الفترة منذ وصولك حتى تحديد موعد لقاء الرئيس الهدف منها إدارة حوارات مع هذه القيادات ؟**

□ لم يكن هذا هو الهدف .. فكما فهمت من حسن صبرى الخولى فإن إطالة المدة كان الهدف منها أن آخذ قسطاً من الراحة والاستجمام .. خاصة واننى كنت قبل فترة قصيرة فى المعتقل بسوريا .. وكان هذا من

كرم الضيافة .

● **كيف تم تحديد الموعد ؟**

□ الحقيقة أننى لم أذهب للراحة أو الاستجمام .. وقد طالبت بتحديد الموعد بعد وصولى مباشرة ، ولكن بعد عدة أيام شعرت بضغط الظروف عليّ .. سواء الظروف العامة أو ظروفنا الخاصة بسوريا والحاجة إلى العودة ، وعندما زاد إلحاحى فى هذا الاتجاه ذهب حسن صبرى الخولى إلى الرئيس ثم عاد وهو يبتسم وقال لى : إن مسألة لقاء الرئيس تبدو وكأنها نهاية الضيافة .. ونحن نريدك هنا أطول فترة لتستريح ، فقلت له : إذا كان الهدف هو الضيافة فما لهذا قصدت ، فقال لى إذن الموعد يمكن أن يكون اليوم .. ، ثم أتى بعد الظهر وقال لى : الموعد تحدد فى السادسة مساءاً ، وبالفعل جاء إلى واصطحبنى إلى شاليه برج العرب ووصلنا فى موعدنا ..

● **هل كان هناك آخرون فى هذا اللقاء ؟**

□ عندما وصلنا وجدت بجانب الرئيس كلاً من أنور السادات وسامى الدروبى ..

● **ما هو الانطباع النفسى المباشر - خاصة أن هذا أول لقاء لك بالرئيس - وهل وجدته كالصورة المرسومة فى ذهنك عنه ؟!**

□ فى الحقيقة ان هذا هو أول لقاء لى به .. وكان من الممكن اللقاء

به قبل ذلك عندما كان يأتى لسوريا وكانت الوفود من حزب البعث وغيره تذهب للقائه ولكنني لم أكن أذهب لأن من عاداتى إذا لم أطلب لا أذهب .

أما ما يخص الصورة الذهنية .. فقد كانت واضحة جداً .. سواء عن الرئيس أو شخصه أو حديثه ولقاءاته .. الخ ، فأنا لم أفاجأ بأى صورة مغايرة عن الصورة المرسومة ، ولكننى فى بداية اللقاء كنت منفعلاً جداً .. وهذا عكس حالتى بعد نهاية اللقاء .. فقد شعرت بالراحة القصوى .. بأننى امتلأت بشىء جديد هو الثقة بالنفس وبالقضية والأهداف .. إنه يعطي للآخرين حوافز ودوافع قوية .. وتفاؤلاً بالمستقبل ، وعندما خرجت أنا والدروبى قلت له : لقد شعرت بنشوة لم أشعر بها فى حياتى .. فالثقة بالمستقبل كانت قوية لديه .. وفى الوقت الذى تسود الوطن العربى سحابة قاتمة من اليأس والحزن ..

● **هل كنت قد أعددت أوراقاً لهذ االلقاء ؟**

□ أثناء إقامتى بالاسكندرية مع صديقى الدروبى قلت أن هذه فرصة يجب أن آخذ منها أكثر ما يمكن الاستفادة به ، وبدأت فى كتابة أهم القضايا والأمور التى ينبغى مناقشتها أو التساؤل عنها فقد لا يتاح لى الوقت لطرح كل الأمور وكل ما أريده ، ولكن سامى الدروبى قال لى: دعك من هذا . واترك المبادرة للرئيس فهو سيضع الأمور فى نصابها مباشرة ..

● **كيف بدأ الحديث ؟!**

□ بعد الكلمات العامة والترحيب والسؤال عن الاخوان فى سوريا .. فاجأنى بسؤال هجومى وضعنى فيه على طريق الحوار ، فقد قال لى : مالذى تفعله أنت والاخوان فى سوريا ؟! هل مازلتم تفكرون بالعقلية الانقلابية .. بالانقلابات العسكرية والمناورات ... الخ ..

بالطبع ادركت ما هو المقصود بهذا السؤال ، ولكننى فوجئت بأن الرئيس يوجه لى هذا النقد وتلك التهمة بالرغم من معرفته بمجريات الأمور لدينا فى سوريا !! ، ثم عاد وطرح سؤالاً آخر إمتداداً للسؤال الأول .. فقد قال لى (إيه يا سى جمال .. إحنا ح نشتغل سياسة ولا لأ؟!)

● **هل كان الرئيس يقصد رفضك التعاون مع النظام بسوريا ؟**

□ نعم .. كان يقصد ذلك ..

● **وماذا كان موقفك ؟**

□ كان موقفى فى البداية هو التوضيح والدفاع عن النفس .. ، فقد قلت له : أننى لم أفكر فى حياتى كلها بعقلية انقلابية ..وهذا الكلام قد يوجه لغيرى - أى النظام - فأنا أنبذ هذه العقلية ولا أراهن فى أى لحظة على الاعمال السياسية المغامرة أو الاساليب التآمرية والعمليات الانقلابية .. الخ ، بل دائماً أؤمن وأعمل باستمرار معتمداً

على العمل الشعبى والتنظيمى وهذا الاسلوب بارز حتى فى مطالبنا التى توجهنا بها إلى سيادتكم أو التى إختلفنا بسببها مع النظام بسوريا ..

وأوضحت موقفى أكثر للرئيس قائلاً : انكم علموتنا أن السياسة ممارسة وهى التعامل مع الممكن .. ولكن بشرط أن يكون الانسان ممسكاً بلب المسائل وله دور فى القرار السياسى ،ولكن الصيغة الموجودة والتى يبنى عليها النظام أساس حكمه لا تعطى أى دور للآخرين .. لأنه نظام فئوى ..

● **هل كان للرئيس ملاحظات على هذا الموقف ؟ .**

☐ نعم فقد أشار إلى ما طرحوه عليه - أى النظام - من امكانية التعاون معنا والمشاركة فى الحكم عن طريق ترشيح وزير أو وزيرين من طرفنا ، ثم سألنى مستفسراً : ما هو السبب فى الرفض والاستنكار إذن .. طالما مستعدين لإتاحة مساحة تمارسون فيها دوراً ؟!

كان تعقيبى : هو أن مجلس الوزراء ليس هو مكان المشاركة وليس هو القيادة السياسية ، وإذا كنا نريد أن ندفع هذا النظام على الطريق الايجابى للمعركة وللتحالف الملتزم مع مصر فلن يكون ذلك باسلوب المشاركة الوزارية ، لأن النظام يرفض أن يكون بداخله هذا الاتجاه .. الذى يدفعه إلى عكس اختياراته ..

ثم قدمت رؤيتنا لهذا النظام وتاريخيته وعن الاشكالية القائمة بيننا وبين هذا النظام منذ أن نكل بمشروع الوحدة واستأثر بالحكم بعد أن وصل إلى السلطة عن طريق الايهام بالتجاوب مع مطالب الشعب .. والدفع الجماهيرى نحو الوحدة ، ثم انقض علي ما سبق وأبرز وجهه الحقيقى، وقد خلق هذا أزمة ثقة بين الجمهور الناصرى العريض وبين هذا النظام ، ولا تتوقف الخلافات عند الإنفراد بالسلطة فقط ، بل لدى الجمهور الناصرى فى سوريا شكوك تطرح حول مسألة صدق النظام فى الموقف الوطنى ومن المعركة ، وتمتد هذه الشكوك حول دوره فى هزيمة حزيران - يونيو - ودفعه الأمور إلى الحرب ، وحول الكثير من الظروف والملابسات التى أدت إلى الصراعات والمصادمات بينه وبيننا ..

● **ألم يكن الرئيس على علم بهذه الأمور ؟! وهل طرح فى الحديث تفسيره لفكرة التعاون مع النظام السورى ؟**

☐ بالطبع كان ملماً بكل هذه الأمور .. وقد كان تفسيره أو رؤيته التى شرحها قائلاً : ان التغييرات التى حدثت فى النظام السورى فيما بعد الهزيمة تجعلنى أتعامل مع هذا الحكم الوطنى مهما كانت ظروفه وشروطه وعقده .. فنحن بحاجة لدفعه على طريق المعركة .. ونحن لا نتخذ هذا النهج لأنه حكم بعثى يحمل شعارات الاشتراكية والحرية والوحدة وينتهج سياسة اجتماعية وسياسة عربية ودولية تقدمية بشعاراته ودعواه ، ولكن أياً ما كان نظام الحكم فى سوريا فسوف

أتعاون معه وأدفعه على طريق المعركة .. ، أى حكم وطنى حتى ولو كان «شكرى القوتلى» أو «صبرى العسلى» أو «أديب الشيشكلى» فانا بحاجة فى المعركة للتعاون معه وأدفعه لساحة الصدام مع اسرائيل ..

ثم استمر فى توضيحه : أننى بعد الهزيمة واكتشاف عوامل وأسباب هذه الهزيمة .. أحاول أن أبنى قوتى وأعد مصر للمواجهة حتى لو أضطررنا أن ندخل المعركة وحدنا !! ، لكن هذه المعركة ليست معركة مصر وحدها إنها معركة الأمة العربية كلها وأى رصيد يقدم من الأمة لهذه المعركة هو سند لنا .. ويساعدنا ، وسوريا يمكنها أن تساعدنا بشكل أكبر حتى لو انحصر دورها يوم أن ندخل المعركة - فى أن تشغل جزءً من القوى الاسرائيلية على الجانب الآخر.. وهو دور هام بالنسبة لنا ، فما بالك لو شاركت سوريا بإمكانياتها وطاقاتها الأكبر من ذلك بكثير؟! ، وضرب لى مثالاً على هذا فقال : فى يوم ٣ آب - أغسطس - أعلنت "الإذاعة" أن الطيران السورى هجم على جبل الشيخ فى الجولان .. لكن الإذاعة الاسرائيلية أعلنت بسخرية أنهم ضربوا (كشك) للصيادين.. ، ورأيى انهم حتى ولو ضربوا (كشك) لصيادين فهذه عملية ايجابية تضيف لنا .. وتشعرنا بالمساندة .. ، لذلك نحن فى حاجة لسوريا ولا نريد أن نعطى أى مبرر للنظام أو الحكم لكى يبتعد عن المعركة ، ولا نريد أن نشغله بالصراعات الداخلية ، ولقد قمت فى السابق بتشكيل جبهات وبنشاطات معادية للنظام .. لكننى لا أريد

مشاكل فى سوريا الآن .. وأريد أن تدفعوا الأمور إلى الأمام ..

● **ماذا كان تعليقك على هذا التصور ؟!**

☐ تعليقى كان التأكيد على الصورة الثانية .. أن هذا الحكم لا ينفتح للتعددية ولا لعلاقة وطنية تشد الشعب معه .. ، وأن هناك جوانب فئوية بالنظام تدفع لمزيد من أزمة الثقة ، وبالرغم من هذا فإننا مع اتجاه الدفع نحو التعاون الايجابى من أجل وضع النظام على طريق المعركة مع اسرائيل ، خاصة بعد التغييرات التى طرأت بالفعل على القيادة البعثية وبعد أن إتضحت ظروف الاندفاع لمعركة مع العدو بوتيرة أسرع ، إلا أن أزمة الثقة مازالت موجودة ..

ومن زاوية أخرى طرحت على الرئيس المشكلة على النحو التالى : إننى لست فرداً له مطلب سياسى .. ولكننى علي رأس تنظيم وحزب له طموحاته البعيدة ومراميه ، وله منظوره القومى والإجتماعى وقواعده من الوحدويين الذين ذاقوا ما ذاقوه على يد النظام البعثى فى تعدد مراحله وتقلباته ، ومن ثم فإن عدم الثقة لا يمكن أن يتحول فى يوم وليلة ، لا يعنى هذا أننا سنحاول عرقلة الخطوات التى تستهدف خلق أجواء جديدة من أجل المعركة القومية ، ولكننا سنحاول أن ندفع هذه الخطوات وذلك الإتجاه بكل قوانا من موقع المعارضة ، ونحن بالأصل لا نتآمر ولا نخلق المشاكل ، وعندما شكلنا الجبهة التى ضربوها بعنف هم الذين صوروها بشكل مؤامرة ، وهذا محض إفتراء .. فلقد دعونا فى بداية الحوار قوى

مشاركة مع النظام - كالشيوعيين البكداشيين - وبعض أطراف النظام وكان الهدف هو الوصول لصيغة تحقق المشاركة الجماهيرية الأوسع وانسحب هؤلاء ولكننا سرنا فى إتجاه الجبهة من أجل الضغط لدفعه نحو قبول المشاركة والرقابة الشعبية على توجهاته القومية حتى لا نقع فى نفس الظروف التى وقعنا فيها فى هزيمة حزيران - يونيو - عندما انسحب بالشكل الذى انسحب به !!

● **ما هى نتيجة الجدل حول هذا الموقف من النظام البعثى ؟**

□ النتيجة التى توصلت إليها هى صعوبة التعاون .. لأننى جزء من قيادة تنظيم له إمتداده الجماهيرى الواسع .. فالمطلوب أن يتعاون النظام مع الشعب وإن لم يجد هذه الصيغة فإن الجماهير لن تقبل أن تسير وراء التنظيم ولن يسير التنظيم وراء قيادته إن هى قبلت بالتعاون مع نظام لا يتعاون مع جماهيره !!

● **ماذا كان موقف عبدالناصر ؟! كيف وازن بين تصوره لطبيعة المرحلة واحتياجاتها وبين طبيعة مواقفكم وصلابتها ؟**

□ كان موقف الرئيس واضحاً .. فقد تفهم ظروفنا ورؤيتنا ، بل إن السادات وسامى الدروبى حاولا التدخل للضغط علىّ من أجل أن أقبل التعاون مع النظام فإذا بالرئيس يقاطعهم ويقول لهم : «إتركوه فهو أقدر على تقدير ظروفه وإتخاذ قراره ، خاصة وأنه يتحدث بمنطق ومعقولية ، ونحن نريد إيجابية فى المواقف مع النظام السورى ولكن بدون بتر أو

ضغط للحقائق وتفاعلات الواقع» .

● **هل الحديث عن ضرورة التعددية السياسية فى سوريا وانفتاح النظام على القوى السياسية والشعبية كمطلب ديموقراطى مبدئى .. الخ، دفعكم لمناقشة قضية الديموقراطية - نظرياً - فى فكرالرئيس خاصة وأن التعددية لم تكن موجودة فى مصر ؟**

□ لم يكن هناك حوار عن الديموقراطية .. لأن حديثنا لم يكن عن النظام الذى نريده أو حول فكرالرئيس ، ولكن معظم الجلسة دارت حول النظام السورى بالتحديد وموقفه منا وموقفنا منه وسبل التعاون .. الخ، وعلى صعيد آخر لم تكن هناك فرصة للمناقشات النظرية لأن القضايا الحيوية والساخنة كانت محور تركيزى حيث أنها فرصة تاريخية - اللقاء - حاولت أن اناقش وأستجلى الحقائق والأمور فيها ، فقد كانت القضية الفلسطينية ومنظماتها المتعددة قضية ملحة .. وكذلك موضوع الحركة العربية الواحدة .. الخ ، ولكن ظروف المعركة أخذت إهتماماً أكبر .. حيث دار الحديث عن الوطن العربى .. والقوى الفاعلة على الساحة وكيفية الوصول إلى مرحلة إزالة آثار العدوان وتعبئة القوى كلها .. ، خاصة أن هذه الهزيمة فى ١٩٦٧ جاءت لتقطع على المسيرة الوحدوية تقدمها ..

● **بعد الحديث المستفيض عن سوريا ماذا تم الاتفاق عليه ؟ وماذا دار حول موضوع المعركة وإزالة آثار العدوان ؟!**

أغلقنا ملف الحوار عن سوريا فى إطار التأكيد على ضورة مشاركة سوريا فى المعركة والدور الذى يمكن أن تؤديه أو الحاجة لوقوفها بجانب مصر ، وبعد ذلك سألت الرئيس السؤال الشائع آنذاك : ماذا عن معركة التحرير ؟! ، وقد حاول الرئيس أن يضعنا فى الصورة خاصة وإنه كان يشعر كأن الهزيمة مسئوليته التاريخية وحده .. وكان يكرس حياته وجهده كله لإنهاء هذا الموضوع وحسم المعركة لصالحنا ..

قال لنا «لا يدخل فى شك أحد أننا سندخل المعركة وهى بالنسبة لنا ليست فقط قتال وكسب حرب وإزالة أثار العدوان ، بل أصبحت ضرورة لإستعادة الثقة بالنفس والكرامة .. الثقة بالاهداف والطريق ، إننا نحاول تهيئة كل الظروف التى تساعدنا على خوض المعركة ، إن السؤال عن يوم المعركة يدور فى أذهان الجميع .. حتى إبنى الصغير (عبدالحكيم) جاء ليسألنى : متى سنقاتل يا أبى ؟! لأن أصدقاءه فى المدرسة يسألونه أيضاً !!»

والحقيقة أن الرئيس فى حديثه عن المعركة تحس حرارة الصدق والاصرار ،والى جانب هذا تجد الوضوح والنظرة الشاملة بالاضافة إلى إلمامه بالتفاصيل فى كل جوانب المسألة ، لقد قدم لنا تصوره للمعركة فى بعدها الداخلى - إعادة البناء - وفى بعدها العربى والدولى ، وكيفية تهيئة كل الظروف المواتية من أجل النصر ..

● **هل كان فى حديث عبدالناصر تحديداً للفترة الزمنية التى ينبغى**

أنتم فيها المعركة ؟ أم كانت المسألة مفتوحة للزمن وللأحداث ؟

☐ بالعكس كان تركيزه فى سرد الوقائع والمهام الرئيسية التى تخص المعركة على قاعدة وجود «سقف زمنى» لهذه المرحلة الإعدادية ، فعن إعادة بناء القوات المسلاحة قال لى «إننى من قبل ساعات قليلة كنت مجتمعاً بالقيادة السوفيتية (كان فيها رتبة أميرلاى) واستمر اجتماعى بهم حوالى ست ساعات من أجل تكوين تصور للمعركة» وفى هذا الإطار أوضح لى كيف أنه يحاول شد الاتحاد السوفيتى وإلزامه بقضية المعركة بحيث يواجه إلتزام الولايات المتحدة ودعمها المطلق لاسرائيل مع فارق الظروف والإرادة ، وكيف أنه جلب المستشارين السوفيت وخلق هذا صعوبات بسبب الحساسية والوطنية للضباط الشبان ، ثم تردد المستشارين وعدم ثقتهم فى إمكانياتنا العسكرية ومضى فى توضيحه إلى أن قال «لقد تخطينا هذا كله ..وحالياً حتى السوفيت الموجودين أصبحوا يتفاعلوا ويتعاملوا معنا بثقة ، وأصبحوا يتحمسوا لنا وكأن صلتهم ببلادهم قد إنقطعت ، بالطبع لن يشاركوا فى المعركة لكنهم متحمسون لنا ويروا أننا أصبحنا فى طور متقدم وأصبحنا فى مرحلة القدرة على الإجتياز وأن نبدأ معركة التحرير، لكننى أرى أننى فى حاجة إلى سنة أو سنة ونصف حتى أضمن هذه المعركة .. وحتى أصل إلى مليون جندى تحت السلاح » .

● **كيف كان يرى الوضع العربى بتناقضاته وفى الوقت نفسه برؤيته**

لوحدة الصف ؟

□ فى حديثه عن الوضع العربى والعلاقات العربية تكلم عن النهج الايجابى بصفة عامة ، لكنه كان يشعر بمرارة تجاه المناورات : كدور العراق السلبى والنظم الرجعية ،وبالرغم من ذلك فإنه أكد على ضرورة أن «نأخذ منهم المساحةالتي يقدرون عليها وفق إمكانياتهم وظروفهم» وفى هذا المجال أشار إلى أن الملك السنوسى أرسل إليه عشرة ملايين سراً حتى لا يتفضح أمره أمام الاستعمار وهو الواقع تحت وطأة الإمبريالية وقواعدها العسكرية فى بلده ، وتعرض أيضاً لدور الجزائر التى استغلت الهزيمة وبدلاً من أن تكون بجانبنا تحولوا وكأنهم خنجر فى ظهرنا " ، ثم مضي يقول :

«لكننا على كل حال نحاول أن نستثمر مناخ التعاطف والتعاون فى إتجاه المعركة ، وطالما نحن جادون فى شق الطريق إليها نستطيع أن نعبئ كل القوى وأن نلزم كل عربى بدوره تجاه المعركة مع إدراكنا لظروف وعلاقات الجميع»

وفى تحليله عن الأوضاع وتناقضات المرحلة عربياً أكد على أن الشعب العربى يقدم كل يوم رده على الهزيمة ، وأن ثورة السودان إحدى هذه الردود .. وهناك على الطريق ردود أخرى ، فيقظة هذا الشعب سوف تتصاعد مع تصاعد حركتنا فى إتجاه التحرير والنصر ..

● **فيما يخص القضية الفلسطينية والمنظمات الفدائية قلت منذ برهة**

أنها كانت من النقاط الرئيسية المستهدفة فى الحوار وضمن استفساراتك للزعيم ، فما الذى طرح بهذا الشأن ؟ وهل كان غاضباً عليها نتيجة مواقفها الطفولية منه ؟!

☐ كان الحديث عن الثورة الفلسطينية له شجن عند الرئيس - كما تحدث فى خطبه - فهى بارقة أمل كبيرة فى ظلام الهزيمة ، وبالرغم من المضايقات والمزايدات الطفولية التى تعرض لها من قبل فصائل المقاومة الفلسطينية إلا أنه كان يرى بموضوعية ضرورة دعمها ومساندتها ، وكان يقول «إن هدفنا المرحلى هو إزالة آثار العدوان والمقاومة ليست ملزمة بهذا ولا بالقرار ٢٤٢ الذى لا يلبى حاجاتها ومن هنا فهى كثورة مطالبة بأن تأخذ حريتها فى التعبير عن أهدافها الكبرى» .

وحيث أن المقاومة الفلسطينية لم تكن قد إتحدت أو شكلت "منظمة التحرير" بعد ، فقد طرحت على الرئيس ما مؤداه أن الثورة الفلسطينية لكى تستطيع أن تؤدى دورها لابد وأن تتوحد فصائلها حتى توحد من ورائها وفق برنامجها ، وقلت له أيضاً : أنت الوحيد المؤهل لهذا العمل ، فبمقدورك أن تدفع الأمور فى هذا الإتجاه ، وذلك لمالك من تأثير معنوى ضخم .. تستطيع أن تضغط لتوحيد هذه الفصائل نحو تشكيل جبهة واحدة وطليعة مقاتلة واحدة تكمل جبهة التصدى العربى وبهذا تتكون صورة متكاملة لوحدة النضال العربى ..

كان رده هو أنه يريد المقاومة بكل فصائلها وقال : «وإن كنت أعول

بالدرجة الأولى على حركة فتح لما لها من فاعلية أكثر وهى مشكلة بشكل أنضج ولها جماهير أكثر ، أما عن توحيد هذه الفصائل فليست مسئوليتى كما ترى أنت .. فأنا "اتحاشى جانب العنف والإكراه ، انها مهمة الطلائع الوطنية العربية لكننى لا أفرض نفسى فى هذا الدور» .

● **ربما كانت الحساسية عنده تجاه الأجهزة ودورها .. وقد فهم حديثك على أنه طلب موجه للدولة - الأجهزة ؟**

□ نعم .. ولكننى ضربت نموذجاً ثورياً لما أطرحه ألا وهى ثورة الجزائر وقلت أنها لم تنتصر إلا عندما فرضت بالقصر وبالدم وحدة فصائلها حتى وصلت إلى نهايتها المنتصرة !!

هنا أوقفنى عن الحديث وقال بحدة «لك أن تعرف كم هوالثمن الذى دفع فى هذا الصراع - وأنا لا أقبل لنفسى أوأسجل عليها أننى مارست عمليات تصفية أو إكراه بالقوة أو ماشابه ذلك - لقد سارت الثورة الجزائرية فى هذه ا الطريق وقدمت تضحيات باهظة ، وتركت أيضاً آثاراً سلبية وستعطى آثاراً سلبية فى المستقبل »

وقص لى حادث تذكره بأسى فقال «كان هناك قائد من القيادات الوطنية الأساسية فى الجزائر ، وكان ممن اختلفوا مع بن بلة وكان بالقاهرة، فاتصلت القيادة الجزائرية بالأجهزة وقالت أنه يعمل ضد القيادة هناك وله كتلة وجماعة تعرقل نشاطنا ، فكان تصرفنا هو إعتقاله فى السجن حتى انتصرت الثورة هناك ، فأطلقنا سراحه واستدعيته حتى

أعتذر له بسبب الاعتقال ، ففوجئت به على العكس من ذلك مسروراً وأراد أن يقبل يدى ، فسألته : لماذا ؟! قال لى : لو لم تكونوا قد اعتقلتمونى لكنت قد قتلت وصُفيت !!» .

ثم عاد الرئيس ليؤكد مرة أخرى على أن دور الضغط على فصائل المقاومة ينبغى أن تأتى من القوى والتيارات غير المسئولة عن نظام أو سياسة حكم ، «فهذه مهمتكم ومهمة الطلائع الفلسطينية والشعب الفلسطينى من أجل إنهاء هذا التشرذم» .

● **الحديث عن القوى والتيارات الشعبية يقودنا لقضية «الحركة العربية الواحدة» وهى إحدى الهموم الرئيسية والبارزة فى التيار الناصرى خارج مصر عامة وفى سوريا خاصة ، وكانت أيضاً إحدى النقاط الهامة التى سعيت للحديث فيها مع الزعيم فما هو السياق الذى طرحت فيه هذه المسألة ؟**

□ كانت الموضوعات والحوارات تتداعى واستغرقنا الوقت فالأحاديث السابقة كلها استغرقت حوالى ثلاث ساعات .. عندئذ نظرت إلى الرئيس وقلت له : هناك موضوع أعتقد إذا لم أطرحه أشعر كأنى لم أستفد من زيارتى ، وهو الموضوع الخاص والحيوى ولا أستطيع أن أعود لحزبى والقوى الناصرية التى تتطلع للمستقبل بدون إجابات على هذا الموضـــوع ..

هنا تدخل الآخرون وقالوا : يا سيادة الرئيس لقد مر ثلاث ساعات

وأشاروا إلى مسألة صحته ، لكنه قال «دعونا نستمع لهذا الموضوع ، ماذا تقصد بالضبط ؟!

قلت له : فى السابق عندما تأزم موضوع الوحدة طرحت شعار الحركة العربية الواحدة .. وطرحت فى الداخل - هنا فى الجمهورية العربية المتحدة - ضرورة تنظيم القوى والطلائع التى تلتقى على هدف واحد ونظرية واحدة لبناء هذه الصيغة على المستوى العربى بالنسبة للعمل الوحدوى الناصرى ، وكنا نتلقى الإجابة بأن هذه الصيغة خاصة بالتجربة فى مصر ولم نصل لقناعة بإمكانية تعميمها أو تصديرها وأن بها ثغرات عديدة لم نسدها بعد ، أما الآن فإن السؤال مازال قائماً فالقوى الوحدوية الناصرية الموجودة بالوطن العربى والتى تلتقى حول المركز وحول القيادة التاريخية لا تجد أداة تنظمها وتوحدها ، فيكون لها وحدة الفكر والحركة فى ظل الظروف العربية الراهنة ، وفى ظل تكتل القوى عليها .. وفى وجود تيارات شيوعية وبعثية وفصائل المقاومة الفلسطينية .. الخ ، إننا نطالبكم بتكتيل الجهود العربية .. وتوحيد الصفوف والتيارات .. الخ ولكن هذاالدور ينبغى أن يوكل لتنظيم ثورى يأخذ بهذا النهج وهذا الطريق ، بالإضافة إلى أن الكثيرين من الجيل الجديد الصاعد والذى يمتلك حرارة الاندفاع القومى وكذلك الوعى سرعان ما يذهب إلى الآخرين طالما لم نقدم له الصيغة المطلوبة قومياً !!

بعد أن استمع لى قال «فيما يخص التجربة هنا .. حيث الجهاز

السياسى أو التنظيم الطليعى فمازلنا مضطرين أن يأخذ وضعه السرى فى التكوين ، ومازالت التجربة تأخذ أبعادها ، ويمكنك أن تلتقى مع الاخوان فى قيادة التنظيم للتعرف على تفاصيل التجربة» .

«أما موضوع الصيغة القومية وبناء حزب على الصعيد القومى فقد تركت هذه التجربة حالياً من أجل ظروف المعركة ، ولكن هذا العمل ينبغى أن تبادروا إليه أنتم انها مسئوليتكم أنتم الذين تعملون فى ساحات النضال الوطنى وتؤدوا الأدوار بحرية بعيداً عن تعقيدات النظم ومشاكلها ، لماذا لا تخطو خطوات نحو هذا الطريق ؟! ولتبدأ من الآن وتلتقى مع الشباب المصرى بالتنظيم السياسى وتديروا حواراً حول هذا الأمر ؟!»

● **هل يعنى هذا عدم تحمسه للموضوع ؟**

☐ بالطبع لا .. ولكنه كان مهموماً وكل تركيزه على قضية المعركة وإزالة أثار العدوان ، ومن ثم حاول أن تكون المبادرة من القوى الشعبية الثورية المنظمة .. وحتى قبل النكسة كانت هذه رغبته ..

● **ولكن هناك مشكلات - خاصة فى ذلك الوقت - معقدة بسبب وجوده كزعيم للأمة وقائد ومنظر لهذا التيار مما يخلق صعوبة تجاوزه ؟**

☐ لقد طرحت عليه هذه الصورة وقلت له : نحن أمام إشكالية كبرى وهى أننا أمام جمهورنا وشبابنا الناصرى ندين بالولاء لمصر فى أى عمل

، وبدون مبادرتك فإن المسألة ستظل معلقة دون تقدم ، "فقال لى : "لماذا ؟!" ، قلت له : لأننى أقود جمهوراً على أساس الانتماء لك وليس لى .. الانتماء لنهجك وطريقك - أي الخط الناصرى - وبمقدار ما أعبر عن هذه العلاقة العضوية بين هذا الاتجاه الذى تقودنا فيه وبين الحركة الجماهيرية .. بمقدار تقدم خطواتنا . وفى غياب صيغة واضحة ومحددة قد يدّعى كل قيادى أنه يمثل عبدالناصر فيتكلم بإسمه وسط هذا الإتجاه ولك الحركة ، وذلك له عواقبه الوخيمة كما حدث من قبل ..

عند ذلك تصور أننى أريد دعماً شخصياً أو مباركة منه أو تفويضاً فى مواجهة الآخرين ، فنظر لحسن صبرى الخولى متسائلاً : هل نستطيع أن نلحق بنشرة الأخبار ؟ : وكانت الساعة قد اقتربت من الحادية عشر .. فقال نعم ، فأمره أن يذاع نبأ لقائى معه .. ثم نشر الخبر فى جرائد صباح اليوم التالى ..

● **ألم تتوصلوا إلى نتائج عملية فى هذا المضمار ؟**

□ النتائج التى توصلنا إليها هو الاتفاق على أهمية وضرورة الموضوع ، فقد قال لى «الموضوع ضخم وهام ولا يمكن حسمه بحديث عابر ، ثم استطرد متسائلاً «هل لديك تصور لكيفية بناء الحركة أو الحزب القومى الواحد ؟!»

وعندما أجبته بأننى أطرح أفكاراً فقط ولكن إذا صارت المسألة حاضرة وجادة فإننى مع إخوانى يمكننا إعداد وتهيئة التصورات فى هذا

الإطار ، وكانت النتيجة التالية التى حققناها هو الاتفاق على وضع تصور ومناقشته مع الرئيس ، وقد سألنى «هل تستطيع أن تجلس فترة من الزمن هنا وتلتقى وتجتمع وتتداول مع إخوانك أو الاخوة المصريين لتضع تصور ونناقش الأمر» ، ولما كانت ظروفى تضغط على للعودة إلى سوريا فقد اعتذرت وأعقبت الاعتذار بإتفاق على العودة بعد فترة ..

وانتهى اللقاء عند هذاالحد بالإتفاق على إعداد تصور جماعى والعودة فى مناسبة أخرى وفتح الحوار مع الرئيس حول هذه المسألة ..

● **هل كانت هناك خطوات أخرى - إتصالات - قبل رحيلك ؟**

□ نعم سافرت أنا وأخى سامى الدروبى بالديزل إلى القاهرة .. وفوجئنا بحسن صبرى الخولى يأتى فى الصباح معنا ويخطرنا بأنه ترك السيارة ليرافقنا بالديزل ويتحدث معنا فى توصيات الرئيس له ، وقد صرح لنا بأن الرئيس قد أعطاه «كارت بلانش» للحديث معى ومعرفة الأشياء والطلبات التى نريدها كمساندة ودعم لحزبنا ، وعندما عدت للقاهرة التقيت مع اخواننا السوريين وأعادنا جسر الاستمرارية فى العلاقة خاصة وأن الأخوة كانوا يشعرون بجفوة فى العلاقة لانشغال الرئيس وعدم اتصاله بهم ، وطرحنا موضوعاتنا الخاصة ثم سافرت بعد ذلك لدمشق ..

● **ماذا كان انطباع الزعيم عن هذا اللقاء وعنك بصفة خاصة ؟**

□ كان إنطباعه - كما ذكر لى حسن صبرى الخولى - عن هذا اللقاء هو الارتياح للحديث الذى دار وصرح بذلك للخولى وللسادات ، ثم قال لهما «اننى كنت أتصور جمال الأتاسى رجل عصبى وإنه فى ظروف الاعتقال الأخيرة سوف يكون أكثر عصبية ولكننى وجدتنى أمام رجل معقول ويبحث الأمور سياسياً»

● **ماذا حدث بالنسبة للقاء الآخر المرتقب ؟**

□ ذهبت إلى القاهرة وكان ذلك فى حزيران - يونيو - ١٩٧٠م وكان الرئيس وقتها فى الاتحاد السوفيتى فى زيارته السرية التى تحولت بعد ذلك لزيارة طبية ،وتأخر عن العودة للاستشفاء ، فالتقيت آنذاك بالسادات وهيكل ودار الحديث مع السادات عن الوحدة الثلاثية التى أعلن عن تشكيل لجنة إعداد برئاسة نورالدين الأتاسى الذى لم يرسل حتى ذاك الوقت أى جواب عن إتصالاته ، عندئذ قلت له : أنا مهمتى حالياً فى دمشق وليست فى القاهرة .. وعدت لسوريا فوراً ..

● **بالنسبة للأستاذ هيكل هل حدثت حوارات معه آنذاك ؟ وهل كانت هناك لقاءات من قبل أو بعد ؟**

□ الحقيقة كانت اللقاءات قبل ذلك فى حضور آخرين ، ولكن فى هذه الزيارة - وهى المرة الوحيدة قبل وفاة الرئيس - وكنا فى أوائل تموز - يوليو ١٩٧٠ ذهبت إليه مع الدروبى نستطلع الأخبار حول العلاقة مع السوفيت والزيارة السرية للرئيس وتطور الحديث عن المعركة والوضع فى

سوريا والمنطقة ، وكان اللقاء عاماً ، ولكن لقاءاتى الحقيقية معه أت
فى عام ١٩٧١ عندما وقف مع السادات نتيجة تحفظه على مجموع
مايو وخلافهم معه - وهو خلاف شخصى أكثر منه مبدئى - ولك
سرعان ما نقد خطوات السادات نحوالردة واختلف معه وانفصل عنه ..
والأحاديث مع هيكل لا تنتهى .. فأنا اقدر كل التقدير لهيكل وللثرو
التى يحملها من المعلومات وللبصيرة السياسية الثاقبة لديه .

● **هل تمت إتصالات بعد عودتك لدمشق من أجل تحديد موعد آخر؟**

□ لا .. لم تتم لأن الأحداث توالت منذ مبادرة روجرز وموافقة
الرئيس فى نهاية تموز - يوليو - ثم أحداث أيلول - سبتمبر - ثم رحيل
القائد والزعيم فى نهاية سبتمبر .

لقد فجعنا برحيل عبدالناصر .. والسؤال الذى طرح نفسه آنذاك
ما البديل لقيادة عبدالناصر ؟!

وقلنا يومها وقال آخرون غيرنا أنه لم يعد هناك فرد بديل
لعبدالناصر ، البديل الوحيد هو الوحدة المنظمة والتلاقى القومى لكل
الطلائع التى تؤمن بوحدة الأمة وبالأهداف التى ناضل واستشهد من
أجلها عبدالناصر .

القسم النظري

آراء وقضايا

٣

الناصرية بين الإتباعية والإبداعية

[الناصرية ليست مجرد فكر نظرى بل إنها قبل ذلك وأهم : حركة جماهيرية استطاعت أن تطبع بصماتها على الواقع العربى ، كما كان لها تأثير واضح على حركات التحرر فى العالم الثالث]

كمال الدين رفعت

(ناصريون – نعم ..)

● بالرغم من أن الناصرية قد فرضت وجودها على الساحة العربية والدولية ، وبالرغم من أن الجميع لا يستطيعون تجاهلها .. سلباً أو ايجاباً - وخاصة فى المحور الفكرى .. ، وبالرغم من أن الحركة الناصرية اشتد عودها .. وصلب بناؤها .. بالرغم من كل ذلك .. فما زال الجدل القديم يطل برأسه كل حين ليتسائل : هل هى نظرية أم أيديولوجيا ؟ ما هو رأيكم فى هذا ؟

□ لا نستطيع القول بأن الناصرية نظرية متكاملة .. ولكننا نقول أنها ايديولوجيا ثورية معبرة عن روح هذه الأمة ، والأيديولوجيا بمفهومها العام هى المنظور الكلى للعالم (سواء بالنسبة للفرد أو لفئة اجتماعية أو لحزب أولأمة) .. ، ولكن هناك شكلين للأيديولوجيا :

١ - هناك المنظور الأيديولوجى الضيق والذى نقول على أصحابه

١- هناك المنظور الأيديولوجي الضيق والذى نقول على أصحابه أنهم يريدون (أدلجة العمل السياسى وقولبته) ويرون فيه نوعاً من المذهبية الضيقة والتى تريد أن تفرض نفسها على الواقع (بأفكار ومنظورات عامة مسبقة) بدلاً من أن تستنبط معطياتها من حركة الواقع ومن حركة التاريخ .. انها ببساطة تريد مزاوجة الواقع لتطابق بينه وبين منظوراتها ..

٢- وهناك نظرة مباشرة ومحددة .. حيث تكون فيها الأيديولوجيا مجموعة مبادىء ومفاهيم وأفكار توجهالعمل السياسى وترمى لأهداف محددة وتصاغ على أساسها استراتيجية عمل بعيدة المدى ويستخلص منها التكتيكات وأساليب الصراع وبناء النظم والدولة وفى بناء العلاقات الاجتماعية ..

بهذا المنحى الأخير نستطيع القول بأن الناصرية تقدم من خلال تجربتها أيديولوجيا معبرة عن الواقع العربى .. ومازالت متقدمة ومتميزة على ما سبقها من أيديولوجيات وما لحقها حتى الآن .. ذلك لأنها مستخلصة من معاناة قوى النضال العربى وخبرة ومعاناة الأمة .. وكان يحكم عبدالناصر منطق جدلى متجدد .. ومنظور عام ضابط .. ، إن عبدالناصر لم يكن بالفيلسوف .. ولم يبتكر الأفكارالتى صاغها فى أيديولوجيته .. وأيضاً لم تأته مستوحاة بشكل مسبق ، فهو لم يكتشف القومية - وهى منظور ثابت لديه - ولكنه بلور القواسم المشتركة بين

اطروحات طلائع الأمة ،ولم يكتشف الثورة الوطنية وارتباطها بالثورة الاجماعية .. ولكنه اهتدى اليها من تجارب حركات التحرر .. ومن فهمه لروح العصر ومتطلبات مرحلة الاستقلال ، لقد وضع الفكر أمام محك التجربة وربطه بحركة ومصالح الجماهير فى العدل والحرية .

فالناصرية إذن هى وعى ومبادىء وجماهيرية ، فهم لمواجهة الواقع وأمل الاستشراف للمستقبل ، والثورة القومية والتقدمية التى قادها عبدالناصر نهضت بقوى الجماهير .. وهى اليوم تختزن قيم هذه الثورة ومبادئها لتصنع بنضالها على مدى الوطن العربى صورة المستقبل..

● **فى اطار فهم الناصرية لروح العصر هناك ملاحظة من جيلنا تتمثل فى أن المفردات الماركسية كثيرة فى الإطروحات الفكرية لجيلكم !! هل هذا يرجع لكون جيلكم أول من كتب أدبيات الناصرية فى المرحلة التمهيدية قبل أن تمتلك مصطلحاتها الخاصة؟! أم أن هناك أسباباً أخرى؟**

☐ فى واقع الأمر أنه فى كل مرحلة من المراحل السياسية ووفق الثقافة العامة السائدة .. تسود مصطلحات فى الصراع السياسى والنشاط السياسى بشكل عام . وبالنسبة لأمتنا بعد الحرب العالمية وفى مرحلة تحررها ونضالها فى كافة الساحات كان هناك من يستعير المصطلحات الفكرية والسياسية التقليدية والسائدة من قبل .. تلك التى تعلمها أيام الاستعمار ومارسها أيضاً فى صراعه مع الاستعمار ، كانت مصطلحات غربية كالديمقراطية الليبرالية والتحرر وغيرها .. ولكن هناك

مصطلحات أخرى دخلت ساحة النضال وكانت تأتى لتلبى حاجات لدى القوى السياسية والطلائع الثورية .. كبناء حزبى نضالى . أو الاعتماد على الجماهيرالشعبية .. إلخ ..

لقد بدأت المصطلحات الماركسية تسود فى الفكر السياسى التحررى ليس على مستوى اقطارنا بل فى العالم ، لما كانت حركة تحررنا وتحرر العالم عملية ثورية ، فإن الفكرالثورى لابد وأن يتأثر بما هو جديد فى الفكرالعالمى ، وكان المصطلح الماركسى جديداً .. فضلاً عن أن الماركسية لعبت دوراً خطيراً وثورياً فى نقد الامبريالية وفى الوقوف بوجهها .. بالإضافة لدور هذا الفكر فى التأكيد على توجيه العمل السياسى وتعبئة القوى الاجتماعية وبلورة أداتها الثورية ، من كل هذا كان من الطبيعى أن تسود مصطلحات ماركسية فى تعبيرات جيلنا ، ويظل بعضها سائداً حتى الآن وكان من الطبيعى أيضاً أن نجد هذه المصطلحات فى ثنايا الميثاق الوطنى عند عبدالناصر ..

● **الميثاق !! هل يمكن ضرب بعض الأمثلة ؟**

☐ بالطبع .. هناك مثلاً فكرة الوضع الاقتصادى - النظام الاقتصادى - كيف يفرض ذاته على صيغة القوى السياسية - القطاع السياسى - السائدة والمسيطرة ، وهناك مقولة صراع الطبقات سواء أخذت مفهوم الصراع القاطع والحاد أو الصراع السلمى أو التحالف فى مرحل معينة ..

● هل يعنى هذا ان المصطلحات الماركسية الموجودة فى الميثاق تدل على ميل عبدالناصر نحو الماركسية وأن الميثاق كان مرحلة سيتلوها مرحلة تحوله الواضح نحوها - كما يردد البعض ؟

□ ينبغى أن نفرق بين الماركسية كمذهب لنظام دولة وبين الفكر الماركسى وتفاعلاته ومعطياته الإنسانية ، الأولى حزب يسيطر على الدولة ويتبنى أيديولوجية يريد فرض مقولاتها وحتميتها على الناس ، والثانية هى المحاولة والجهد النقدى والجدلى للواقع الاجتماعى للتاريخ والأفكار ، هناك تركيز فى الفكر الماركسى على جوانب معينة بسبب تركيز القوى والمذاهب الأخرى على جوانب معينة ، هذا التركيز هوالذى سيطر فى التيار الذى نسميه التيار الماركسى المدرسى أو الماركسية الرسمية التى صارت مذهباً للدولة وللنظم .. وهذا يختلف عن الفكر العام .. لقد تفاعل ماركس وتأثر بالفكر الاشتراكى الفرنسى ومع الفلسفة الألمانية وخاصة هيجل .. وأيضاً مع الاقتصاد السياسى ونقده فى المدرسة الانجليزية .. هذا التراث تفاعلت معه الماركسية واعتبرته كأنه ملك لها .

عبدالناصر كان من الطبيعى أن يستفيد من التجارب وأن يستوعب الفكر الانسانى العام ومن هنا كان تأثره بالفكر الماركسي..ولكنه لم يتبن الماركسية أو يتأثر بها كمذهب لنظام .. لقد كان يتحمل مسئولية بناء استراتيجية نضال وثورة وفى نفس الوقت مطالب بقرارات تنفيذية

للتطبيق .. لكل هذا كان لابد وأن يدرس يطلع ويتابع بشغف معظم التجارب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فى العالم ، وكما ذكرت فى الجزء التاريخى فإننا كنا فى حزب البعث نتابع هذا التطور لدى عبدالناصر ، وعندما أتى الرفاق من زيارات القاهرة ولقاء الزعيم - ١٩٥٧ - قالوا لنا: إنه مدرسة .. لقد قام الجهاز المكون من حوله بتلخيص إمهات الكتب له، وهو يدرس فى هذه المرحلة الاقتصاد السياسى بشغف ، وقال لهم : نحن بدورنا سوف نعلن نهجاً إشتراكياً ، ولكن المسألة يجب أن تتضح من خلال توفر واستكمال الشروط الموضوعية لذلك ..

● **قد يتبادر إلى ذهن البعض - مرة أخرى - ان فكرة توفر الشروط الموضوعية هى التى وقفت وراء تأجيل عبدالناصر - لعدم توافرها - بطرح الماركسية ؟**

☐ فى هذه المسألة ككل لابد من الانتباه إلى هذه النقاط :

أولاً : الماركسية كمصطلحات سياسية فرضت نفسها عبر الصراع دولياً ومحلياً وفى أقطار بعينها ، فرضت نفسها حتى على نقائضها ، فنقائضها كانت مضطرة لأن تنقل هذه المصطلحات لتقوم بتحليلها وتفنيدها ونقدها .. ومن ثم شاعت تعبيرات ومقولات ماركسية فى العمل السياسى ..

ثانياً : إن تأثر عبدالناصر بالمصطلحات الماركسية أتى من المناخ

العام السائد ومن انفتاحه على الفكرالإنسانى وقراءته ، ولكنه لم ينقل المصطلح كما هو - كترديد - أو قام بنقل الفكر ، فالصراع الطبقى - بين طبقتين - فى الفكر الماركسى وليد التبلور الطبقى فى الغرب بينما فى مجتمعنا العربى لم تتبلور بعد، من هنا كان التعبيرالناصرى أدق فلقد استخدم تعبير الفئات الاجتماعية والقوى الاجتماعية ، ومن هنا لم تكن ديكتاتورية طبقة ولكنه قال بتحالف قوى الشعب من الفلاحين والمثقفين والعمال والبورجوازية الوطنية والجنود .

ثالثاً : إن الناصرية بدورها - من خلال عبدالناصر بتفاعله وبتجربته - قدمت مصطلحاتها الخاصة وتعابيرها التى تعبر عن ظروف واقعنا العربى .. وبدأت هذه المصطلحات تسود الفكر السياسى العربى ويصبح لها وجود حتى عند الجماهيرالشعبية ، وهذا يفسر جنوح بعض النظم العربية فى استخدامها المصطلح حتى وهى تمارس نقيضه .

● **كان عبدالناصر دارساً وقارئاً ومتأثراً بالفكر الماركسى مثلما كان دارساً وقارئاً للفكر الليبرالى ..والفكر القومى ..ولكنه كان يقرأ هذه الثقافات وهذه التجارب من خلال منظوره الخاص ..وهو منظور الأمة التى ينتمى إليها ..ومن ثم ظل تمايزه وصلابته المنهجية فى فرز كل ما هو أصيل الأساس الواضح لايديولوجيته ، فهل توافقون على هـذا الرأى ؟**

□ هذا صحيح وإن لم يكن عبدالناصر بالرجل المنظر ولم يكتب

فى الأمور الفكرية والنظرية ، لكنه وصل لأفكاره من خلال الممارسة والمعاناة والتثقيف الذاتى .. وبالجهد المستمر ، ولا يفهم من هذا أنه تجريبى بحت أو أنه انطلق من فراغ وبدون رؤية فكرية ، فلقد كانت لديه خلفيات أيديولوجية مختلفة تأثر بها وتفاعل معها برؤية نقدية :

١- هناك المنظور الإيديولوجى أو التصور والمفهوم العام الإسلامى كنزعة لوحدة الإنسانية ووحدة البشر ومفاهيم الأخلاق .. ووحدة الخلق والخالق ، إن حركة التوحيد الإسلامية والى حققت وحدة أمتنا كانت خلفية إيديولوجية أساسية .

٢- بالمقابل أيضاً هناك الثقافة ومعطيات الحضارة الغربية .. وشكلت خلفية ومنهلاً لأفكار الدولة الحديثة ..الأمة ..القومية ..

٣- وهناك الإيديولوجية الماركسية كحركة صراع ثورى ونضال طبقى واجتماعى وربطها بين التحرر السياسى والاجتماعى ..وتأكيدها على أن الشعوب هى التى تصنع تاريخها بنضالاتها وصراعاتها .

لكن تأثر عبدالناصر بهذه الإيديولوجيات ارتبط ببحثه عن الحقيقة .. إمكانية تحدى الواقع .. وتحديات العصر ، نحن نريد أن نتقدم وأن نتطور أن ننتقل ونجدد ثقافتنا .. عبدالناصر كان يشعر بحاجة لثورة ثقافية لإصلاح الفكرالدينى - وهذا ما يميزه عن التيارات الأصولية الأخرى برغم خلفيته الإيديولوجية الإسلامية - وكان يرى أننا فى حاجة لإصلاح سياسى .. إلا أن هذه الحاجة لن تجعلنا أن نلفظ بقية التجارب

.. أن ننكفىء على أنفسنا .. كان يقول دائماً بأن تجربتنا فى حاجة إلى أن تغذى نفسها بكل زاد ثقافى إنسانى وكل تجربة إنسانية ، لقد حاول عبدالناصر أن يهضم ويستوعب (الإيديولوجيات السائدة – العصر – التجارب الإنسانية) فى إطار منظور جديد .

لذلك تجد فى الميثاق بذوراً لكل الاتجاهات السابقة ، فالإسلامى المستنير الذى ينظر لنفسه فى إطار أمته ووطنه ويريد أن يحقق حرية وطنه من خلال منظوره يجد نفسه فى الناصرية ،الماركسى المنعتق من الجمود والمذهبية الرسمية يجد نفسه فى الناصرية .. وكذلك الديمقراطى الاجتماعى ..والعلمانى يجد نفسه فى الناصرية ، ولكن عبدالناصر لم يكن بالماركسى وليس بصاحب الإسلام الأصولى .. وليس ذا منحى ليبرالى ومقولات البورجوازية الغربية ..

● **يردد البعض أن الفكرالذى يتضمن الإيديولوجيات المختلفة يقال عنه أنه فكر توفيقى أو تجميعى ؟ فهل الفكر الناصرى يخضع لهذا التصنيف ؟**

□ بل هو فكر جدلى .. وهو الفكرالذى يصل للكلية التى تتجاوز الأجزاء فى منظور واحد ، وهذا هو الفكر الجدلى سواء فى المذهبية الماركسية – المادية الجدلية – أو الهيجلية – المثالية الجدلية – أو حتى فى الفكرالكلاسيكى القديم .

عبدالناصر حاول دائماً فى سبيل الوصول إلى ما هو حق وصحيح

أن يبحث عن القاسم المشترك فى التيارات الفكرية وأن يحاول إيجاد الكلية التى تربط هذه الأجزاء ولكن ليس بطريقة ميكانيكية أوحسابية .. بل بعملية تفاعلية ومتجاوزة .. ، وحاول أن يصب هذا فى نهج استراتيجى ومسار تاريخى وفق منهجية جدلية فى الممارسة .. ربط الفكر بحركة الواقع وهو يتغير .. ومن خلال الفعل فى هذا الواقع .. ومواجهة صراعاته فى موقف ثورى يتطلع دائماً للجدوى والهدف ...

لقد حافظ عبدالناصر على التعددية دائماً .. لأنه ليس هناك أحد يستطيع أن يقول بأننى ملكت الحقيقة كاملة لذلك نجده حينما يقيم تنظيم وحدة - كالتنظيم الطليعى - وهو صيغة حزب أصر بالرغم من كل شئ على إبقائه فى إطارالتعدد ..

هنا يمكننا نحن أن نتساءل : هل تعرض عبدالناصر وقال كل شىء؟ هل ناقش كل المقولات النظرية والفلسفية ؟ نقول إن هذه المهمة عامة فنحن لا تزال ثقافتنا فى طور التلقى والأخذ أكثر من طورالعطاء والابداع فعملية رسم معالم ثقافية جديدة عملية حضارية تصل لها الأمة فى نهوضها ويمكن أن تأخذ أطراً متعددة .

● **السؤال الذى طرحته : هل قال عبدالناصر كل شىء ؟ يطرح قضية هامة ومثارة وهى الاجتهاد والإبداع .. وغالباً ما تأتى فى صيغة تساؤل محددة : هل يمكن أن تكون ناصرية الستينيات صالحة للتطبيق فى الثمانينيات ؟**

□بالطبع لا .. لا يمكن أن نعود ونقف عند مرحلة معينة .. هناك مسائل تعود لتطرح نفسها ، وهناك أشياء لم تكن مطروحة أو طرحت ولم يتم الإجابة عليها ، فلقد كانت هناك مهام مؤجلة ..ومهام مستعجلة ، أما الآن فإن المهام المؤجلة أصبحت عاجلة ومفروضة علينا ..

هناك متغيرات عديدة ..التحول الاشتراكى مثلاً كان يعنى فى مراحله الأولى صنع اقتصاد وطنى ضمن ظروف طبقية معينة ، حالياً الظروف مختلفة .. القوى المضادة فى السلطة والثورة تبنى من خارج النظام .. ولا يوجد نظام مساند .. وصياغة العلاقات مختلفة فالقوى الاجتماعية والسياسية كانت فى طور وأصبحت الآن فى طور آخر ، هناك متغيرات عربية ودولية .. إلخ ، كل هذه الأمور تحتاج إلى حركة استيعاب جديدة ، الثورة العربية تحتاج لحركة عربية وإعداد ثورى واحد .. طرح هذا الشعار كهدف استراتيجى فى وجود عبدالناصر .. ثم طواه السكون ، بعد عبدالناصر يصبح مطروحاً كشعار بالنسبة للجماهير الناصرية والحركة الناصرية وكذلك الصراع الاجتماعى على اساس التحالف وليس الصدام الطبقى ..يحتاج لأداة ثورية جديدة وموحدة .. غياب المرتكز الثورى والاستراتيجى فى مصر .. إلخ ، كل هذه المسائل .. وحتى الأهداف الاستراتيجية بحاجة لصياغة جديدة على ضوء معطيات الواقع والمتغيرات .

إننا عندما نطرح شعاراً نكمل المشوار .. لابد وأن نتساءل : كيف

نكمل المشوار ؟ عملية متابعة المشوار لا تعنى أن نعود لنقطة من نقاط هذه التجربة أو محطة من محطاتها ،ولكن تعنى العودة لجدلية ناصر والإمساك بها ، وجدلية ناصر فى الفكر كانت تأليف وتركيب وعملية إبداع وابتكار .. حشد المناهج الفلسفية والأيديولوجية رغم تعددها - وبشرط عدم التعارض - لتصب فى إطار الأهداف المشتركة .. فى تجربة نضال الشعب الوطنى وتجربة تقدم الأمة ونهوضها ، وفى السياسة يتوجه لوعى الجماهير ويحاول نقله من مرحلة إلى مرحلة ويقوم بتوحيد القوى الوطنية والقومية وفق تحديد الأولويات ويرسم أهدافاً مرحلية ومستقبلية ويضع الخط الناظم لحركة الجماهير والقوى .. وفق الهدف الاستراتيجى .

وفى كل مرحلة جديدة كان يقوم بعملية نقدية شاملة للمرحلة السابقة لا لينقض عليها أو يبدأ من الصفر .. ولكن ليتجاوزها .. وتبقى العناصر الأساسية لديه ثابته وإن كانت ناضجة أكثر .

الآن وبعد غياب هذا الضابط للخط الناظم .. وبعد الإنقطاع والردة، لابد وأن يقوم الناصريون بسد ما كان يسده عبدالناصر فى وجوده سواء فى المسألة التنظيمية أو التنظيرية ، لابد من الإجابة على المهمات المؤجلة .. ومن أهمها الثورة الثقافية ، لقد ألمح إليها عبدالناصر وطالب بها فى عدد من المواقف ولكنها كانت تطلعات وممهدات عادت وعصفت بها الردة .. لذلك ينبغى أن تكون الثورة الثقافية منطلقاً ونقطة بدء .

● **فى كتابك إطلالة على فكر عبدالناصر .. طرحت أن الثورة**

الثقافية تعنى حواراً حول الهوية والوحدة ، وتعنى فى الوقت نفسه صراعاً بين التقليد والتجديد .. بين الإتباع والإبداع فما موقع الإتباعية فى الناصرية ؟

□ الإتباعية أو دعاة الإتباع فى الناصرية (كما هو الحل فى الإيديولوجيات الأخرى ، هى محاولة تطبيق ما كان فى مرحلة على مرحلة أخرى رغم الاختلاف والمتغيرات ، فتتحول بذلك لمعوق لا حافز للتقدم ، أنها تجميد جدلية ناصر .. وجمود فى الفكر والوقوف دون النزوع نحو الإبتكار والإبداع .. ، الوقوف عند أطر سابقة فى العمل السياسى .. وتجمد معها حركة الجماهير ، أنها لا تقدم شيئاً لتغيير الواقع أو للثورة .. بل أنها تقلص مشروع الثورة عند عبدالناصر .. مع تقلصها وتحولها للهامشية .

عبدالناصر كان يتهم بالتجريبية .. لكن تجريبيته لم تكن بالمفهوم الإنتهازى أو الانتقائى أو البرجماتى ، تتغير كلما كان هناك خطأ .. ، بل كانت تجريبيته مستمدة فى الأساس من وجهة نظر .. منظور عام .. يحاول أن يطوره من خلال عملية النقد المتواصلة .. والانتقال من طور إلى طور .. ينتقل عندما يستوعب كلية من الكليات .. ينتقل الفكر .. وينتقل المجتمع .. وتتم حركة تجديد بعد عملية المراجعة النقدية والاستيعاب لما مضى ... ، أوضح مثال على ذلك ما تم فى عام ١٩٦٢ بعد تجربة الانفصال ، حيث قام بهذه المراجعة الفكرية والسياسية

والتنظيمية والتى راحت تبحث عن جوهر الأسباب والحقائق وتنقد الاخطاء الذاتية وتستكشف آفاق المستقبل ، ثم قدم لنا الميثاق الوطنى كوثيقة رائعة ومتقدمة .. ونموذجاً فذاً لعملية النقد البناء .. والمراجعة التى تستهدف اجتياز الصعاب نحو الغد ..

● **إذا فالحالة الإبداعية - التجديد - داخل الناصرية هى التى ستقوم بعملية المراجعة النقدية ، وهى التى ستشرف آفاق المستقبل ..**

ولكن يبقى السؤال مطروحاً : من الذى سيمثل هذه الحالة : أى يقوم بالمراجعة والاستشراف ؟

□ الطلائع .. فى كل العالم هناك دور المثقفين .. دور يبرز فيه المثقف والفيلسوف أو المفكر والمنظر .. من الممكن قيام محاولة من الطلائع الثقافية فى الوطن العربى لتطرح هذا التصور ، الأخ حسنين هيكل - له حق كبير - من سنوات عدة كان له رأى فى تجديد الناصرية .. قال إن الناصرية لن تقوم ما لم يقم حزب ناصرى أى كأداة تجديدها وصياغتها .. ونحن نؤيد هذا .. لأن عملية التجديد جماعية .. عملية تنهض بها حركة الطلائع وترتبط بعملية تنظيمية .. وبالنضال حتى يظل الارتباط بين الفكر والممارسة ويظل التجديد ضمن الصراع وضمن المنظور.

● **أنتم فى الاتحاد الاشتراكى كحزب ناصرى له تاريخه التنظيمى والنضالى الطويل لماذا لم تحاولوا أن تقتحموا مسألة التنظير للناصرية**

وبلورتها فى إطار ايديولوجى / تجديدى ، أو تأصيلها للمستقبل عبر الرؤية النقدية ؟

☐ نحن رفضنا هذا الأسلوب فى مذهبه تنظيمياً .. ومطالبة الكثيرين بعنونة أنفسنا : هل نحن ماديون أم مثاليون ؟ ماركسيون أم ليبراليون ؟ ولكننا فى الوقت ذاته لا نقف دون محاولة اغناء وتطوير الناصرية ، اننا مازلنا نعتبر الميثاق الوطنى (١٩٦٢) دليلنا الأساسى .. ولكن لابد من مراجعته واغنائه وتكملته ..الميثاق كان تعبيراً عن مرحلة .. ولابد أن ننقله للتعبير عن هذه المرحلة الشائكة فى تاريخنا .. وليقدم أجوبة على المشكلات المستجدة والتى تقف عثرة أمام مسيرة أمتنا ..

هناك مسائل أساسية بحاجة لتأصيل وتوضيح أكثر الآن ، فمسألة الوحدة القومية لم تعد فى حاجة لاثبات ضرورتها ولكن فى حاجة للإجابة عن كيف ؟ . ومتى ؟ جدلية العلاقة بين العروبة والاسلام ، مسألة الأقليات العرقية والدينية والطائفية وعوامل التفتت الاجتماعى ما قبل القومية ، أيضاً مسألة التنمية وكسر حاجز التخلف ، مسألة البرنامج القومى والأداة القومية الثورية .. ، ثم تأتى فى المقدمة الثورة الثقافية .. التى ينبغى أن تكون المنطلق والبداية ، وعندما نصل لصياغة هذه الرؤية الجديدة حينئذ نقول أننا جددنا الناصرية .. وأصبحنا نملك دليل عمل متكامل يصح أن نسميه نظرية .

نحن فى هذا المجال قدمنا ما هو فى حدود طاقاتنا وامكانياتنا ،

ولكن هذه المسألة لا يصح .. ولا يستطيع أن يقوم بها حزبنا وحده .. انها مسئولية الناصريين على امتداد الوطن العربى .

● **قضية المذهبة - وأدلجة العمل السياسى وقولبته - ترفضونها فى الدولة .. وفى العمل السياسى .. وفى نفس الوقت تركزون على ضرورة الفكر وتطوير الناصرية فيما أطلقتم عليه الحالة الابداعية والنقيضة للاتباعية .. فكيف يتم التوافق بين الأمرين ! عدم المذهبة .. وضرورة التطوير والتأصيل النظرى ؟**

□ أولا ينبغى الالتفات إلى أن عبدالناصر نفسه هوالذى رفض اخضاع النضال السياسى للمذاهب النظرية الشمولية والجاهزة ورفض أيضاً مذهبية الدولة .. كما رفض ديكتاتورية أى طبقة ..

إن مشروع الدولة العصرية التى أراد عبدالناصر بناءها كانت تعتمد فى الأصل على مبدأ ديمقراطية كل الشعب .. فلا تعبر عن فئة أو طبقة فقط ، ومنعتقة من المذهبية والطائفية والعشائرية ، وفى هذا الشق الأخير أتذكر حادثة لها مغزى وأهمية بالنسبة لنا فى المشرق ، فحينما كنا نتابع ما يحدث فى مصر بدءاً من ١٩٥٤ .. كما قلت من قبل وكنا نناقش أهمية دور مصر فى العمل الوحدوى .. وكان الحورانى عائداً من زيارة برلمانية لمصر ، وكان أول ما طرحه لنا وبانبهار شديد هو وحدة الكيان الاجتماعى فى مصر .. فلا توجد أية مشاكل بين المسلمين والأقباط .. ولا توجد أية اختلافات أو صراعات مذهبية فى داخل كل

منهما .. وراح يشرح أهمية هذا الأمر فى بناء الدولة العصرية .. والنموذج الوحدوى ..

على المستوى الأيديولوجي والسياسى فان قضايا التحرر الوطنى والعربى ، التخلف بأبعاده .. التجزئة والتفتيت .. التحول الاشتراكى والديمقراطى الوحدوى .. ، فى مواجهة هذه المسائل الكبرى فى مسيرة أمتنا كان نهج عبدالناصر هوالممارسة .. والتعلم من الممارسة فى الواقع بتفاعلاته .. وبحركته النقدية الدائمة يندفع للنضج وللانتقال .. ، وكان التخطيط الاستراتيجي .. والاستيعاب التاريخى مكملين لهذا النهج ، لقد بدأ عبدالناصر تجربته .. واستمر فيها من خلال مقولته فى الميثاق عن ارادة التغيير الثورى (انها تحتاج لمعرفة ما يجرى حولها .. ولكن حاجتها الكبرى هى ممارسة الحياة على أرضها) وكذلك كان هناك الالتحام مع الجماهير ودفعها الى دائرة الصراع التاريخى .. من أهم مقومات الثورة الناصرية ..

عندما نقف عند تجربة عبدالناصر وما أنجزته .. وعند مجمل فكره وسياساته النضالية .. ونقول أنها كافية ، ونحاول أن ننزع منها اجابات قاطعة لكل القضايا .. فى ذاك الحين نكون قد مذهبنا الناصرية .. وجمدنا نزعتها الجدلية وقدرتها على التجديد والاستمرار .. وحولنا الثورة العربية الى ماض ننهل منه بالرجوع اليه وبالاتباعية له ..

نحن كحزب رفضنا ثورياً وديمقراطياً مذهبة العمل السياسى .. أو

استعارة نظرية جاهزة لنفرضها على الواقع .. ، ولكن لم يقصد بذلك رفضنا للتنظير ولدور الفكر فى العمل السياسى إذا كنا نريد أن تكون ممارستنا ثورية ، فالحزب الرجعى يعتمد على السلفية وما سلف لا يجيب على ما استجد من متغيرات ، والحزب المحافظ يبقى على ما هو قائم .. وهذا سكون ، أما الحزب الثورى فهو يناضل من أجل التغيير والتقدم ولا يقدر على أن يظل ثورياً بدون منظور تاريخى .. ومنهجية واضحة فى الفكر والممارسة وأن يمتلك برنامجاً استراتيجياً ومرحلياً ..

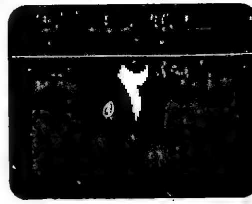
● السؤال المترتب على هذا القول هو : كيف يتم التطوير فى الناصرية وبها ؟

□ لكى نحق التطوير فى الناصرية وفى الوقت ذاته لا ننزع إلى المذهبية ، نأخذ بجدلية الناصرية فى عبور المراحل وتجاوزها .. فى مراجعة الأفكار ووضعها على محك الواقع .. فى الوعى بحركة التاريخ الفعلى وكشف تناقضات المرحلة .. وفى الاصغاء بعمق للجماهير ، وأن نمسك بالخط الثابت للناصرية فى الدفع على طريق تحالف القوى الوطنية والقومية وتوحيدها .. فى إطار من التعدد والتعاون ..

هناك ما لم يقله عبدالناصر ..علينا أن نجيب عليه أو قاله ولم ينجزه .. أو أنجزه وكان غير واف ، اننا ينبغى أن نضع يدنا على الفارق بين الثورة فى السلطة وبين وجودها فى الشارع مضطهدة ، ينبغى أن نحدد البديل لقيادة عبدالناصر التاريخية .. لم يعد الدور للفرد

التاريخى .. بل الحركة الثورية الجديدة والقيادة الجماعية الواعية والقادرة على الالمام بالتجربة الناصرية .. وما طرأ على الواقع العربى من انكسار بعد رحيل عبدالناصر ، ومن متغيرات عديدة ، ومن جانب آخر الارتكاز على القاعدة الشعبية العريضة للتحالف - كبديل لغياب السلطة .

ولابد مع كل هذا أن يكون هناك - ونحن نشدد على ذلك - ثورة ثقافية تحيط بجوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفنية ..الخ ، وإذا كان التطوير مهمة عامة لكل الناصريين ، فإن الثورة الثقافية مهمة عامة لكل الذين ينشدون نهوض أمتنا وتقدمها ..



الناصرية والديمقراطية والثورة الثقافية

[الديمقراطية تبقي لنا وفي هذه المرحلة بالذات من تاريخنا مرتكزا أساسيا وضرورة لبناء وحدتنا القومية وللبناء الديمقراطي لدولة الأمة الواحدة ، وبناء علاقاتها مع بقية الدول والأمم من خلال التطلع إلي نظام دولي ديمقراطي جديد]

د . جمال الأتاسي

● في معظم كتاباتكم تبرز الديمقراطية كملمح رئيسي في إطروحاتكم وفي مؤتمركم السابع - والذي تم بعد عشر سنوات من المؤتمر السادس نتيجة الظروف الأمنية - كان شعاره الرئيسي " الناصرية حركة تحرر وتوحيد ، والديمقراطية منهجنا في التفكير والممارسة والنضال

نريد الوقوف علي الرؤية الناصرية للديمقراطية وبالتحديد علي إجتهادكم هنا في هذا المجال ، فما هي العناوين الرئيسية لهذه الرؤية وذلك الاجتهاد ؟ .

□ العناوين الكبري التي تحكم توجهنا ورؤيتنا للديمقراطية وتحكم حركتنا في التفكير والعمل السياسي وفي التفاعل أو المواجهة مع الآخرين تتمثل في :

أولاً : نحن نؤمن أن الديمقراطية هي نزعة إنسانية هدفها تحقيق الشروط اللازمة في الدولة والمجتمع ، وتفتح حرية الشخصية الإنسانية وقدراتها المبدعة ، وهي بالمقابل ترسي قواعد للاندماج الوطني للفئات الاجتماعية المختلفة ، كما تأخذ أبعادها وتوجهاتها في الإطار الكامل القومي للأمة ، وتبقي لنا وفي هذه المرحلة بالذات من تاريخنا مرتكزاً اساسياً وضرورة لبناء وحدتنا القومية وللبناء الديمقراطي لدولة الأمة الواحدة ، وبناء علاقاتها مع بقية الدول والأمم من خلال التطلع إلي نظام دولي ديمقراطي جديد .

ثانياً : نحن نؤمن أيضاً .. بأن الديمقراطية نظام سياسي في الحكم وبناء الدولة ومؤسساتها ومن قوانينها وتشريعاتها ، وهو نظام دستوري يقوم علي الفصل بين السلطات وحصانة القضاء وصون الحريات العامة وسيادة القانون العادل علي الجميع ، وعلي حرية الرأي والتعبير والتجمع السياسي والتنظيم في الإطار الوطني العام وبالإحتكام الي ارادة الغالبية الكبري لجماهير الشعب ... ونحن نؤمن ثالثاً : بأن الديمقراطية السياسية لا تتأكد ولا تصان إلا بتعزيزها بالديمقراطية الاجتماعية وبخلق شروط من العدالة وتكافؤ الفرص بين المواطنين وبخلق ظروف من التقدم الاقتصادي والاجتماعي لتمكين المواطنين من ممارستهم لهويتهم السياسية والفكرية ، وتمكنهم من إطلاق قدراتهم الإبداعية وتحرير الإنسان من كل عوامل القهر والضياع .

● **قضية الديمقراطية الاجتماعية تتداخل مع قضية قوي التحالف للشعب العامل ومع القضية القومية لتتشكل في النهاية رؤية نظرية عند بعض الفصائل الناصرية - ترفض من خلالها التعددية السياسية أو تقبلها كمطلب تكتيكي - مرحلي - بينما ترفضها كمبدأ استراتيجي ، فما هو تعليقكم علي هذه الرؤية .. خاصة وأنها تعتمد علي رفض عبد الناصر للأحزاب في الفكر والتجربة ؟ .**

☐ لقد تحدثنا من قبل عن الإتباعية ... وقلنا عنها أنها تقف عند ما قاله أو أنجزه عبد الناصر ، بينما الإبداعية تعتمد نهجه الثوري في التفاعل مع الواقع والتاريخ ومن ثم في تقديم الاجابات علي مالم يقله عبد الناصر أو قاله ولم ينجح فيه لكنه كان يتطور ويحاول دوماً التجديد علي طريق النجاح ...

هناك العديد من المسائل ومنهامسألة الديمقراطية كانت بها نقائص وكان عبد الناصر واعياً لجوانب هذا النقص وظل حضوره واجتهاده يغطي هذا النقص ، وإذا كان عبد الناصر قد رفض الصيغ التي كانت قائمة قبل الثورة والتي وجدها غير ملائمة للمرحلة ومربكة لمسار الثورة ومبددة لقواها ، فإن البدائل التي قدمها - وفي كل مرحلة تجاوز كان ينتقد السابقة - ظلت مرحلية وناقصة ولذلك فإن الإبداعية أو الاجتهاد تفرض الاسترشاد بنهج عبد الناصر في هذه المسألة لا بما طبقه أو حققه في هذا المجال .

من هذا المنحي فإن التعددية السياسية مطلب أساسي واستراتيجي بالنسبة لنا ، فنحن وإن كنا نسعي للوعي الكامل بواقعنا وظروفنا وإلي الوصول للحقيقة كلها ، فإننا نرفض أن ندعي لأنفسنا أو أن يدعي اي طرف آخر لنفسه أنه يملك الحقيقة والمعرفة الصحيحة وحده .

أما قضية الطبقة أول الفئة الاجتماعية أو التحالف الشعبي لعدة فئات إجتماعية " تحالف قوي الشعب العامل " ، فيمكن أن يعبر عنها أكثر من تنظيم سياسي واحد أو حزب ، وبذلك نرفض أن تفسر الأمور ليكون هناك حزب واحد .. ونرفض أيضاً هذه الوحدانية تحت أي مسمي كالحزب القائد للدولة " أو الشعب " أو المجتمع !! .

وإذا كان مبدأ التحالف - قوي الشعب العامل - ليس مبدأ تكتيكياً بل مبدأ استراتيجياً ، وأن قاعدة التحالف القومي لعدة فئات إجتماعية تبقي القاعدة الثابتة في بناء النظام السياسي والتنظيم ، إلا ان هذه القاعدة تتغير وتتجدد صيغتها وفق تغير الخريطة الاجتماعية للواقع ووفق تغير وتطور الخريطة السياسية للمجتمع الشعبي في مساره الثوري نحو تحقيق مهامه الديمقراطية والقومية والاشتركية .

أما علي مستوي قضية المجتمع الاشتراكي أو الديمقراطية الاجتماعية التي نريدها ، فإننا نسعي للوصول إلي هذا المجتمع في مسار ديمقراطي ووفق منهج متعدد المراحل والأطوار ، لكنه في الوقت ذاته لا يستهدف الوصول إلي مجتمع الطبقة الواحدة أو الفئة الاجتماعية

لواحدة ومن ثم لا يوجد الحزب الواحد أو القائد .... الخ ..

قلتم ان عبد الناصر قد رفض الصيغ التي كانت قائمة قبل الثورة في المجال الديمقراطي ، ويقول أصحاب الرأي الرافض للتعددية أن عبد الناصر قد فضح زيف هذه الديمقراطية الليبرالية ، وأن تاريخ المنطقة شاهد علي تزويرها لإرادة الشعب وتبعيتها للمستعمر .... الخ .

● السؤال الذي يطل برأسه هنا : كيف يتم التوفيق بين مقدمتين متفقتين ولكن بنتيجيتين مختلفتين ؟! أو بصيغة أخري : كيف ،، وأين تفترق رؤيتكم الناصرية للديمقراطية مع الرؤية الليبرالية ؟! .

☐ نعم وقفت الناصرية منذ بداية ثورة يوليو لتكتشف إدعاء وشكلية الليبرالية في مجتمعاتنا سواء في مؤسساتها أو برلماناتها أو تزويرها للإرادة الشعبية وتسلطها وتغطيتها لحكم الأقلية الطبقية - مجتمع النصف في المائة - وتفريطها للسيادة الوطنية ... الخ ..، واذا كنا لا نريد العودة لمناقشة هذه الامور المعروفة فإننا سنحاول التركيز علي عناصر الافتراق بين الناصرية والليبرالية فالأخيرة ترفض فكرة الثورة وضرورة التغيير ومن ثم فهي ترفض الأحزاب الثورية وهي لا تنظر إلي المسارالتاريخي للمجتمعات الانسانية ولا لضرورات التغيير والتقدم بهذا المنظور ، وتنظر إلي النظام الغربي وكأنه يحكم التطور الطبيعي وكأنه نهاية المطاف فقد وجد ليسود العالم وولد ليبقي في أطره الاجتماعية التي تهيمن فيه البورجوازية والقائمة علي التمايز والتفاوت

الطبقي ، ولا تنظر الي الشعب كقوة اجتماعية ولكن كمجموعة من
الأفراد والمواطنين ..الخ .

● **وأين نقاط الالتقاء مع الليبرالية ؟ .**

□ نحن في الناصرية نلتقي مع الليبرالية في المقولات الديمقراطية العامة حول النظام السياسي والتنظيم لسيادة الشعب وضرورة الدولة كممثلة لحكم الأغلبية والإرادة الوطنية العامة للشعب والقول بالسيادة وسيادة القانون بالنسبة للجميع علي حد سواء وتقديم السلطات التشريعية المنتخبة علي السلطة التنفيذية والقول بالتعددية وحرية التنظيم والأحزاب .

● **بين الافتراق والالتقاء تناقض ، ففي الأولي الهيمنة للبورجوازية بينما في الثانية - الالتقاء - نجد الدولة ممثلة لحكم الأغلبية ،.. الخ كيف ؟ .**

□ حتي يزول هذا اللبس لابد من الاشارة إلي عدة ملاحظات أولها ان الناصرية وإن كانت تلتقي مع الليبرالية في المفاهيم التي ذكرناها إلا انها تختلف معها أيضاً حول مضامين هذه المفاهيم وتلك المقولات وحول وضعها موضع التطبيق الفعلي .. وثانيها : أن الليبرالية كثورة تحررية إنسانية في التاريخ البشري قد استطاعت ان تفرض مبادئها - إعلان حقوق الانسان ١٧٨٩م - علي أكثر الدساتير والنظم بل والمؤسسات الدولية ، إلا ان الواقع والتطبيق يسلب منها الكثير ، بل إن المجتمعات

الرأسمالية نفسها قد فقدت صفتها الليبرالية التقليدية في اطلاقها سواء السلب - الاستعمار أو سيطرة البورجوازية - أو بالايجاب عن طريق تأثرها بالثورة الانسانية التحررية الثانية - الاشتراكية - وذلك باقامة نوع من القطاع العام في اشكال متعددة ونسب متفاوتة ... وثالثها : أن تجربتنا قبل ثورة يوليو أو في مرحلتنا الراهنة تشير الي طبقة مهيمنة غير منتجة ومتخلفة - بورجوازية طفيلية - وتابعة للقوي الخارجية وتصب ثروات الأمة في سوقها وبنوكها ، ومن ثم فإن ايديولوجيتها شكلية - دعائية - مزيفة لارادة الأمة وهي تلغي كل إرادة او تكتل شعبي وتنزع حق التشريع والرقابة عليها ... الخ .

وفي هذا الاطار يمكننا الفصل بين ما نشير اليهم من البورجوازيات العربية وبين البورجوازية المتقدمة تكنولوجيا وسياسياً والتي لها قواعد اجتماعية راسخة ، ويمكننا الفصل أيضاً بين الاصول النظرية وبين التطبيق في الليبرالية .. الخ .

مرة أخري يقفز الاتهام بالانتقائية والتجريبية علي الفكر الناصري في المسألة الديمقراطية حيث الانتقاء من التجربة الليبرالية والتجربة الاشتراكية رغم تعارضهما ؟! .

ليس صحيحاً أنها رؤية توفيقية .. بل هي رؤية جدلية تعبر عن خصوصية واقع وروح عصر، فالثورة العربية مطالبة بأن تعبر عن واقعها الوطني / القومي بأبعاده الاجتماعية والإقتصادية والدينية ، وفي

الوقت ذاته ترتفع الي مستوي العصر وتصب تجاربها في ذلك التيار الثوري الانساني العام الذي يتمخض ويطمح في تغيير شامل للعلاقات بين القوي الاجتماعية والشعوب والدول لخلق نظام انساني عالمي جديد .

فالرؤية العربية للديمقراطية ينبغي لها في هذا المسار التاريخي ان تأخذ - ما هو ايجابي من تجربة الثورتين الكبيرتين في التاريخ ، الثورة الليبرالية والثورة الاشتراكية ، ذلك لان الثورة الديمقراطية الأولي - البورجوازية الليبرالية - والتي بدأت قبل قرنين وبعد تمهيد طويل من حركات النهضة والاصلاح والفكر الفلسفي والعلمي جاءت بوعد ومهام تحرير الانسان من عبودية عهود الظلم والطغيان والاقطاع والحكومات المطلقة ، وبالفعل اعطت هذه الثورة قواعداً ترسخت ومازالت تشكل الركائز الاساسية لمضامين الحرية السياسية وفهم سيادة القانون واذا كانت الليبرالية السياسية قد سخرتها الليبرالية الاقتصادية لصالحها فأنتجت سيطرة فئة أو طبقة البرجوازية الرأسمالية واستغلالها للشعوب والحكم بالاقلية علي الاغلبية - الطبقات الاخري - بالمال والنفوذ وانتقلت خارجياً في صورة الاستعمار ومالبث ان تطور في صيغة الامبريالية ، فإن هذا الشق السلبي نرفضه ونعلم انه المقدمة الطبيعية لمجئ الثورة الديمقراطية الاجتماعية - الاشتراكية - .

إن الثورة الثانية - الاشتراكية - جاءت نتيجة نضال فكري وسياسي وطبقي طويل استهدفت تعرية مساؤي النظام الرأسمالي

وهيمنته الطبقية واستلابه لحرية الانسان ، ومن ثم محدودية الديمقراطية البورجوازية ، واذا كانت هذه الثورة قد حققت انجازات علي طريق الحرية الاقتصادية للانسان بإلغاء الملكية الفردية واستغلال الطبقة الرأسمالية ، وقدمت الرؤية الجدلية للفكر والتحليل إلا انها سرعان ما حصرت نفسها في إطار الدولة والمذهبة فجمدت جدلية الفكر في فهم الواقع وتطوره ولم تنجز وعودها بالديموقراطيات الشعبية ..فلم ينته ضياع حرية الانسان ولم ينته الاستغلال بكل انواعه وتحول الحزب أو الدولة الي الهيمنة السلطوية وتقنين حرية المواطنين وقمع حريات القوميات - المجر ١٩٥٦ وتشيكوسلوفاكيا ١٩٦٨ - الخ ..

مرة اخري أكرر بأن الدروس المستفادة بعد نقد الثورتين ضرورة وفي الوقت ذاته يفتح الطريق امام الثورات الوطنية لتطوير رؤيتها وتقديم تصورها علي طريق تحرير الانسان ، ومن هنا كانت مفاهيم ثورتنا العربية تحاول ان تصيغ هذه الرؤية الجدلية والتجديدية في الديمقراطية / الاشتراكية كتعبير عن روح عصر جديد ...وخصوصية واقع - أمة - لها تراثها وتاريخها وأيضاً يجب أن يكون لها دورها في المسار التاريخي .

● **عن خصوصية واقع أمتنا وفي الطريق نحو تحليل أزمة الديمقراطية تحدثتم مبكراً وبإسهاب عن النظم الاستبدادية العربية ثم نعتموها بالمملوكية ، ماهو الفارق بين النظم المملوكية / العربية وبين نظم الاستبداد أو الديكتاتورية كالفاشية والنازية مثلاً في الغرب ؟ .**

□ النظم الاستبدادية عامة ... أو ما يطلق عليها الديكتاتورية .. ملامحها : تمجيد الدولة والنظام والقانون ... الوطن ووحدة الشعب وتعتبر نفسها ذات حق في تعطيل الديمقراطية من أجل هذا التمجيد الذي تنحاز له ، فتعتدي علي الحريات السياسية للمواطنين .. وتحتكر السلطة لنفسها ...

اما النظم الاستبدادية العربية فانها لا تستند لقاعدة اجتماعية .. أنها سلطة فئوية طائفية أو عشائرية أو فردية تعمل دائماً علي تفتيت السلطة الاجتماعية ... وتفكيك عري المجتمع ، وتعمل علي تغييب الصراع الاجتماعي والأيديولوجي والسياسي لمصلحة صراع ثانوي هدفه الوحيد تقوية الانسجام الفئوي وتأكيد نفوذه علي المجتمع .

وإذا كانت النظم الفاشيستية والتي صعدت في أوربا بين الحربين قد قامت إيديولوجيتها علي قاعدة الوطنية أو القومية والتعصب لهما بالاستقلال وبالسيطرة علي الخارج وفي الوقت نفسه أقامت قيمها الوطنية ورؤيتها القومية علي أكتاف قوي إجتماعية شكلت لحمة البناء الاجتماعي ووحدة الوطن ، فإنها في نهاية المطاف قامت بتطوير مجتمعها ويفرض إحترام القانون ... وصلابة وعقائدية الإدارة .

أما السلطة المملوكية فإنها لا تملك أيديولوجيا بل تجريد ومتناثرات فكرية تزويرية لطبقة فئوية تابعة وضعيفة ، ولكنها تقدم نفسها مكتملة وكلية العلوم والقدرة ، وهي غير قابلة للإنقسام بل تفرز زعامات

عديدة منبثقة عن " العائلة أو العشيرة أو الطائفة " وهذا يفسر تعدد الجيوش والميليشيات المسلحة التي يقودها الاقرباء والمحاسيب .. انها شبيهة بالفترة المملوكية في صراعاتها ... وفي اساليبها وتخلفها .. خاصة فترة الانهيار .

ان هذه النظم تدفع بحركة المجتمع للاتجاه المعاكس .. فتتحول كل أشكال الصراع مع الخارج الي صراعات داخلية ، وتعرض المجتمع لاضطهاد وقمع متواصل بينما تحرض فيه عوامل التفتت والانقسام ليواجه بعضه بعضاً ، مما يجعل الحرب الأهلية في حالة كمون دائم وقابلة للانفجار في كل لحظة، وتبقي الفئة الحاكمة - عائلة أو طائفة - متماسكة ومسيطرة .. والمعيار الوحيد لعمل الدولة والأجهزة هو الحفاظ علي وجودها وتماسكها في مواجهة ضعف المجتمع .

وتقوم بمحاصرة الطبقات والطوائف والأحزاب والمنظمات الشعبية والنقابية وتطالبها بأن تلغي دورها وتذويب شخصيتها ضمن هيئات وترتيبات الفئة الحاكمة ..وتخضعها لمراقبة أمنية مباشرة ، وتعدم حرياتها السياسية والفكرية .. وتمادت في هذا الاستبداد حتي أصبحت تتقن فن الاذلال المجاني لغالبية المواطنين .

إجمالاً .. هذه السلطة المملوكية .. فئوية .. تعيش علي التفسخ العام للمجتمع وعلي توسع قوتها الذاتية وفوقيتها واستعلائها ، واستخدامها الاضطهاد والتعسف طريقة للحكم أكثر منه وسيلة للسيطرة

، وتمارس نمطاً من الاستعمار الداخلي وتقوم بعملية نهب لثروة المجتمع واستنزاف موارده .

● إذا كانت النظم المملوكية .. أو الاستبداد الشرقي وراء الأزمة الشاملة لواقعنا العربي المعاصر وللديمقراطية بصفة خاصة فكيف يمكن للقوي الوطنية - المعارضة العربية - أن تناضل بالديمقراطية ومن اجل الديمقراطية كما تركزون في كتاباتكم أو مواقفكم ؟ .

□ أولاً ينبغي لهذه القوي الوطنية ان تلم تبعثرها ثم تبتكر ثانياً طريقها ووسائلها التي تتيح لها الانتقال من حالة اللافعل واللاجدوي الي مرحلة التأثير الايجابي في مجريات الاحداث ، وعليها ثالثاً ان تضع برنامجها الاستراتيجي - الجبهوي - وأن تتخذ الخطوة الصحيحة ومدخلها الطبيعي نحو التغيير الثوري ألا وهو " التوجه نحوالجماهير " وتحريض تلك الجماهير - كفئات اجتماعية محورية وكادحة -وبناء تلاحمها الوطني والتصدي لقوي الاستبداد بها ومعها للتغيير الديمقراطي .

إن التصدي لحركة الثورة المضادة - الاستبداد - في الوطن العربي يمكن ان يعتمد علي " حرية الاستحكامات " كما أطلق عليها المفكر الايطالي " غرامشي " فالقوي الاستبدادية لم تصل للحكم وللسيطرة الكاملة إلا عبر تكتيكات متلاحقة بإحتلالها موقعاً بعد آخروبعد أن تستحكم فيه ، ومن ثم وفي مواجهة هذه الحرب لابد للقوي الوطنية

والديمقراطية ان تستخدم تكتيك إحتلال المواقع في قلب الشعب وفي داخل القوي الاجتماعية وتستحكم هذه المواقع حتي تصل الي خلع الهيمنة الاستبدادية عن هذه القوي الاجتماعية ، إن اسلوب المواجهة الشاملة هنا يصبح اسلوباً فاشلاً .. ، وعملية الهروب الثوزي نحو الفوضوية أي مواجهة ارهاب السلطة المستبدة بحركة إرهاب مضاد وقاصر عن التغيير عملية توغل في الضياع ولا تؤدي الي غاية .

إن القوي المرشحة للثور الوطنية الديمقراطية ينبغي لها ان تدرك ان طريق الثورة العربية صعب وطويل ، ولابد وأن تتشبث بالاستمرار علي درب العمل والنضال ، وتدرك أن الأزمة الراهنة التي تمر بها حركة التقدم العربي هي أزمة تعثر لا مرحلة انهيار وتسعي نحو الاسهام في دفع حركة التغيير الثوري بيقين قدوم شمسه التي لابد وأن تسطع علي هذه الأمة .

ولكن هذه القوة الوطنية - المعارضة العربية - والمطالبة بأن تلعب دور التحدي والنفي للسلطة الاستبدادية تعاني هي نفسها وداخلها أزمة الديمقراطية ، في الوقت الذي ينبغي فيه أن تكون هذه القوي بسلوكها نموذجاً للمجتمع الديمقراطي المنشود .. علي الأقل في جدلها الداخلي وقبل ان تشارك في الجدل السياسي والاجتماعي .

● ماهو تفسيركم لهذه الظاهرة - التناقض - بتلـك القـــوي المعــارضة ؟

ليس لنا أن ننسي أولاً ان قوي المعارضة المطروحة في الساحة العربية هي بنت المرحلة التارخية وبنت الظروف التي أعطت وانجبت هذه النظم الاستبدادية القائمة ، كما انها وفي كثير منها - بأقطار عربية عديدة - كانت تشكل مع العناصر أوالفئات التي صعدت الي السلطة أحزاباً وحركات سياسية واحدة ، وعندما جاءت حركة الردة استطاعت أن تعيد من مواقع عديدة قادتها فتستعين بالعناصر والفئات التي خرجت معظمها من أحشاء القوي المسمأة بالثورية وبالوحدوية والتقدمية .. الخ ، بل إن بعض هذه القيادات والعناصر بعد تحولها السلطوي وتسلطها مازالت تحمل الاسماء ذاتها وترفع الشعارات ذاتها ، والعامل الاخير احد العوامل التي تعيق التحام المعارضة الوطنية الديمقراطية بالمجتمع الشعبي او تفاعلها معه فتظل هامشية وتدور في دوامتها الذاتية ومن ثم تنفجر بداخلها أمراض الواقع التي تعيش فيه وتنقده ، هذا بالاضافة الي عوامل عديدة خاصة بالمسائل التنظيمية والخبرات التاريخية لقادة هذه الاحزاب وكوادرها ..

● **ماهو الطريق نحو حل هذا التناقض في صفوف المعارضة ؟**

□ مانراه علي طريق الحل هو الارتباط بالثورة الثقافية ، لأن الثورة الثقافية هي " معرفة نقدية " تحيط بالواقع من كل جوانبه ولابد لها في حركة نقدها أن نتناول كل مقوماته وقواه .

إن هذه القوي مطالبة أن تنقد الواقع وتحلله لا تتناول النظم الحاكمة

وحدها بل وان تتناول حركتها ذاتها - حركة المعارضة - كما تتناول المجتمع الشعبي الذي عاد الي الانغلاق علي نفسه وتراجع لراوبطه وعصبيته التقليدية .

إن تركيز النقد بالدرجة الأولي علي النظم المستبذة يأتي من خلال أنها العقبة في وجه التغيير ، ويجب ألا يقف عند كشف وتعرية إستبدادها واستغلالها ومفاسدها بل يجب أن يحرض علي معارضتها والوقوف ضدها .وتوجيه النقد للمعارضة إنما يرمي في النتيجة الي استخلاص قوي معارضة راديكالية تدير حركة الصراع السياسي مع نظم الاستبداد ..

أما نقد المجتمع الشعبي فهو يهدف الوصول الي مافيه من مخزون نضالي وثوري هو الرصيد الاساسي للأمة وللتغيير علي طريق أهداف الأمة ..

● الثورة الثقافية طريق النقد والتجاوز لأزمة المعارضة العربية كما ذكرت وفي أدبيات الحزب وكتاباتك الأخيرة هناك ربط بين الثورة الثقافية - التي تلحون عليها كثيراً - وبين الديمقراطية ، مالذي تريد أن تؤكد عليه من خلال هذا الربط ؟ .

□ الثورة الثقافية الشاملة لايمكن أن تبدأ أو يتوفر المناخ الملائم لها بدون الديمقراطية ... حرية التعبير والنشر ... وحتي حرية التنظيم السياسي ، فالثورة الثقافية هي عملية بحث وتأصيل لهوية ووحدة ...

وهذه العملية تحتاج لحوار بين الآراء .. وبين الايديولوجيات ... والمنظورات المختلفة . لذلك فان الخطوة الأولي علي طريق تحققها هو النضال من أجل الديمقراطية السياسية والفكرية وهذا هو منطلقها الرئيسي في هذه المرحلة ..

إن أية ثورة وطنية اليوم في وطننا العربي لا يمكن لها إلا أن تكون سياسية واجتماعية .. وأيضاً وحدوية . وهذا الترابط بين المهمات المتعددة .. والأهداف الكبيرة - علي طريق الثورة الشاملة - يحتاج الي ثورة ثقافية تقيم اللحمة والوحدة بين هذه المهمات والأهداف وفي الوقت ذاته تحتاج لمواجهة كبري مع النظم الاستبدادية - المملوكية علي أن تقوم هذه القوي الثورية بالمراجعة النقدية ، كثيرة هي القوي والمجموعات السياسية التي قالت بمثل هذا النقد وتلك المراجعة ، ولكن ممارستها لتلك المراجعة لم تأت كممارسة جدلية تثور بها علي نفسها وتجعلها تتجاوز واقعها وتنقلها إلي موقع جديد في علاقاتها مع القوي الاخري .

ان عملية الثورة الثقافية - القومية - الديمقراطية - في مواجهة الواقع العربي السائد .. وتحت وطأة هذه النظم للسيطرة الشمولية التي تتصدي لها ، هي عملية تاريخية وتحتاج لحركة تاريخية .. وطريقها صعب وطويل والحركة علي هذا الطريق تبدأ بخطوات ، ولكن لابد من تركيز جماعي .. ونضالات متعددة .. من أجل البدء في بناء حركة

مجتمع معارض .. وحركة شعب معارض ... وتكون الديمقراطية هي قضيتنا الأولي .. ، وتكون وحدة الأمة وحرية الانسان العربي ومشروعه النهضوي في انطلاقه نحو المستقبل المشرق الغاية والهدف من هذا النضال وتلك المعارضة وهذا لن يتأتي إلا بالبدء بالثورة الثقافية حيث النقد والجدل والانفتاح والتفاعل بين الآراء والاتجاهات .

١

الناصرية والإسلام والعلمانية والأصولية والنهضة

[أن هذا المشروع القومي الناصري هو خطوة هامة من الناحية الموضوعية نحو أسلمة الحياة والنهضة في عالم الإسلام ومن هنا جاءت مواجهة الغرب لهذا المشروع علي نفس المستوي الذي واجه به المشاريع النهضوية التي سبقته علي درب النهضة والتحرر والإحياء]

د . محمد عمارة

حسين يوسف القيسي ٦

● كما تري في كتاباتك وآرائك تتقدم الثورة الثقافية كحل لأزمة الديمقراطية وأزمة المعارضة وأزمة التفتت القومي ، وهي ترتكز علي النقد الجدلي ....والصراع بين التقليد والتجديد ... الإتباع والإبداع .
من جهتنا ..نري ان هذه الثورة الثقافية بحاجة إلي منظور حضاري شامل تمتد جذوره في تربة الواقع المنطلقة منه ، ومن ثم تحتاج إلي جهد نقدي عميق للتراث وللأطروحات التجديدية المطروحة باسم العصر ، والهدف من ذلك هوالوصول إلي الجدلية الصحيحة والأصيلة ، ومن هنا فإن انتماءنا للحضارة العربية الإسلامية كأصل وجذر يحتم علينا ألا ننطلق من أي أرضية أخري ..

السؤال الأول في هذا الإطار حول اطروحات الإتحاد الاشتراكي والتي

اتهمها البعض بأنها ذات منحي ماركسي ، نحن لا نري ذلك ولكننا نجد الكثير من العبارات تؤكد علي الإسلام والمسألة الدينية علي أساس انها مسألة ايمانية أخلاقية لا مجتمعية سياسية ، بينما الإسلام بصفة خاصة دين ودولة ويدخل في صميم البناء الاجتماعي والسياسي ، فما هو رأيكم في هذا الأمر ؟ .

□ الحقيقة أن الواقع الخاص منذ السبعينيات وظهور حركات التكفير باسم الدين ودور الأنظمة في تغذية هذه الاتجاهات واستغلالها ضد القوي الديمقراطية والتقدمية ، ثم إنقلابها عليها والدخول معها في صراع أقرب ما يكون للصراع الطائفي ، هذا الواقع حجب رؤيتنا وجعلنا أكثر حساسية في اختيار المصطلح أو التعبير السياسي لمنطلقاتنا.

علي صعيد آخر فإن كثيراً من القوي التقدمية والسياسية كانت مشكلتها تتمثل في عدم إعطاء مسألة الأديان دورهاالحقيقي سوا الفعلي في حياة شعبها أو بناء أخلاقية شعبها وثقافته .

ولم تعط لهذه المسألة مكانها في فكرها وتعاملها مع واقع حيا جماهير شعبها ومشاعره ، ولم تستكشف بوجه خاص دور الدي الإسلامي في توجيه ثقافة أمتنا وحياتها ، فتعاملت مع هذه المسأ بشكل سطحي أو بأشكال ديماجوجية مغرضة أو مخادعة أو هي ألقت ب جانباً وتركتها لقوي التخلف والرجعية واعتبرتها تركيباً فوقياً ه تركيبات مرحلة فات أوانها وانتهت ، وهكذا تركتها ولم تمسك .

لتبقي رصيداً للعصبيات، فتحرض التعصب وتقدس السلفي وتفجر البدائي في صيغ لا عقلانية .

الإسلام أعطي منحي لحضارة أمتنا وثقافتها وتاريخها ، وقد جاء كدين للبشر جميعاً وكفلسفة عامة في الحياة ونظرة كونية ، وتحت راية الإسلام نهض العرب وأقاموا حضارة كبري وأقاموا امبراطورية واسعة .... الخ ...

ولقد استطاع عبدالناصر أن يجمع بين الثقافة الديمقراطية التقدمية والثقافة الدينية للشعب وخاصة الإسلام ، ولم يستخدم الدين - كعهد الانظمة - كدعاية ديماجوجية مصلحية ، بل تعامل معه كأساس ثقافي وكحافز للتغيير والثورة ضد الظلم والاستغلال والاستبداد والتجزئة .... الخ .

● ولكنكم ترون أن إحدي حسنات عبد الناصر الإبداعية في الأخذ من ايجابيات التيارات الايديولوجية الوطنية هو أخذه بالضرورة التاريخية لبناء وحدة الأمة من التيار القومي ، ثم قررتم أنه أخذ بهذا ضمن مفهوم علماني لبناء الدولة العصرية .

بعبارة أخري :كيف يتسق هذا مع ما تطرحونه الآن ؟! وهل كان عبد الناصر بالفعل علمانيا ؟! .

□ حينما نقول أن عبد الناصر علماني يثير استغراب الكثيرين خاصة وأنه معروف كرجل مسلم متمسك بالخلق والمبادئ الإسلامية بل وثقافته

الإسلامية جزء رئيسي في مشروعه وتطبيقاته ..

حقيقة الأمر أنه كان علمانياً بالمفهوم الصحيح لكلمة العلمانية ، فنحن لا نقصد بكلمة العلمانية تلك الاطروحات الأخري التي تطرح خاصة الأطروحة الشيوعية حينما تقوم الدولة باسم العلمانية أي اللادينية - الإلحاد - ، بينما هي في ذات الوقت نفسه خلقت ديناً جديداً فأصبحت هي ديناً وكنيسة بصيغ ونظم ومقولات وطقوس جديدة للسيطرة ..

إننا نقصد بكلمة العلمانية : الدولة الديمقراطية ، دولة كل المواطنين ولكل الأمة علي اختلاف تياراتها الايديولوجية ومذاهبها ومعتقداتها الدينية ، أي القبول والتأكيد علي حقيقة التعداد في الأديان والتيارات والأفكار ووجود صراعات وتفاعلات شتي والاعتراف بأنه لا يوجد من يملك الحقيقة المطلقة في إدارة وتطوير المجتمع - الأمة - والدولة .

عبد الناصر حينما أخذ صيغة ومفهوم الدولة العصرية ، الدولة الوطنية لكل المواطنين .. أخذ مفهوم المواطنة - في العلمانية - وقدمه علي مفهوم المذهبة ، أي ليس بالاعتماد علي الانتماء للمذهب أو المعتقد كرابطة تربط بين الناس وبعضها وفي الوقت نفسه ليس نفياً لوجود هذه المعتقدات او محاولة لمقاومتها أو نقد مشروعيتها ، فالدولة العلمانية هي دولة كل المواطنين ..ونفي المذهبة .. حتي في العمل السياسي ممنوع المعتقد الشمولي وفرض الحقيقة المطلقة لفئة أو حزب ..

بل لابد من الديمقراطية في العمل السياسي أيضاً ..

● **مرة اخري : كان عبد الناصر ابناً باراً لتراث هذه الأمة ، والإسلام دين ودولة .. بها الشوري والمساواة والمواطنة .. الخ ، فلماذا نستعير كلمة العلمانية ؟! .**

□ صحيح أن الإسلام دين ودولة .. ونحن لا نأخذ به كما قلت في سؤال سابق كمفهوم أخلاقي وانساني ، بل كمنظور عام يدخل في تنظيم العلاقات والروابط الاجتماعية ، لكن الاسلام في صياغته للإدارة السياسية والقيادة السياسية دين علماني بالمفهوم السياسي الذي نطرحه ، فالدولة لا تخضع إلا لمبادئ الشوري وما تلتقي عليه الجماعة ومصالح البشر " أنتم أعلم بأمور دنياكم " وكانت هناك عملية إجتهاد وتجديد دائم وتفتح ومرونة في فهم وصياغة العلاقات البشرية والتشريع وبصفة خاصة في المنظور السني ، ذلك لان الاحكام تتبدل بتبدل الزمان ، وما رأيناه من تسلط ومذهبة وخلق طبقة من رجال الدين كان جزءاً من الإنحدار والتخلف ..وجزءاً من عملية الاستبداد وبصفة خاصة في العصر المملوكي والعثماني .

من هنا ... كانت تجربة عبد الناصر مميزة في استيعاب هذا السياق التاريخي وفي فهم المتغيرات وفي الارتباط بالثوابت ، وكان الشعب والمجتمع المسلم يجد في حكم عبد الناصر تطبيقاً اسلامياً دون أن يعلن عبد الناصر بشكل دعائي انه يحكم بالإسلام ودولته دولة مسلمة ..

● **حتي تقترب المفاهيم ..ونقف علي أرضية مشتركة من التحليل ، هل يكمن اصرارك علي العلمانية في رفضك لسيطرة رجال الدين ؟!**

□ نعم .. لأنه لا يوجد وكيل عن الله سبحانه وتعالي ، والحاكم بشر يمكن أن يخطئ ويمكن أن يصيب ، يمكن أن يستبد بالحكم ولا يمكن تغييره طالما يدعي انه يتحدث بأسم الله - أي بكلام الله المنزه عن الهوي والخطأ - هذا التداخل مرفوض دينيا ومرفوض سياسيا .

● **إذن فأنت مع دولة اسلامية لكنك لست مع حكومة دينية - أي يسيطر عليها رجال الدين - ؟ .**

□ نعم ...للدولة الاسلامية .. لا لدولة دينية مذهبية ، فالخمينية لا ... هناك الإمام المعصوم ويتكلم باسم الله ، وحتي الاخوان المسلمين يرفضون الديمقراطية ... وينصبون من انفسهم حكما علي ايمان البشر والقوي والجماعات ، ومن ثم لا يستطيع أحد أن ينقدهم إذا ما استولوا علي الحكم ، ذلك لانهم ينسبون افكارهم ... كلامهم ...مواقفهم إلي الاسلام ، ويأخذون الحق في إدانة من يعارضهم دون أن يعطوا هذا الحق للمعارض .

● **تقصد سلاح التكفير أم سلاح التحريم ؟ .**

□ بالطبع سلاح التكفير الذي أرهب الناس ، وأضاع جوهر وعظمة وتفتح الاسلام كعلاقات ونظم ورؤية للتغير .

● **لنرتب أفكارنا : لقد اتفقنا علي أن الاسلام مع الشوري والمساواة**

وأنه ضد وجود طبقة رجال الدين - علي عكس الكنيسة الغربية - وأن العلمانية في الشيوعية تعني الإلحاد - وكذلك هي في الليبرالية - وأننا لا نقصد بالعلمانية سوي الديمقراطية ... وأن عبدالناصر كان يأخذ بالاسلام كإيمان اخلاقي وكمنظور حضاري ..الخ ..

إذن لماذا نستعير لفظ العلمانية من بيئته الاوربية كحل لإشكالية سيطرة الكنيسة ، وما يتبع هذا من بلبلة في بيئتنا العربية ، ألا يوجد مصطلح آخر يعبر عن مقصدنا .. مانرفضه ومانريده دون الوقوع في هذا الالتباس ؟! .

☐ نعم .. قمنا بتغيير المصطلح .. أصبحنا نقول بديلاً عنه تعبير "عدم المذهبة " فلقد وجدنا في كتاباتنا السابقة أن كلمة العلمانية تثير الكثير من الالتباسات ، البعض يراها أنها اللادينية - الالحاد - والبعض كان يجدها كلمة مستوردة تعبر عن مشكلة الغرب في الصراع مع سلطة الكنيسة في القرون الماضية ، وكانت القواعد تطالبنا دائماً بتقديم تعليل وتفسير عن الكلمة ، فتوصلنا الي ضرورة البحث عن كلمة بديلة تؤكد علي إصرارنا وفهمنا للمسألة الديمقراطية والدولة الديمقراطية العصرية ، ورفضنا في الوقت ذاته لصعود التيارات الطائفية والفئوية والانعزالية .. الخ ..

أو تلك الانظمة التي تريد أن تمذهب الدولة وتفرض طائفة معينة أواتجاهاً معيناً لمصلحة قوي محددة وذلك عن طريق الاستبداد والسيطرة

والتعصب .

بصفة عامة نحن في حزبنا وفي حركتنا الناصرية لم نستعمل كلمة العلمانية بشكل كبير إلا في السبعينيات في ظل ظروف خاصة معروفة ، ولكننا في السنوات الأخيرة وبعد ردود الفعل الداخلية وبعد هبوط حدة الارهاب الفكري لم نعد نستعملها ولا توجد في برنامجنا أو أدبياتنا المختلفة .

● ننتقل الي الاجواء التي فرضت هذا الجدل منذ انكسار الموجة القومية وبروز التيار الاصولي فالجماعات الاصولية اتسعت وفرضت نفسها علي الساحة السياسية العربية منذ السبعينيات ، وهناك ايضاً ظاهره التمسك بالدين والعودة للإسلام في الأوساط الشعبية ، ما تفسيركم لهاتين الظاهرتين ؟

☐ أولاً لابد أن نميز بين المعارضة الشعبية والجماعية والعفوية التي تتمسك بعاداتها واخلاقياتها وثقافتها الدينية ، وبين الحركات السياسية الفئوية المعارضة التي تتسلح بايديولوجيات دينية وتحرك - كالنظم الفئوية - حوافز الانقسام الطائفي في المجتمع وتجنح الي الوسائل الإرهابية في ممارسة نشاطها ..

إن هذه الحركات السياسية تعبر عن نزوع للاستيلاء علي السلطة ومذهبة الدولة والمجتمع بصورة قصرية ، فهي لاقومية ولا ديمقراطية وهي في نهجها الايديولوجي تقفز ممن هو دون الأمة - الطائفة - إلي

ماهو أوسع من الأمة - شمولية أممية - وبذلك تتجاوز البناء الوطني والديمقراطي للأمة وتتطلع الي دولة سلطوية بلا أمة، كما أن نهجها ذاته يشد بها إلي التبعية والي ولاءات غير وطنية ويجعل منها رصيداً لحركة الردة والثورة المضادة .

أما مظاهر الرجوع الي الدين في شعائره وتعبيراته الثقافية المختلفة التي يمارسها الشعب في حياته اليومية ، والتي إنتقلت عبر سنوات من مجتمع القرية والحي الي المدينة والجامعات والمعاهد وشملت الازياء والعادات والسلوك اليومي ، فانها نمط عفوي في التعبير عن ثورة الشعب الثقافية ضد الهيمنة الشمولية التي تحاول فرضها نظم الاستبداد الفئوي وضد الإذابة وتضييع الهوية .

فالمجتمع الشعبي في مواجهة الفساد وقيم الترف والانانية والجري وراء المال وسيطرة المجتمع الاستهلاكي بقيمه وفرديته ، وما يرافقه من سوء إدارة وتلويث للبيئة وتشويه للحياة ومن فحش وتبذل واستخفاف بقيم الشرف والأمانة والصدق ، وفي مواجهة الغزو الثقافي المنظم باسم الحداثة والتكنولوجيا وماهو إلا زيف وتغريب ، وفي مواجهة كل هذا قام المجتمع الشعبي بثورته السلبية والعفوية التي يعلن فيها رفضه للانصياع لهذا كله ولتلك السيطرة الاستبدادية ، فعاد الي تلك القيم والتقاليد التي صنعت ترابطه ووحدته في الماضي والتي أثبتت جدواها عبر مراحل مختلفة من تاريخه .

إن هذه الثورة إذا لم تكن تعرف بوعيها الجماعي ماذا تريد فإنها تعرف ماذا ترفض ، وهذا ما جلعنا نسميها بالثورة الثقافية السلبية للشعب ، فهي برجوعه للدين وللتدين وتشددها في ممارسة شعائرها بل والتمسك بشكليات في الزي والحجاب الشرعي والجلباب وما تحيط به من اجواء لاعيادها ومناسباتها الدينية ، نقول انها بكل هذا تؤكد علي رفضها ومعارضتها لما هو قائم وتحصنها ضده وضد ما يفرضه عليها من نمط استعماري داخلي وخارجي .

● **ولكن هناك من يري - في القوي القومية أو الديمقراطية - أن هذه العودة للدين تحمل في طياتها الكثير من المظاهر التعصبية والأفكار الأسطوراية والنزعات الاتكالية ، ومن ثم فهي ليست ثورة ثقافية بل إرتدادية ؟! ويجب التصدي لها ؟.**

□ إن المعارضة الشعبية التي نطلق عليها الثورة الثقافية السلبية لابد وأن يشوبها العديد من الشوائب - كالتعصب والتفكير الغيبي الاسطوري - خاصة في الأوساط المتخلفة ، ولكننا ينبغي ان نتنبه للدور الذي تلعبه النظم الاستبدادية في التحريض والتضليل من أجل الابقاء علي هذه الشوائب من خلال القهر والتفتيت الاجتماعي والتي تدفع بالمجتمع الشعبي الي الوراء وتحرك فيه العقليات البدائية والغيبية ، كما أنها عن طريق تعطيل أجواء الحرية الفكرية والسياسية التي تنير العقول تساعد أيضاً علي بقاء هذه الشوائب ، هذا بالاضافة الي دوررجال الدين

الرسميين ومظاهر الاحتفالات الدينية الرسمية والدعائية ودور الاعلام .... الخ ...

إن هذه الشوائب في المعارضة الشعبية هي معوق لاشك فيه من معوقات التجديد ، فهي تعيق عمليات الإصلاح والتجديد والانفتاح علي روح العصر ، وتساعد علي نمو أنماط من الارهاب الفكري ، ولكن كل هذا لا يجعلنا نقف عند المظهر الخارجي بل لابد من النفاذ وراء الظاهرة واشكالها .. إلي روح الرفض .. وجوهر الثورة الثقافية ومعرفة الواقع المحيط بها والمؤثر فيها ، ثم علينا التصدي لا للمعارضة الشعبية - الثورة الثقافية السلبية - بل للشوائب التي تعلق بها ، وذلك عن طريق تعميم القيم الديمقراطية والتمسك بما تحمله الثقافة الدينية ذاتها من الحض علي التسامح والتآخي والتراحم الوطني والإنساني ، وتحكيم العقل في أمور دنيانا ومستجدات عصرنا ومجتمعاتنا ..

إن عودة المجتمع الشعبي للتدين يجب أن نفهم حقيقتها ونتعاون معها ، أي نفهم شعبنا ونعرف كيف نتدخل معه من هذه المعارضة السلبية الي دور ثوري جديد ، ويكفي أن نذكر هنا التجربة الوطنية لشعبنا العربي في الجزائر ، فإعتصام الشعب بثقافته الدينية كانت عدته خلال الفترة الطويلة للإستعمار الفرنسي الاستيطاني ، والثورة التي قادتها في البداية طلائعه المثقفة الدينية كانت المدخل لثورة الجزائر التحريرية الكبري .

● وهناك أيضاً من يري خطورة هذا الانسياق وراء عواطف ورغبات الجماهير لأنها تمثل تملقاً للشعب ، وفي الوقت ذاته فإن هذا التوجه يشير الي شبهة الرجعية وينزع صفة التقدمية عن القوي التي تأخذ بهذا المنحي ؟! وألا تجدون أن هذا الفهم وقف وراء الغياب الملحوظ للقوي القومية والتقدمية عن تطوير الثقافة الدينية وعن الالتحام بالجماهير في آن واحد ؟

□ نعم .. فهذه القوي الوطنية والتقدمية تظل في تهميش نفسها اكثر وتعزل نفسها عن اوساط شعبية وجماهيرية واسعة تشكل الاساس لكل تنظيم والينبوع لكل ثورة ، ذلك حينما لاتجد سبيلاً للتأليف بين فكرها الديمقراطي والقومي وفكرها الاشتراكي وبين ثقافة الشعب الدينية ، وما تحمله هذه الثقافة من قيم أخلاقية وإنسانية وعندما لا تجد نقاط الالتقاء والتكامل بين معارضتها الديمقراطية والمعارضة الشعبية العـفوية .

إن الهجرة الي الجماهير - جماهير شعبنا - كحل لمأزق هذه القوي في عدم التأثير وفي الانزواء يجب ألا تقف أمامها أية عوائق ، والإدعاء بفقدان التقدم والتقدمية إدعاء مغالط فلا تقدم إلا بتقدم جموع الشعب وتقدم الوعي الجماعي ، والخوف من الإتهام بالرجعية خوف واهم لأن الرجعية هي الرجوع عن أهداف الأمه والارتداد بالأمة الي الوراء والي مواقع الطائفية والرجعية والاقطاع السياسي المسيطر ، ثم لا توجد

رجعية اكثر من رجعية الاستبداد والحكم الفاشي .

والدعوة الي التأليف والترابط بين الأفكار لا يعني أن يكون في إطار ديماجوجي كذاب لكسب الشعب وتملقه في مواقف ما ، بل لابد وأن يأتي هذا التأليف كعملية ترابط فعلي وعضوي للأصالة والتجديد في الفكر والممارسة ، وهذا ايضاً من مواضيع الثورة الثقافية تدخل في اطار المراجعة والنقد التي تقع مهمة القيام بها علي العناصر والمجموعات السياسية والثقافية الديمقراطية .

● إذا كانت إحدي انجازات عبد الناصر هي محاولة توحيد قوي وتيارات الأمة عبر التأليف والترابط ، وإذا كانت الثورة الثقافية الآن تتطلب هذا المنحي من التأليف والترابط ، وإذا كانت هناك أخطاء في التيار الأصولي ، كما توجد أخطاء في التيار القومي والتقدمي ، وان الدعوة للديمقراطية تعني إفساح المجال لتفاعل وعطاء الجميع ، فهل هذا يعني إمكانية تفاعلهما أم تحالفهما في هذا السياق ؟! وما المطلوب من كل طرف أن يقدمه علي هذا الطريق ؟

☐ المقصود بالنقد وبمحاولة التأليف والترابط في الثورة الثقافية أو النضال الديمقراطي ليس التحالف بين تيار ايديولوجي علماني وآخر ديني ، فالتحالف إنما يقدم بين قوي سياسية واجتماعية تجمع بينهم مصالح مشتركة في مرحلة من مراحل التطور الاجتماعي والاقتصادي للوطن وتوحدها أهداف سياسية وصيغة مشتركة لنظام الحكم الذي تطالب به

وتزيده ..

ولكن المقصود بالنهج الديمقراطي في التفكير والممارسة هو أن نضع أمام أعيننا المهمة الأولي التي لابديل عنها وهي صياغة الوحدة الوطنية لجماهير الشعب وبناء مقومات وحدة الأمة لتكون هناك ديمقراطية في الحكم ودولة للأمة تعبر عن مصالحها وتطلعات شعبها ..

ومن أول مقدمات وحدة الأمة هي الثقافة المشتركة لشعبها . وهذا يتطلب من الفكر القومي العلماني أن يستلهم ثقافة الشعب الدينية لتأصيل قوميته وإغناءها بمضامينها الاخلاقية والروحية ، إن مراجعة نقدية لكل الايديولوجيات الجاهزة سواء التي تشكلت في مرحلة مضت أو التي استعارتها فئة أو حزب لتلبية حاجاتها مهمة عاجلة للقوي الوطنية الديمقراطية التي تقول بالتقدمية وينبغي بعدها أن تحدد الكثير من المضامين والمقولات التي تعبر عن التقدمية والعلمانية .... الخ علي ضوء ثقافة الشعب الدينية وعلي أساس الإحاطة والإلمام بالأزمة والتعرف علي حاجات الشعب الفعلية .

أما القوي السياسية حملة لواء الثقافة الدينية فمطلوب منها أن تكون وطنية وديمقراطية أولا ، وأن يصيغوا ثقافتهم وتطلعاتهم الانسانية والشموليتوالكونية في إطار الوحدة القومية للأمه وبروح الوطنية والمواطنة أي بروح المساواة بين فئات الأمة كلها علي تعدد مذاهبها ومعتقداتها ..

● **هل هناك مبادرات علي هذا الطريق - التفاعل بين التيارين ؟ .**

☐ المبادرات التي تمت قامت بها طلائع ثقافية من الجانبين واخذت تعطي تعبيرها في كثير من الكتابات والندوات واللقاءات الثقافية ، تلك التي تتناول موضوع العروبة والإسلام أو موضوعات الديمقراطية والوحدة والدولة والاسلام والأمة وتاريخها . الخ ، وهذه المبادرات في الواقع تمهيدات وخطوات علي طريق الأمل ، لكنها مازالت تشير إلي وجود أزمة في العلاقة بين الطرفين أكثر مما تضعنا علي طريق التجاوز ولأن الحل والتجاوز لا يأتيان إلا عبر عمل سياسي مشترك للتغيير وتجربة عبد الناصر في هذا المجال تجربة معلمة ورائدة ..

● **ولكن هناك الكثيرين ممن يأخذون علي عبد الناصر ضربه للقوي السياسية لا حشده وتعبئته لها .. فما قولكم ؟ .**

☐ الحقيقة أن عبد الناصر رصد مبكرا وفي فلسفة الثورة ظاهرة تصادم الثقافات - حتي داخل الاسرة الواحدة - وعلي مستوي الأمة كان نهج عبد الناصر واضحا في تذليل أسباب التناقض والتصادم الكبيرين التيارات الأساسية - الثقافية والسياسية - في الوطن العربي ، فقد حاول دائماً ان يضعها في إطار البناء الوطني والقومي علي طريق التقدم والثورة .

صحيح أنه اصطدم في مراحل مختلفة مع هذه القوي أو تلك ، وتعاون في مراحل اخري وندد بقصور بعضها وسلبية بعضها الآخر ،

ولكنه حاول دائما أن يشدها ويزيل من أمامها العقبات في طريق بناء المشروع الثوري المشترك وفي طريق توحدها وتحويل صراعاتها الي الصدام الرئيسي مع القوي المضادة المعادية للأمة وفي الصدام مع التبعية والاستعمار وفي مواجهة التخلف ، وكما قلنا فإن أروع مافي الفكر الناصري – علي المستوي النظري – هي جدليته التأليفية بين العناصر الايجابية في الأفكار والايديولوجيات الاساسية في الساحة العربية .

● الآن وفي هذا الواقع العربي المتردي توجد تيارات أساسية مازالت لم تلتق علي مشروع نهضوي واحد ، وبالرغم من إرتفاع أصوات وتعدد كتابات حول ضرورة وجود مشروع حضاري جديد ..

المشكلة لدينا منذ جمال الدين الافغاني وحتي الآن تتمثل في الصراع المرير بين تيارين رئيسيين – يزداد في فترة الانتكاسات حدته – تيار التقليد للحضارة الاوربية بشقيها الغربي والشرقي ، وتيار الرفض الكامل والنفي لكل ما هو أوربي وافد .

● أين منظورنا الناصري في مسألة النهوض الحضاري أو ما هو تصوركم في هذا الصراع الدائر بين الوافد والموروث وكيفية تجاوزه ؟!

□ الأمة العربية تمر الآن بمرحلة الجمود التاريخي ، والضياع بعد ضرب الحركة الجماهيرية وتشرذم طلائعها الثقافية والسياسية ، وتطاحن وصراع الثقافات والتأثيرات المختلفة بما فيها الغزو الثقافي الذي مهدت له التبعية وهيمنة التخلف والاستبداد ...

في هذا الوضع لا يمكن ان نبدأ عملية النهوض ، فالنهوض الحضاري يحتاج لعملية تفتح تاريخي وثقافي ، تفاعل وحوار في مناخ ديمقراطي من أجل الوحدة الثقافية ، نحن في حاجة كمرحلة أولي وأساسية لعملية سياسية ... لتحقيق مرحلة التحرر السياسي ..

إذا نظرنا الي التيارات السياسية الأساسية في الوطن العربي ، نجد منها من ينطلق بمنظور قومي ثوري ديمقراطي ومنهامن يأخذ بمنظور ماركسي أو ليبرالي ومنها من ينهل من فكر اسلامي مستنير ، هذه التيارات التي نطلق عليها تعبير الوطنية والتقدمية لهامن الاختلافات والتقاطعات فيما بينها ما يقف حائلاً دون الوحدة الفكرية والثقافية كعامل هام من عوامل إندماج الأمة ، ولايمكن أن نطالب هذه التيارات بالمنظور الايديولوجي الموحد ، لكننا نقدر علي دعوتها الي مواقف سياسية موحدة إن أول مهمة علي هذا الطريق - تحقيق التحرر السياسي - هي الاخذ بالنهج الديمقراطي ، القبول بمبدأ التعددية وبالحوار المفتوح ، وأيضاً بالعمل في الاطار القومي في التوجه والممارسة ، ولايعني هذا بالنسبة للقوي ذات المنظور الانساني أو الكوني أن تتخلي عن منظوراتها الأممية ، ولكن أن يكون توجهها الأساسي تأكيد وحدة الأمة والانطلاق ، فتوجهها الانساني والعالمي يتم عبر الأمة وليس عبر تجاوزها .

هذا في رأيي هو الممكن الوحيد في انجاز المرحلة الأولي ، وسوف

يفتح الأفق أمام المراحل التالية لعملية النهوض الحضاري ، وهي عملية تاريخية تأتي عبر التطور السياسي والاجتماعي ولايستطيع انجازها حزب أو تيار أو جبهة منفردة بقدر ما يقوم بها جهد جماعي شامل للمفكرين وللتنظيمات وللجبهات ... الخ .

أما المنظور الناصري فنجده في مقولات وممارسات عبد الناصر ، فتركيزه علي اجتياح الثورات لكل زاد فكري شريطة هضمه وصياغته وفق خصوصيتها ، وفكر مفتوح لكل التجارب الانسانية يأخذ منها ويعطيها ، وكان يحتكم دائماً لجدلية العلاقة بين الأصالة والمعاصرة ، وظهر الجدل بين الخصوصية والنقل ... الصراع ضد الغزو الثقافي والدفاع عن الايجابي من الموروث وابرازه وإذا عدت بذاكرتك الي الستينيات - الطور الثاني من النهوض الناصري - تكتشف أن كل شئ يطفح كلما اتيح له مجال من الحرية والديمقراطية : الكتابة ، المسرح ، الأدب ، الموسيقي ... الخ ، انفتاح علي تجارب العصر مع وعي بخصوصية وثقافة الأمة وتفاعل جدلي خلاق من أجل صياغة جديدة ومتطورة .

٤

الناصرية والمساءلة التنظيمية

[إن المسألة التنظيمية لا تأخذ بهذا التبسيط المخل في هذا العالم المعقد الحديث وفي هذا الواقع العربي المليء بالعقبات والتناقضات .

وخطورة التبسيط هنا أنه يوقع بعضاً من الشباب الذي يعاني هموم امته ضمن ما يسمي بالمراهقة التنظيمية - تماما كالمراهقة الفكرية] .

" كتاب نقد جدل الانسان "

● مثلما كان عبد الناصر زعامة تاريخية .. وصاحب إجتهاد فكري متطور ومتميز كما كان رجل دولة من الطراز الأول ، مثلما استطاع أن يضع بصمات واضحة في المسألة التنظيمية سواء عبر الجهد النظري أو من خلال الممارسة والتطبيق طيلة حقبتي الخمسينيات والستينيات .

سؤالنا الأول هنا : عن موقع المسألة التنظيمية في فكر عبد الناصر ، خاصة وأن الخط العام الذي ظل يسود تجاربه هو مسألة التنظيم السياسي لقوي التحالف الشعبي أو الكتلة التاريخية ، فما هي رؤيتكم لهذه المسألة من الصيغ التنظيمية ؟

□ الاجابة علي هذا السؤال تستدعي الوقوف عند بعض المفاهيم ، فهناك التنظيم السياسي للأفراد أو القوي أو الجماعات ، وهناك النظام السياسي العام أو نظام الدولة ككل ، وما من تنظيم سياسي يقوم

ويستحق هذه التسمية إلا وهو يحمل علي نحو ما صوره أو تصوراً للنظام السياسي الذي يتعامل معه أو يريده أو يتطلع للوصول اليه ..

هناك تنظيم سياسي في الصيغة الأكثر تحديدا وهي صيغة الحزب : من الحزب الطلائعي والثوري إلي الأحزاب الانتخابية والبرلمانية والأحزاب التي تتصارع في الحكم وتتعاون لتحكم ، وهناك التنظيم في صيغة التجمع الشعبي الذي يتسع ليشمل فئات اجتماعية جديدة ، أو تقتصر علي فئة واحدة أو طبقة أو طائفة أو عصبة ، وهناك التنظيم في صيغة التحالفية والتعاقدية والجبهوية ، ثم هناك النظام السياسي كدولة وحكم في اشكاله المختلفة وما يحدده كل نظام من مواقع وادوار للقوي والتنظيمات السياسية والأحزاب وما يعطيه لها او يحجبه عنها من حريات ... فهناك نظام الحزب الواحد ... وهناك نظام الحزبين ونظام تعدد الاحزاب ، وهناك نظم لا تقوم علي اي تنظيم حزبي وترفض وجود الأحزاب والتنظيمات الشعبية .. الخ ..

وهناك التنظيم السياسي كمقوم من مقومات النظام السياسي او كجزء منه وكمؤسسة من مؤسساته أو هو يأتي في قمته وقيادته او يكون في مشاركة معه وتعاون ، أو هو يأخذ دوره كمشاهد او رقيب بشكل شعبي عليه .

ولاشك أن مسائل النظام والتنظيم كانت من المسائل الاساسية التي طرحتها علي نفسها وعلي الآخرين ... القيادة الناصرية .. منذ

مبادرتها الثورية الأولي ، لقد كانت حركة عبد الناصر مخاضاً ثورياً .. ولقد شق طريقاً وخط نهجاً استراتيجياً في إنجاز مهمات الثورة القومية ، وهذا النهج لم يتبلور دفعة واحدة ولا في صيغة كاملة شأنه في ذلك، شأن اي مخاض ثوري ولكن أهداف الثورة ظلت دائماً واضحة امامها ، وفي مسألة التنظيم التي نحن بصددها أعطت حركة عبد الناصر مقدمات وخاضت في تجارب اجرت عليها مراجعات ولكنها لم تقطع في صيغة وقفت عندها .

● **لنتحدث عن هذه التجارب التنظيمية ... ولنبدأ بأول تجربة وهي تنظيم الضباط الأحرار ، وماهي القواعد الأولية التي أخذ بها عبد الناصر في بناء تصوره التنظيمي للضباط الأحرار ؟ .**

□ الواقع ان حركة الضباط الاحرار كانت تنظيماً سياسياً من حيث دوافعه ومراميه ، وكانت تنظيماً ثورياً من حيث انها تعمل للاستيلاء بالقوة علي السلطة وتغيير نظام الحكم لوضع الدولة في خدمة التحرر الوطني وخدمة اهداف الجماهير ومطالبها والتي جاءت في صيغة المبادئ الستة المعروفة .

لكنه جاء بالضرورة تنظيماً في إطار فئة اجتماعية محددة هي الجيش الذي يملك القوة الضاربة والقادرة ، واستفادت الحركة من الانضباط العسكري وهرميته و إلا أن التنظيم لم يكن يملك وحدة الفكر ولا الصلة العضوية بجماهير الشعب ومن ثم لم يكن حزباً سياسياً ولم

يصفه عبد الناصر بهذا الوصف نهائياً.

الطابع السري للحركة والانضباط العسكري فيها اعطياها تلاحماً ، ولكن المنابت الفكرية السياسية المختلفة للافراد في هذه الحركة جعلت الحركة اقرب الي صيغة الجبهة التي تجمع بين تيارات متعددة وتلتقي علي هدف التغيير الوطني لنظام الحكم .

جل ما وصف به عبد الناصر هذه الحركة في الميثاق وقوله انها كانت طلائع ثورية في الجيش تلاقت وانتظمت لتفجير الثورة في ليلة ٢٣ يوليو ، وكانت مصممة علي إختصار فترة وجودها كسلطة عسكرية بعد الثورة بل وإنهاء وجودها كتنظيم لحركة الضباط .

● **عندما إنطلقت الحركة الي السلطة .. واتسعت دائرة العمل السياسي من الحلقية الي العمل الجماهيري .. ومن الفئة الواحدة الي قوي المجتمع ككل ، هنا طرحت مشكلة التنظيم السياسي وعلاقته بالمجتمع الشعبي ، طرحت صيغة هيئة التحرير اولاً ثم الاتحاد القومي ، وما هو المفهوم الفكري للقوي الشعبية الذي وقف وراء تصور عبد الناصر التنظيمي في هاتين الصيغتين ؟.**

☐ كانت قضية الديمقراطية - حرية الوطن وحرية المواطن - محوراً فكرياً من محاور الثورة الناصرية ، وظلت تطرح نفسها بالحاح علي عبد الناصر منذ البداية - ١٩٥٢ - وحتي النهاية - ١٩٧٠ - ان إرتباط التحرير الاجتماعي لجماهير الشعب بالتحرير السياسي لارادة هذه

الجماهير وكذلك النظام السياسي وسبل صياغه القرار السياسي ودور القوي الشعبية ذات المصلحة في اتخاذ هذا القرار كلها كانت مطروحة علي عبد الناصر بالحاح وكانت تشكل احدي مرتكزات حركته وعلاقته بالجماهير .

الديمقراطية كانت من ضمن الاهداف الستة لكنها أتت السادسة في الترتيب وهذا امر منطقي ، فهناك مهمات كان ينبغي لها ان تأخذ الاولوية لدي الثورة .. وكمدخل صحيح للديمقراطية ، فقضية الملكية وإسقاط الاقطاع والطبقة المستغلة الحاكمة وكذلك رحيل الاستعمار ... وبناء جيش وطني ... الخ ... كلها مهام عاجلة تفرض نفسها في المرحلة الانتقالية ...

لكن الثورات في العالم الثالث تتداخل فيها المهمات وتتشابك ، من هنا وجد عبد الناصر نفسه امام مشكلة الديمقراطية منذ اللحظة الأولي وقبل انجاز مهام المرحلة الانتقالية ، ووجد نفسه محاصراً بمسألة الموقف من الاحزاب السياسية القائمة سواء التقليدية والمحافظة منها أو التي كانت تسعي للتغيير ولكن بغير الاهداف التي جاءت منها الثورة مثل الاخوان المسلمين والشيوعيين ..

في البداية التقي عبد الناصر بهذه الاحزاب وطالبها بتطهير نفسها وتجديد ذاتها وفق المنظور العام والاهداف التي رفعتها الثورة ، ومع الممارسة رفض كل حزب بطريقته التكيف مع التطور الوطني والجديد ،

وسرعان ما تم الصدام بأشكاله المختلفة .

واجه عبد الناصر رغبة هذه الاحزاب في العودة بالثورة للوراء، بتجاوزها والتحامه المباشر مع الجماهير ، فالتقي بالطلاب والعمال وذهب للفلاحين مخاطباً إياهم بالالتحام بالثورة وبالدفاع عنها ، ومنذ ذلك الحين راحت قيادة عبد الناصر تأخذ دور الحزب في عملية التوعية وتسييس الشعب وتحريض الجماهير .

وفي عام ١٩٥٣ جاء تشكيل هيئة التحرير كمحاولة لملء الفراغ السياسي بعد استبعاد الأحزاب ، وقرر عبد لناصر ان هذه الهيئة ليست حزباً سياسياً بل هي هيئة لتنظيم الارادة الشعبية وهي مفتوحة للشعب ولكل القوي الوطنية واكد علي رفضه لنظام الحزب الواحد أو العودة للنظام الرجعي وكان يقول اننا نسعي للإنتقال الي الديمقراطية تأكيداً لسيادة الشعب ، ومن الطبيعي ان تأتي الديمقراطية علي اساس من تعدد الاحزاب ولكن هذا ما لم يأت وظل مبدأ إقامة حياة ديمقراطية سليمة مفتوحاً علي مصراعيه ..

وبعد تأميم القناه ومعركة السويس وتمصير المصالح الأجنبية .. الخ ...، وجد عبد الناصر ان هيئة التحرير ظلت متخلفة عن ان تأخذ مبادرتها الشعبية ، وبحكم انفتاح عبد الناصر في هذه المرحلة علي حركات التحرر الوطني في العالم والأحزاب القومية والتحررية في الوطن العربي وقبيل الوحدة انشأ الاتحاد القومي كإطار إجتماعي وشعبي اكثر

انسجاماً مع تقدم وإنجازات حركة الثورة الاجتماعية والتحررية .

صحيح أن مسألة الحزبية والتعدد الحزبي عاد ليطرح نفسه علي قيادة عبد الناصر عند قيام الوحدة إلا أن الأحزاب وخاصة البعث قبلوا بحل انفسهم .. وبإستثناء الشيوعيين فإن سوريا قبلت بفكرة الاتحاد القومي ، وكان من الممكن تشكيل وتطوير الاتحاد بشكل حزبي وبمبادرات شعبية لولا ان الاجهزة البيروقراطية التي اتسعت وامتدت وأصبحت هي الوسيط بين قيادة الثورة وبين الشعب هي التي اعاقت هذه المحاولة وهي التي قلصت إمكانات هذا التنظيم ، بصفة عامة يمكننا القول بان مرحلة - هيئة التحرير والاتحاد القومي - يمكن ان نسميها المرحلة التجريبية لتنظيم نظام الثورة حيث أن محورها الرئيسي آنذاك كان تصفية النظام القديم .

● ما هي الملاحظات النقدية التي يمكن أن نضعها في وصف العملية التنظيمية والمسألة الديمقراطية - صنع القرار السياسي - خلال المرحلة التجريبية ؟ .

□ التنظيمات الشعبية في هذه المرحلة لم تكن أحزاباً ... بل كانت أقرب ما تكون الي صيغ تحالفية بل تعاونية إجتماعية ومجموعات شعبية ، وأصبحت حركة لا حتواء الشعب وتوجيهه تجاه نظام الحكم بدلاً من أن تكون توجه النظام تجاه الحركة الشعبية ، بتعبير اخر لم تقم بمهمتها في صياغة الموقف والقرار السياسي ، ولولا ان قيادة عبد الناصر

كانت تتفاعل مع الجماهير دون وسيط لضاعت مكاسب وانحـرفت المسيرة .

لم يكن عبد الناصر مع هذا الموقف وكان يكرر دوما ان الفرد زائل وان الثورة هي ثورة شعب وقضية امه ، ويبدو ان تصادم عبد الناصر مع الاحزاب المصرية التي أرادت ان تقف بينه وبين الشعب وبينه وبين التقدم قد تسبب في هذه المواقف الحادة تجاه الحزبية ، بل واتخذت تجاه مقـولـة " من تحزب خان " نوعاً من القدسية ، واستمرت الجماهير خلال تلك المرحلة بلا طليعه تتقدمها وبلا إطار حقيقي يعبأها ويقودها .. ، الثورة في هذه المرحلة كانت تؤكد علي ما ترفضه - من الحزبية - حتي تجد السبيل الي ما تريد ، وما تريده لم يكن واضحاً كل الوضوح.

● **التقسيم بين المرحلة التجريبية - هيئة التحرير والاتحاد القومي - وبين المرحلة العقائدية الناضجة - الاتحاد الاشتراكي وحزبه الطليعي - يكمن وراءه العـديد مـن العـوامل والمـرتكزات فهل يمكننا الوقوف عليها ؟ .**

□ مرحلة الميثاق التي أسماها عبدالناصر بمرحلة الثورة الاجتماعية ، كانت الفوارق - العوامل - مع المرحلة السابقة عديدة : فلقد تم تجريد الرجعية من أسلحتها الاقتصادية ومواقعها في السلطة واصبح امام قيادة الثورة وقيادة التنظيم دليل عمل ومنهاج - الميثاق - يحقق الوحدة الفكرية والاتجاهات الاستراتيجية ، وتبلور وتحدد مفهوم الشعب

اجتماعياً .. واصبحت قوي التحالف - عمال وفلاحين ومثقفين وجنود ورأسمالية وطنية - هي التي تشكل الوحدة الوطنية للمجتمع ، بالاضافة إلي تأكيد سلطة الشعب وسيادته من خلال المنظمات الشعبية والمجالس الشعبية التي تعلو سلـطة الاجهـزة التنفيذية .

في هذا الإطار ووفق هذه المرتكزات .. تشكل التنظيم السياسي الجديد - الاتحاد الاشتراكي العربي - مختلفاً ومتجاوزاً للصيغ السابقة ، وفي قلب هذا التنظيم طرح ما يسمي بالجهاز السياسي أو التنظيم الطليعي الذي يحبذ العناصر الصالحة في القيادات الشعبية وينظم جهودها ويبلور ادوراها الثورية في تحسس احتياجات الجماهير وايجاد الحلول لهذه الاحتياجات ، ولم يكن التنظيم الطليعي هنا بمفهوم الحزب الواحد أو الحزب القائد ..فلم يكن المقصود منه أن يبقي حاكماً او قائداً للدولة ، بل يأتي تأثيره في حركة النظام من خلال الرقابة عليه وتعبئة الجماهير وتحريضها علي اليقظة والرقابة والمحاسبة ..

قام الاتحاد الاشتراكي بالفعل وتأخر قيام التنظيم الطليعي قليلاً ، فقد ترك في البداية لمبادرة تأتي من الطلائع الاشتراكية والتقدمية داخل الاتحاد الاشتراكي ، وعندما لم تتم هذه المبادرة فقد كلفت عناصر مختارة من القياديين بالاتحاد ومن المثقفين ومن دوائر الحكم فقامت بتشكيل مجموعات صغيرة وخلايا ترتبط بعضها ببعض في صيغة شبه سرية من أجل ان لا تتسرب اليها العناصر الانتهازية .

● **قلتم منذ قليل ان المرحلة التجريبية لم تشهد عملاً حزبياً بل تعاونيات شعبية سياسية ،ورأيتم ايجابيات مرحلة الاتحاد الاشتراكي كتعبير عن نضوج التجربة الناصرية وتطور فكرها التنظيمي خاصة بعد الميثاق ونضيف هنا ايضا المراجعة والتطوير الذي تم بعد ١٩٦٧ م ، وبالرغم من كل ذلك إنهارت الثورة وانحراف المسار أمام اول حركة ردة بعد موت عبد الناصر - القائد التنظيمي - بعام واحد فقط !! بماذا تفسرون هذا الأمر ؟! أو بتعبيركم الأثير لماذا لم يقم التنظيم بتكملة المشوار ؟ .**

☐ إن الطلائع الناصرية في مصر والتي سارت وراء نعش عبد الناصر امام الملايين من الجماهير بنداء واحد (ح نكمل المشوار) لم تستطع مواصلة مشوار عبد الناصر ولا تكملته ، بل انقطعت هي ايضاً وتشتت بغياب عبد الناصر ، ذلك لأنها لم تمسك بالكتلة التاريخية الشعبية التي كان يحركها عبد الناصر ويسيسها ، ولم تكن تعلم من قبل كيف تأخذ مبادرتها السياسية والتظيمية للنهوض بهذه الكتلة .

لم تستطع من قبل ان تجعل تنظيمها الطليعي حزباً ثورياً ناصرياً مهيمناً داخل التحالف او الاتحاد ، ولم تستطع ان تجعل من هذا الاتحاد او التحالف جبهة سياسية متحدة وملتزمة بتعاقدها الوطني علي أساس الميثاق لتكون فاعلة ومؤثره في مسار نظام الحكم ومؤسساته وتوجهاته ...

وهكذا لم تستطع تلك الطلائع وهذه القيادات أن تشغل الموقع القيادي الذي كان يحتله عبد الناصر بالنسبة لحركة الجماهير وتوجيه حركة الاحزاب ، ولا ان تمسك بالمبادرات المطلوبة حين كانت تجدر المبادرة ولا أن تواصل نهج عبد الناصر .. ، ذلك لأنها كانت تعول في كل شئ علي عبد الناصر وما قدم لها وما يقوم به ، وذهب عبد الناصر وقعدت وكأنها تنتظر (ناصر جديد) ، وهكذا طرحت المبادرة لغيرها وجاءت الردة الساداتية لتحتل مواقعها في السلطة والنظام وبقيت مكشوفة بلا دعم او حماية ، فتحركت قوي الثورة المضادة من كل حدب وصوب فانقضت علي الناصرية وتراث عبد الناصر ونهجه ، وبمساندة من الامبريالية العالمية وقفت دون أي وجود للتيار الناصري داخل الاتحاد الاشتراكي - كمنبر سياسي - او خارجه - كحزب .

● **لننتقل الي تجربتكم في سوريا .. تجربة حزب قام بمعزل عن ارادة السلطة البيروقراطية ، وبمنأي عن إغراءات الدولة للعناصر الانتهازية ، منذ اللحظة الأولي - وكما ذكرتم في الشق التاريخي - كان هناك اتجاه الرفض لفكرة الحزب باعتبارها خروجاً علي فكرة التنظيم السياسي كما أتت في الناصرية وحتي هذه اللحظة مازال البعض - خارج سوريا - يري أن فكره الحزب تقع خارج الفكر الناصري .**

بعد هذه المرحلة الطويلة من المعاناة ومن الجدل ما هوقولكم تجاه هذه الآراء في الماضي أو في الحاضر - الرافضة لفكرة الحزب ؟! وماهي

آراؤكم في ضرورة الحزب ؟! .

☐ نحن عندما قرأنا في الميثاق مقولة عبد الناصر عن قيام ثورة ٢٣ يوليو بان " هذا الشعب البطل بدأ زحفه الثوري بدون تنظيم سياسي ثوري يواجه مشاكل المعركة وكذلك فإن هذا الزحف الثوري بدأ من غير نظرية كاملة للتغيير الثوري " لم ننطلق من هذه المقولة كدليل علي إمكانية الاستغناء عن التنظيم السياسي أو النظرية ، بل أدركنا أنهما يبقيان حاجة ومطلباً لضمان استمرارية الثورة ، كما وجدنا انهما ضرورة لا بديل عنها لكي تمارس القوي الناصرية والوحدوية عملها السياسي في سوريا وفي غيرها من الاقطار العربية ، ولتقوي علي مواجهة مشاكل معركتها الوطنية والقومية ، لكي تتصدي للقوي السياسية والأحزاب والنظم الاقليمية ولتشق طريقها الي الثورة والوحدة ...، وما أظن اننا في هذا التصميم قد خرجنا في شئ عن منظورات عبد الناصر الاساسية لهذه الامور بل كانت هذه توصياته الدائمة لنا بهذا المنحي .. ، وعلي أساس من هذه القناعة وتلك التوصيات قامت تجربتنا في سوريا – حزب الاتحاد الاشتراكي العربي – ،

إن غياب التنظيم الثوري الناصري – اي الحزب – وعدم تأكيده في الساحة الشعبية العربية كطليعة مهيمنة ثقافياً وسياسياً وتنظيمياً لتواصل علي رأس الحركة الجماهيرية مسار الثورة والنضال يبرز أمامنا كسبب رئيسي من أسباب ذلك الانقطاع الذي طرأ في مسار تلك الثورة

بعد غياب عبد الناصر فلكي تستمر الثورة ويستمر نهج عبد الناصر كان ينبغي ان يقوم بهذه المهام حزب ثوري ، ولا يقف عند حدود مصر بل يقوم في كل مواقع النضال العربي بعد غياب عبد الناصر ، وكان من الأجدي ان يقوم هذا الحزب في وجود عبد الناصر وحضوره وهذا ما لم يحدث .

لقد كنا اول تنظيم ناصري في الوطن العربي يعطي لنفسه صيغة الحزب السياسي ويأخذ تسميته ويعلن عن ذلك ، وأخذنا مبادرتنا الذاتية في العمل الوطني بكل مسئولياتها ولكن قيادة عبد الناصر ظلت دائماً أمامنا والتزامنا بنهجه الاستراتيجي في قيادة الأمة وقيادة معاركها .. ، والتزامنا بالميثاق الوطني في إطار قوانينه الجدلية كدليل عمل لنا واخذنا بمبدأ تحالف قوي الشعب العامل كمرتكز لبنيتنا الاجتماعية وقاعدتنا الشعبية .

لقد وجدنا انفسنا بعد الانفصال قوي شعبية عريضة ولكنها غير منظمة ، وتمتد عناصرها داخل الجيش ولكنها غير قادرة علي ضرب الانفصال بسبب عدم تنظيمها ، وحتي في سقوط الانفصال فإن مجموعات صغيرة - البعث - استطاعت بالمناورات والتنظيم ان تستولي علي انجاز ضرب الانفصال وان تنفرد بالسلطة وعبر مرحلة طويلة كانت القوي الأخري منظمة في الساحة الوطنية بينما هذه القوي لا تمثل إلا قلة وليس لها هذا الزخم الشعبي الذي للتيار الناصري الوحدوي .

من هنا كانت الضرورة تحتم علينا المواجهة بالتنظيم وبالعمل الحزبي ، وكما قلت في السرد التاريخي فقد خاطبنا عبد الناصر ووقف معنا ضد الاتجاه الرافض منا للعمل الحزبي ، وفي مواجهة الأفكار والآراء التي تري الحزبية خروجاً عن الناصرية فقد أجبت بشكل عام في الجزء الخاص بالديمقراطية .

إن الجيل الناصري الجديد في مصر بات عليه أن يدرك ما فات وأن يجعل مسألة قيام حزب ناصري في مصر قضية وطنية وقومية يقف عندها ويصر عليها كمنطلق مبدئي ومنطلق ثوري في مواجهة مشاكل المعركة الوطنية القائمة بين قوي التحرر والتقدم وبين قوي الثورة المضادة والردة ، وهذا الموقف في حد ذاته يعطينا الجواب حول ما تبلور عليه فعلياً المفهوم الناصري للتنظيم السياسي في صيغة الحزب .

● **السؤال كان محاولة للاقتراب من مفهوم الحزب وهذا هو اختلافه عن أسئلة التعددية في المسألة الديمقراطية وبصيغة محددة : لدينا مفهوم الحزب في الناصرية ... وهناك مفهوم الحزب في الماركسية وكذلك في الليبرالية ، وما هي الحدود والفوارق بين المفاهيم الثلاثة للمقولة الواحدة - الحزب - ؟ .**

□ لعل احاديثنا السابقة قد ساعدت علي بلورة التمايز بين المفهوم الناصري المفاهيم الماركسية والليبرالية في الديمقراطية والنظام السياسي والتنظيم ، ولكننا سوف نحاول التركيز هنا وكما هو واضح من السؤال

حول مسألة الحزب .

لقد حددت الناصرية مفهومها في البداية سلباً - وهي تستكشف السبيل الي ما تريد - فقد رفضت حزب الطبقة وحزب الطائفة وأحزاب الارهاب والعصبية ، كما أنها رفضت النظريات الجاهزة والايديولوجيات المستوردة التي لا تستوحي من التجربة الوطنية ، ورفضت الأحزاب التي تمتد بارتباطاتها الي خارج حدود الأمة والوطن ، أو أن يكون ولاؤها خارج ولاء الأمة ومصالح شعبها .. ، ورفضت مذهبة الدولة ورفضت ديكتاتورية الطبقة - بورجوازية كانت أو بروليتارية - وبالنسبة للماركسية فإن اللينينني هي التي أكملت الماركسية بمفهومها للحزب الثوري كطليعة منظمة تقود الطبقة العاملة والجماهير ويقوم بها ثوريون محترفون ، تجمعهم الوحدة الفكرية والوحدة الحركية ، هذا المفهوم أصبح مدرسة يستعان بها للاستفادة من دروسها ولكن لابد وان نتعلم ايضا المزالق التي ينزلق فيها هذا المفهوم سواء في إذكاء العصبية والتعصب والسيطرة والتسلط ، فالحزب اللينيين بعد لينين انتهي الي ان يكون بديلاً للشعب بل وللطبقة العاملة ، واذا استفدنا من عملية بناء الحزب وادارة حركة النضال والثورة ، ففي المقابل ينبغي ان ننتبه الي قاعده المركزية الديمقراطية ، هكذا حدث منذ ستالين وهكذا امتد إلي الاحزاب الشيوعية في العالم ، وقد تحولت القيادة الجماعية الي ديكتاتورية الفرد أو الفئة الصغيرة العليا ، وتقدس الحزب ثم الفئة ثم الفرد .. وكأنهم معصومون من الخطأ .

إن هذه التحولات في تكوين ودور الحزب لابد وان تنعكس علي طبيعة النظام السياسي والعلاقات السياسية مع المجتمع لشعبي ككل ، ومن هذه الأمور أيضاً رفض مبدأ التعددية السياسية داخل المجتمع .

وللتمييز بين المفهوم الناصري للحزب او التنظيم وبين المفهوم الماركسي نقول ان المنظور الناصري لايقبل الحزب الطبقي - لطبقة واحدة - ولا يقبل بالحزب القائد والواحد ، ولن يدفع بالمجتمع الي التحول لطبقة واحدة ، ويقدم الديمقراطية علي المركزية والحوار والعمل الجماعي بين المراتب التنظيمية علي القيادة الجماعية ، ويقبل بالتعددية في المجتمع وعدم امتلاك حزب أو فئة أو طبقة للحقيقة كاملة ومن ثم لعصمة او قدسية ..

أما عن الحزب الليبرالي فان هذا الحزب يمثل أصحاب المصالح العليا في المجتمع بمفهومها - البرجوازية - وهو صيغة إجرائية ترتبط في الغالب بالصيغة البرلمانية للحكم ومواسم الانتخابات ، وهذا الحزب الليبرالي أو الحزب الانتخابي قد يأخذ اشكالاً متعددة لكن جوهره يبقي في تكوينه الاساسي كمجموعة من أصحاب المصالح ووجهاء القوم ومن يتبعهم من الفنيين والمدراء ، تسعي لكسب تأييد شعبي بوسيلة ما وبهدف الوصول الي الحكم ، وهو لا يحتاج لصيغة تنظيمية ثابتة بل تتغير وفق مواسم وحاجات الانتخابات ، وقد يختفي هذا الحزب ولا يقوم بأي دور في الظروف الطارئة كالانقلابات العسكرية او اثناء الحكم

الديكتاتوري والفاشيستي ويغيب عن الساحة السياسية بسهولة .

وللتمييز بين الحزب في الفكر الناصري وبين الحزب الليبرالي نري انه من نسيج إجتماعي وعقائدي وتنظيمي مختلف ، تتقدمه طليعة مناضلة يستهدف التغيير الثوري وهذا لا يتأتي في ظرف عارض او مناسبة عابرة كالانتخابات بل من خلال تاريخ طويل من النضال وسط الجماهير وفي مواجهة كل عناصر التخلف والاستبداد ، ويقبل بالعمل في كل الظروف بل وحتي في المراحل الاستثنائية - كالانقلابات - لان استمراريته كتنظيم وحركة نضال جزء من تاريخيته وجزء من فهمه لدور الحزب بل هي معيار وجوده ذاته ... والناصرية لم تضع الطليعة فوق أو بديلاً عن التحالف الشعبي في السيطرة والحكم بل جعلتها جزءاً من هذا التحالف .

نقطة أخيرة أود الإشارة إليها وهي ان تعرضنا لنقاط التلاقي والافتراق مع المفاهيم الاخري المغايرة لا يعني الإختلاف في كل شئ والإفتراق في كل شئ ، ذلك لأن الكل يستمد أفكاره وحركته من التجارب الانسانية والخبرات المكتسبة من النضال السياسي ، ومن ثم فإن امكانية التفاعل وفق ظروف العمل السياسي واردة بل ووفق القبول بالتعددية السياسية ممكنة .

● **في الحديث عن التفاعل بين القوي السياسية لابد وان نتعرض لفكرة الجبهة وعندما نتصفح كتابك " إطلاله علي التجربة الثورية " نجد**

قولك " مبدأ التنوع وتعدد التيارات في إطار نوع من التلاحم الجبهوي الاستراتيجي يبقي إلي الآن كمبدأ الأكثر ملائمة " .

وبالرغم من أن الجبهة في العرف العام مرحلية ، إلا أننا نجدها في كتاباتك العديدة ومواقفك عبر مراحل تاريخية مختلفة - الستينيات والسبعينيات والثمانينيات - قد تحولت إلي قانون استراتيجي .

ماهي المبررات التي تقف خلف هذه القناعة ؟! وهل مازالت تلك القناعة قائمة رغم فشل التجارب التي مررتم بها ؟ .

□ الجبهة ضرورة استراتيجية لان دولة الاستبداد في صيغ الهيمنة المطلقة التي أخذتها لا تقف في معارضتها إلا حركة شعبية واسعة ، حركة وعي وتنظيم دؤوبة تتوجه الي القاعدة الشعبية العريضة لجماهير الأمة وهذا لن يحدث إلا بالاتحاد مع شعبنا ... ولن يتم هذا إلا بالتحالف مع القوي الأخري التي تلتقي معنا في الموقف السياسي والهدف الوطني والقومي .. بصيغة محددة أن نجد السبيل الي إقامة تحالف شعبي واسع في مواجهة الحلف السلطوي القائم والمسيطر .

والجبهة ضرورة استراتيجية لاننا نؤمن مع الاخرين بأن الديمقراطية غاية لنا وطريق ومن ثم فإن الوحدة بيننا أو الصيغة الحوار من أجل التلاقي والتكتل لابد وان تحمل في طياتها القبول بالتعدد والتنوع وننطلق من أن الحرية هي في المعرفة أولاً وأن السياسة هي تعامل مع حركة الواقع والتاريخ لادونهما ولا فوقهما ، والقول بالعقلانية في

السياسة اي بتخاطب العقول وقدرة العقل الانساني علي مواجهة مشاكله وتحدي ظروفه .

لقد كان لينين يتميز بخبرة واضحة في استراتيجية العمل الثوري وتكتيكاته ، وقاد الثورة للنصر ولكن في أواخر حياته ١٩٢٢ - طرح فكرة الجبهة الواحدة علي القوي الثورية في العالم ، وذلك بعد أن شعر بأن مشروعات التغيير في الغرب تتعثر وطريقها طويل ، ومن ثم طالب هذه القوي بترجمة الشعار للغتها الوطنية ، ولم تمنحه الحياة فرصة تطوير وتفصيل هذا المبدأ ...

نحن بدورنا نطرح فكرة الجبهة الواحدة ، ولا نقصد بها الجبهة الشكل كما يدعو لها البعض وتتحول لأشكال تهزم قبل أن تعمل.. الجبهة التي نريدها تنهض من خلالها كل قوة وكل فئة وتدخل في توجهات كل وطني ديمقراطي ..

صحيح أننا خضنا تجارب وشابها الفشل لكن الممارسة أضافت لنا العديد من المفاهيم والأساليب ، وجعلتنا أكثر تمسكاً بضرورة الفكرة ، الفكرة قد تتخذ أشكالا عديدة وبصفة عامة فإن الأشكال التي جسدتها لم تكن علي المستوي المطلوب ولم ترق إلي المضمون الذي نراه ، ولكن هذا لا يجعلنا نلقي بالفكرة وراء ظهرينا بل نسعي للبحث عن الصيغ والأشكال الجديدة والمبتكرة .

● **إنكم ترون أن العمل القومي ينبغي له أن يتم في إطار عمل**

جبهوي ، و دائما تصرون علي ان العمل الجبهوي في أي أقليم هو مقدمة ضرورية للإنجاز الجبهوي القومي .

هل يمكن أن يتم هذا العمل الجبهوي قبل أو بدون أن يتبلور التيار الناصري ويتوحد قومياً ؟ .

□ إن الوحدة والتلاقي والتعاون بل والاندماج أيضا مطلوب بين التيار الواحد ، وليس بنفس القوة التي تدفع للتعاون الجبهوي مع القوي المغايرة ، وإنما باكثر من ذلك .. وبأي منطق ديمقراطي أو نضالي أخذنا ، ومن اي منطلق وطني أو قومي إنطلقنا نجد أن هذا الأمر في مصلحة العمل الجبهوي القطري والقومي ويعطيه مزيداً من القوة والفاعلية ، فبمقدار ما يقوي تيار من التيارات فكراً وتنظيماً وتماسكاً ونضالاً إتسعت قاعدته الشعبية بمقدار ما يسند العمل الجبهوي الديمقراطي ويعطيه ركائز أصلب وأقوي .

ولكن لكي لا نظل في حدود التصورات النظرية والتمنيات ونغفل واقع التشتت ونوقع الناس في مزيد من التشرذم وضياع الهدف ، لابدأن نسأل أنفسنا ماهي معالم هذا التيار ومنظوراته ؟! ومن أي المواقع السياسية والاجتماعية نأخذ به ؟! .ومن خلال أى برنامج موحد وإلى أى هدف نسير معه؟!

وعلي سبيل المثال : كيف يمكن ان نصنع تحالفاً أو تعاوناً أو جبهة بين من هم في مواقع السلطة وبين من هم في صف المعارضة وفي موقع

العمل من أجل التغيير ؟! كيف تجمع بين من يقولون بالاشتراكية وبين من يرفضونها جملة وتفصيلاً ؟! . ثم كيف نوفق في تنظيم تيار قومي متكامل بين من يقولون بالحزب السياسي كأداة جماعية مندمجة لابد منها وبين من يقولون باللاحزب ويريدون مجرد التجمع والتجميع كيفما اتفق ولكل الشلل والمجموعات التي تقول أو تسمي بمسميات ناصرية رغم تعارضها وتناقضها ؟.

إن هذا يوقع في اللاجدوي .. حيث لا ناصرية ولا وحدة ... والحل هو تحديد قاطع عن مقومات هذا التيار وأهدافه ومواقع فعله وتأثيره ، ولا يمكن أن يبني إلا في مواقع المعارضة ضد النظم الإقليمية والتسلط والاستغلال وفي صف الشعب ضد من يسلبونه حريته وإرادته ومع الديمقراطية الوطنية والاندماج القومي ضد كل اشكال الهيمنة الفئوية والعصبية والطائفية والعشائرية ..

ثم ولكي يكون تياراً قومياً وثورياً وناصرياً لابد وأن يصوغ ناصريته في نهج تاريخي ومستقبلي ، فلا يظل يتسكع عند عتبات الماضي ... ، فنحن نفهم الناصرية في تصور مستقبلي لحلف اجتماعي وسياسي جديد لقوي الشعب العاملة اي لتيار شعبي ينهض من جديد ويتقدم صفوفه طليعه ثورية جماعية ، تيار يوحد قوي الأمة ولا يبعثرها .. يخدم قضية الحرية ولا يحيد عنها ، يؤمن بتعدد وجهات النظر في التحري عن الحقيقة فيأخذ بمبدأ الحوار بين التيارات المختلفة ومبدأ تعدد

الآراء حتي داخل التيار الواحد .

مرة اخري ينبغي لنا من عمليات فرز كثيرة لنعرف كيف نحدد من جديد معالم هذا التيار وقواه وكيف نصوغ وحدته من جديد كتيار ثوري قومي ديموقراطي ..

● الابداع وعدم التسكع علي عتبات الماضي جزء من عملية الفرز بين التيار الناصري كما ترون ، هل هذا الإبداع - الإجتهاد - مطلوب في المسألة التنظيمية أيضاً ؟ .

□ بالطبع لأنه ليس لدينا كناصريين دائرة معارف ولا أرشيف نسحب من ملفاته معطيات وقواعد مسجلة لهذه الموضوعات المطروحة كمسألة الحزب اومفهوم التنظيم السياسي ، وقد أعطت حركة عبدالناصر في هذا المجال مقدمات وخاضت في تجارب أجرت عليها مراجعات ولكنها لم تقطع في صيغة وقفت عندها ..

فلابد من الإعتراف بأن الناصرية ليست منهلاً سهلاً لمن يطلبه بايجابيات جاهزة وقطعية علي المسائل الفكرية والسياسية والتنظيمية المطروحة علي العمل الوطني والقومي ، بل هي في الأصل لم تقدم لنا في الماضي نظرية متكاملة للعمل الثوري العربي ، وإن كانت تعطينا من خلال تجربتها الغنية وممارساتها كل المقدمات والمنجزات اللازمة لصياغة هذه النظرية ، ولكن مهمة الصياغة والبلورة لا يؤديها في النهاية إلا جهد جماعي تقوم به طليعة ثورية أو حزب ثوري يتصدي للاجابة عن

المسائل الراهنة ومن خلال التفاعل مع معطيات الواقع وحركة الجماهير مثلما كانت تتفاعل قيادة عبد الناصر ، هذا الحزب لم يعد بالنسبة للطلائع الناصرية مجرد ضرورة تقتضيها ظروف المعركة الوطنية والقومية فالمعركة الآن هي معركة وجود الأمة ذاتها ونهوضها بمواجهة كل أعدائها ، ولكن هذا الحزب حتي يقوم ينبغي أن يكون هناك اهتمام بالاجتهاد في مفهوم التنظيم ومرتكزاته الاجتماعية والشعبية والفكر الموحد والنهج الاستراتيجي الهادف ، بل وتحديد مضامين المفهوم الناصري للنظام والتنظيم السياسي من خلال الاسترشاد بمعطيات التجربة ومراجعة سلبياتها وقصورها - قبل ايجابياتها - في هذا المجال .

وهكذا نجد أن الاجتهاد ضرورة .. وان العلاقات جدلية فالتنظير الكامل إجتهاد يقوم به الحزب الناصري ،،، ولكن الحزب لا يقوم كما يتمناه الناصريون بدون إجتهاد ورؤي جديدة للمسألة التنظيمية .

فهرس الكتاب



- اسرار وأحداث تذاع لأول مرة .
- وقائع الوحدة والانفصال .
- اللقاء السرى مع الزعيم عبد الناصر .
- الموقف من الناصرية والتجديد والاسلام والعلمنة والاصولية ، والموقف من الديمقراطية والثورة الثقافية ، وقضايا عديدة تهم الأمة ومستقبلها .

مركز
الحضارة العربية
للاعلام والنشر